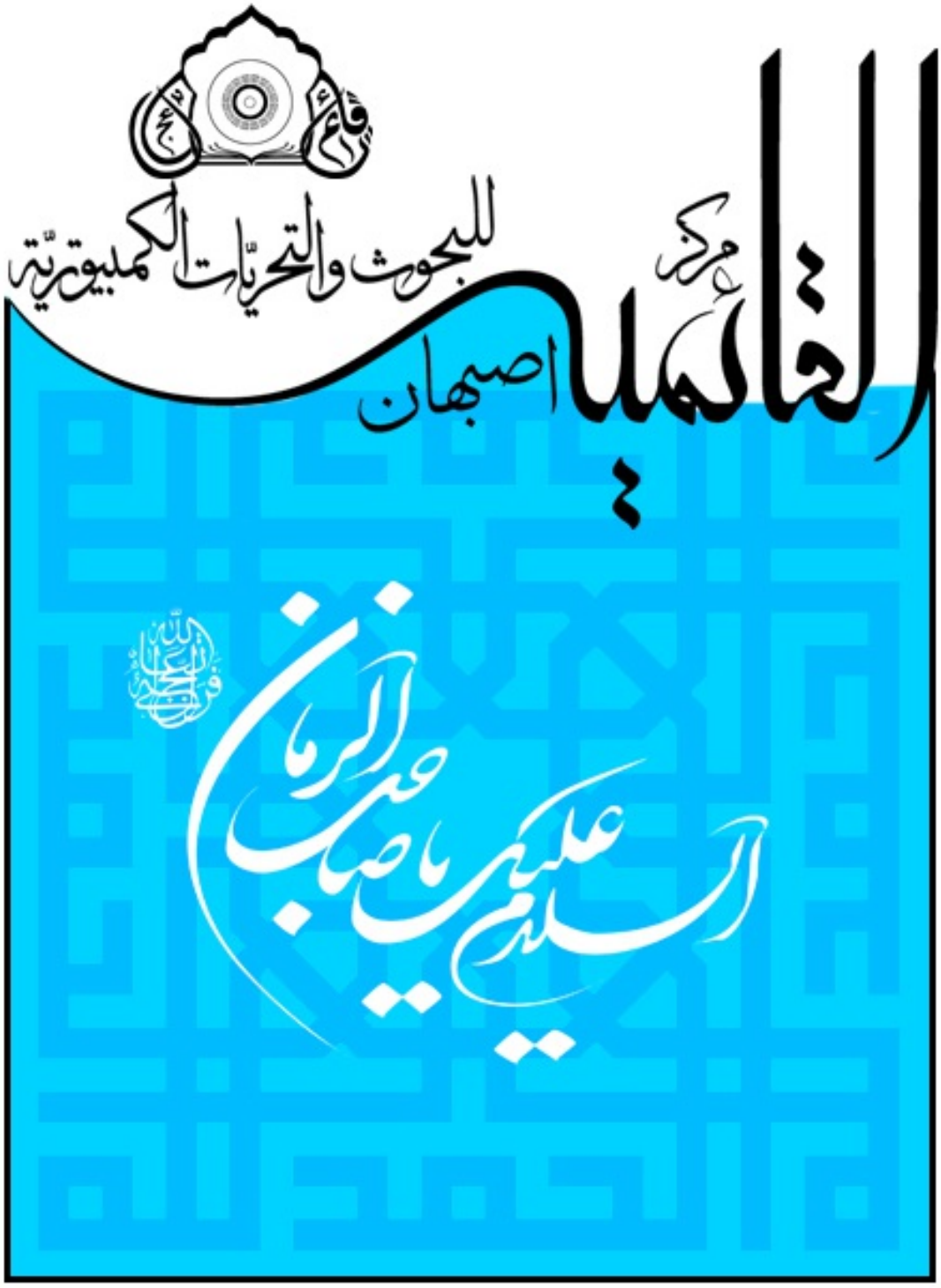

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تنزيه الشريعة المرفوعة

لقاضي القضاة

عبد الجبار بن أحمد الهمذاني

المتوفى سنة ٤١٥ هـ

حققه وقدم له

الدكتور عبد الكريم عثمان

١

دار المصطفى
للطباعة والنشر والتوزيع
حلب - الظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تثبيت دلائل النبوة

كاتب:

قاضى عبد الجبار

نشرت فى الطباعة:

دارالمصطفى صلى الله عليه و آله

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تثبیت دلائل النبوة المجلد ۱ ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدّمة ----- ۷
باب [البدء بما فی القرآن من إکفار الرسول للامم و البراءة منهم و هو وحید ضعیف] ----- ۱۲
باب آخر [سلامته صلّی اللّه علیه و سلم مع حرصهم علی إیذائه] ----- ۱۳
و باب آخر [وعده و هو فی وحدته اته سیکون فی جماعات کثیرة] ----- ۱۴
و باب آخر [استرواح المشرکین لأدنی غم یصیب الرسول] ----- ۲۹
و باب آخر [عرض المشرکین علی الرسول ان یعبد آلهتهم و یعبدوا إلهه] ----- ۳۰
و باب آخر [وعد الرسول اصحابه فی حال ضعفهم ان اللّه سینصرهم] ----- ۳۲
باب آخر [اسراء الرسول من المسجد الحرام الی المسجد الأقصی] ----- ۳۳
و باب آخر [اما نزل بمکة فی رجال بأعیانهم انهم یصرون علی شرکهم الی ان یموتوا] ----- ۳۶
باب آخر [اما کان بمکة من انشقاق القمر] ----- ۳۷
باب آخر [اما کان بمکة من غلبة الفرس علی ارض الجزیرة ادنی ارض الروم] ----- ۳۹
باب آخر [من اعلامه صلّی اللّه علیه و سلم انقضاض الکواکب بمکة] ----- ۴۱
و باب آخر [دعوة رسول اللّه علی مضر و إمساک القطر عنهم] ----- ۴۹
باب ----- ۵۰
باب [اما کان بمکة حین بکی الرسول علیهم قوله تعالی: اقتربت الساعة] ----- ۵۱
باب آخر [اما نزل بمکة من قوله تعالی «فاستمسک الذی اوحی إلیک ...»] ----- ۵۱
باب آخر [من اعلامه قوله عز و جل «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ»] ----- ۵۲
باب آخر [من اعلامه اخباره عن النصرانیة و مذاهبها] ----- ۵۵
و باب آخر [اما اشار إلیه من اختلاف النصاری حول المسیح علیه السلام] ----- ۶۳
باب آخر [اما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسیح، و اختلاف النصاری حول الاناجیل، و تأثر المجتمعات النصرانیة بعقائد الروم و اخلاقهم] ----- ۷۰

باب آخر [اکفار الرسول صلّی اللّه علیه و سلم للعرب و سائر الامم الاخری و اسخاطها و کیف عصمه اللّه من اذاهم] ----- ۱۲۵
و باب آخر [الاخوة و المودة التی کانت قائمة بین الصحابة] ----- ۱۳۱
و باب آخر [افعال رسول اللّه و أقواله تشهد بأنه ما عهد لرجل بعینه] ----- ۱۳۴
باب آخر [کیف خاض الصحابة فی امر الامارة و لم یذکروا انه نص علی أحد بعینه] ----- ۱۳۵
باب آخر [کیف فکر الانصار بالامارة ثم عدلوا عن ذلک بعد تبین الحق] ----- ۱۳۸
و باب آخر [رفض علی ما عرض علیه من المبایعة بالامارة بعد وفاة الرسول] ----- ۱۳۹
و باب آخر ----- ۱۴۴
و باب آخر [طلب ابی بکر من المسلمین اقالته و رفضهم ذلک] ----- ۱۴۴
و باب آخر [تمنی ابی بکر ان لا یکون قد ولی إمرة المسلمین] ----- ۱۴۵
و باب آخر [کیف رد المسلمون الأمر الی عبد الرحمن بن عوف] ----- ۱۴۸
فهرس الموضوعات «۱» ----- ۱۵۷
خطأ و صواب ----- ۱۵۸
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۵۹

تثبیت دلائل النبوة المجلد ۱

اشارة

نام کتاب: تثبیت دلائل النبوة

نویسنده: قاضی عبد الجبار

وفات: ۴۱۵ ق

تعداد جلد واقعی: ۲

زبان: عربی

موضوع: رسول خدا صلّی الله علیه و آله و سلّم

ناشر: دار المصطفی

مکان نشر: شبرا- القاهرة

tthbit dlaa'l alnbouah

تألیف: عبد الجبار بن أحمد الهمذانی

ترجمة، تحقیق: عبد الکریم عثمان

الناشر: دار المصطفی للنشر والتوزیع

النوع: ورقی غلاف فنی، حجم: ۲۴×۱۷، عدد الصفحات: ۷۱۸ صفحة الطبعة: ۱ مجلدات: ۲

اللغة: عربی

المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

إن الإیمان بالنبوة أو قیام صلة بین اللّه و الانسان بواسطة احد عباده الذی نسمیه نبیا او رسولا من أهم ما یمیز الأدیان السماویة عن غیرها من الدیانات، إذ أن هناک أدیانا کالبرهمیة تؤمن بوجود اللّه لکنها تنکر النبوات و لا تری حاجة لوجود هذه الصلة بین اللّه و الانسان، و حجتهم فی ذلک، أن ما أتی به الأنبیاء إما موافق للعقل ففی العقل غنی عنه أو مخالف له فلا حاجة لنا به، لأن العقل هو المصدر الوحید الذی نستدل به علی حقائق الأمور.

و الحق أن من المستحیل ان نؤمن بفکرة وجود الخالق المدبر و لا نتبعها بالایمان برعایته لخلقه و تدبیره المستمر للکون. إذ ما الفائدة من الخلق اذا لم یعن الخالق بشئون خلقه، أما أن العقل قد یعارض ما تأتی به النبوة فلیس هذا ضروریا، لأن جمیع الأمور التی نزلت بها الرسالات السماویة یقرها العقل الذی یعتمد علی تفکیر علمی منظم، هذا بالاضافة الی ان لکل من العقل و الوحی میدانه الخاص فی کثیر من المسائل، و اذا امکن لنا ان نتوصل بالمنطق التجریبی و الریاضی الی حقائق علوم الکون و الحیاة فإننا لا نستطیع بغیر الوحی ان نتوصل الی حقائق ما وراء المادة.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۲

و الصلة بین اللّه و الرسل تتم بوسائل متعددة لن نبحث فی تفصیلها و انما سنلقی نظرة سریعة علی أهم هذه الوسائل لنأخذ فکرة عنها.

إن الوحی غالبا ما یبدأ بالرؤیا الصادقة، و فی قصص الأنبیاء کثیر من حوادث هذه الرؤی. و قد قص علینا القرآن کیف انها طریقة من طرق الوحی عند ما حدثنا عن ابراهیم و اسماعیل علیهما السلام، و کیف أمر ابراهیم بذبح ابنه «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْیَ قالَ یا بُنَیَّ إِنِّی

أرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى، قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ» «۱».

و قد تكون وسيلة الاتصال الالهام فى حالة اليقظة كما حدث للرسول محمد عليه الصلاة و السلام اذ أتاه هذا الالهام و هو جالس بين المسلمين و عبر عنه بقوله «هذا رسول رب العالمين نفث فى روعى أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها ..».

و قد يكون الاتصال بأن يكلم اللّه الرسول مباشرة كما حصل لموسى عليه السلام مما قص علينا القرآن قصته «فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ...» «۲».

و الطريقة المعتادة فى حصول الاتصال بين اللّه و الرسل هى الوحى بواسطة جبريل عليه السلام «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» «۳»، و كان جبريل أحيانا ينزل مجسدا و يراه المسلمون كما حصل

---

(۱) الصافات ۱۰۲

(۲) القصص من ۳۰- ۳۱

(۳) الشعراء من ۱۹۳- ۱۹۵

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۳

فى حديث أركان الايمان و الإحسان و أشراط الساعة الذى روى عن عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه.

و من الطبيعى حين يدعى انسان ما انه يتصل باللّه و يحمل منه الى الناس رسالة ترتب عليهم تكاليف و واجبات ان يطالبه الناس بالدليل على صدقه، و لم ير القرآن فى هذا ما يخرج على المعقول و المنطق حتى انه قصّ علينا ان ذلك حصل من بعض الأنبياء «وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى، قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ، قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» «۱».

و من هنا ظهرت الحاجة الى وجود ما يثبت النبوة، و تعد المعجزات من أهم الوسائل التى أنزلها اللّه على رسله ليقتنع الناس انهم لا يمثلون أنفسهم و إنما يمثلون اللّه تعالى، و لا شك ان الايمان بالرسل مرتبط ارتباطا وثيقا بالايمان باللّه و بالغيب الذى يعتبر من اهم صفات المسلم التقى «الم، ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» «۲».

و القرآن يتحدث عن مجموعة من المعجزات المادية منها و المعنوية. و المعجزة فى حقيقتها هى الحادث الخارق للعادة و القوانين التى يلاحظها الناس و تسير عليها حوادث الكون يجريه اللّه تأييدا للأنبياء. و قد حاول البعض ان يعطى المعجزة صورة الأمر العادى الذى يحصل فى الطبيعة بطريق الصدفة أو العلم، و لكن المعجزة فى الواقع تفقد معناها و كونها دلالة على صدق النبى اذا فقدت الصفة الخارقة.

فاذا قال مدعى النبوة إن دلالة صدقى أن تطلع الشمس من المغرب و هى تطلع عادة من المشرق كان ذلك دلالة و تأييدا له، أما اذا أخبر قومه ان الشمس تطلع من المشرق فليس فى طلوعها ما يثبت أى إعجاز.

---

(۱) سورة البقرة ۲۶۰

(۲) سورة البقرة ۱ و ۲

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۴

و من المعجزات المادية: ناقة صالح، و قد قص القرآن خبرها بقوله:

«قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ، ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ» «۱». و منها معجزة عصا موسى التى حدثنا القرآن خبرها بقوله: «قال لئن اتخذت إله غيرى لأجعلنك من المسجونين، قال او لو جئتك بشىء مبين، قال: فأت به إن كنت من الصادقين، فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين، و نزع

يده فاذا هى بيضاء للناظرين». و منها معجزات عيسى عليه السلام، التى عناها القرآن بقوله: «أَنِّى أَخْلُقُ لَكَمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

و الملاحظ ان معظم الأمم التى أتتها المعجزات اصرت على كفرها و إلحادها و لم تؤمن، و قد بين القرآن ان الهداية بيد اللّه، و أنه مهما تكن قيمة المعجزة فان نفوسا كثيرة لن ترتدع أو مؤمن «وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ، لَقالُوا: إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ «۲»».

هل هناك أبلغ من هذه المعجزة؟ إن البعض سيقول انه السحر او خداع البصر، لذلك فإنه تعالى يخبر الرسول بهذا المعنى بقوله: «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ، وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها، وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً «۳»».

---

(۱) الشعراء ۱۵۳- ۱۵۶

(۲) الحجر ۱۴

(۳) الاسراء ۵۹

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،المقدمة،ص:۵

أما المعجزات المعنوية و العقلية فأهمها: القرآن الكريم الذى نزل على محمد عليه الصلاة و السلام. و نستطيع ان نلاحظ بهذه المناسبة ان هذه المعجزة ترتبط ارتباطا وثيقا بالرسالة. و المعجزات إما ذاتية تتعلق بنقل ماهية الرسالة او انها خارجة عن جوهرها، و معجزة القرآن من النوع الاول لأنها عقلية تخاطب الفكر البشرى و تعتمد على الاقناع العقلى اكثر مما تعتمد على القناعة الحسية التى هى اساس المعجزات المادية. و لا- شك ان البشرية- حتى بعثة الرسول- كانت قطعت شوطا كبيرا من الرقى العقلى، فأمكن ان تخاطب عقولهم مباشرة، و خطاب العقل أكثر شمولا و دواما و استقرارا، لذلك كان القرآن الكريم معجزة الرسول حتى أبد الدهر.

اختلف العلماء و الباحثون فى حقيقة الاعجاز فى القرآن، و يمكن ان نحدد آراء هؤلاء العلماء فى ثلاثة اتجاهات رئيسية:

۱- اتجاه يرى ان المعجز فى القرآن هو صياغته اللفظية الخارقة للعادة و بلاغته الواضحة التى اعجزت العرب ان يأتوا بمثله.

۲- و اتجاه يرى الاعجاز فيما ورد فى القرآن من الإعلام عن الغيوب و عن حوادث الامم السابقة و تاريخها و عقائدها، فقد أشار القرآن الى حوادث ستقع فى المستقبل ثم وقعت كما حدّث، مثال ذلك قوله تعالى: «الم، غلبت الروم فى أدنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون، فى بضع سنين».

فقد حصل ان الفرس غلبت الروم، فأخبر القرآن عن هذه الواقعة، و أنبأ ان الروم سينتصفون من خصومهم فى بضع سنين، و تم ذلك فعلا؛ و بما ان الانسان لا يقدر على علم الغيب فان القرآن منزل من قبل اللّه و فيه من الاعجاز ما فيه. ثم إن القرآن تحدث عن تاريخ الأمم السابقة و أديانها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،المقدمة،ص:۶

حديث العليم بكل صغيرة و كبيرة من احداثها و شئونها، و لما كان الرسول عليه السلام أميا لم يطلع على كتب الأقدمين- التى لا تشير هى أيضا بدقة الى تلك الامور- فلا بد انه تعالى هو الذى اخبر نبيه بهذه الاشياء.

۳- و أخيرا فقد اتجه كثير من العلماء الى ان الاعجاز فى القرآن هو فيما ورد فيه من انظمة انسانية بالغة الرقى لم يشهد الخلق لها مثيلا فى ضمان مصلحة بنى الانسان و تأمين حياته الخيرة، فقد ورد فى القرآن انظمة لحياة الانسان فى شتى الوان النشاط البشرى السياسى و الاقتصادى و الاجتماعى و الاخلاقى و الروحى، و لما كانت هذه الانظمة يستحيل ان يقدر عليها اى انسان فلا بد ان يكون القرآن منزلا من اللّه مثبتا لرسالة الرسول.

و الواقع إن الاعجاز القرآنی یشمل هذه النواحی جمیعا: فهو فی اللفظ العجیب و الترکیب البلاغی البدیع، و هو فی اخباره عن الغیوب و انباء الامم السابقة، و هو فی انظمته الرائعة السامیة؛ و لا نستطیع ان نقول بحصر الاعجاز فی جانب واحد، لأن القرآن معجزة الرسول الی الناس جمیعا فی مختلف ازمانهم و امکنتهم، لذا کان لا بد ان یحوی هذه الوجوه المتعددة، فاذا آمن العربی به لإعجازه البلاغی فقد یؤمن به الرومی لإخباره عن الامم السابقة کما قد یؤمن به الفارسی للأنظمة التی فیه، فالقرآن معجز کله، لفظا و معنی و نظاما.

و بعد فإن الکتاب الذی بین ایدینا یبحث فی النبوة و إثباتها، و قد عرض له القاضی «۱» فی أکثر من موضع من کتبه، إلا انه تکلم عنه بالتفصیل فی کتابین:

---

(۱) ضربنا صفحا عن التعریف بحیاة القاضی و ثقافته و مؤلفاته لأننا عرضنا لذلک فی مقدمتنا لکتابه «شرح الاصول الخمسة» و سیصدر لنا قریبا کتاب خاص عن القاضی عبد الجبار، بالاضافة الی رسالة الدکتوراه التی کانت بعنوان «القاضی عبد الجبار و آراؤه الکلامیة».

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۷

۱- الجزء الخامس عشر من موسوعته الکبیرة «المغنی فی اصول الدین» و قد أسماه «النبوات».

۲- الکتاب الذی بین ایدینا «تثبیت دلائل نبوة لسیدنا محمد».

أما فی الکتاب الاول فإنه یعنی بالحدیث عن اساس نظریة النبوة و فکرة المعجزة بصورة عامة، ثم یفصل الحدیث عن عدد من المعجزات الحسیة و یبین اختلافها عن السحر و الشعوذة و الصدفة و خفة الید.

لکنه فی کتابنا هذا یتحدث عن اثبات نبوة محمد صلّی اللّه علیه و سلم بصورة خاصة، و یلح علی جانب الإخبار عن الغیوب سواء جاء فی القرآن الکریم او فی احادیث الرسول، فیتتبع هذه الاخبار مبینا الی ای حد یصدقها الواقع و التاریخ.

إن القاضی یؤمن بالمعجزات الحسیة التی وردت فی القرآن و السنة الصحیحة یستنکر موقف البعض کالنظّام من إنکارها، و یری الإعلام عن الغیوب من اهم دلائل النبوة، کما ان القرآن فی رأیه حجة من نواح ثلاثة: فهو حجة «من طریق الفصاحة و البلاغة، و هو حجة لما فیه من الاخبار بالغیوب، و هو حجة لما فیه من التنبیه علی دلائل العقول» «۱».

و حین تفصیل کلامه عن دلائل النبوة لا یلتزم القاضی البقاء فی نطاق الحوادث او الدلائل بل یعرج- کعادة القدماء- علی کل ما یجد الحدیث عنه ضروریا بالمناسبة.

---

(۱) التثبیت ۴۰

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۸

لذا فاننا نستطیع من خلال هذا الکتاب ان نتعرف علی موقف القاضی من الادیان المختلفة: السماویة منها و غیر السماوی، و موقفه من الفلسفة الیونانیة، و من اخذ بها ممن یسمون بفلاسفة الاسلام، و اخیرا موقفه من الاتجاهات العقائدیة الاسلامیة المختلفة و خاصة الاتجاه الباطنی. و للقاضی مع هذه الاتجاهات جولات و مناقشات طویلة متشعبة.

حمل القاضی عبد الجبار علی الفلسفة الیونانیة عموما و بین ان کتبهم التی وصلت إلینا فیها الشیء الکثیر من النقص و التحویر و التعدیل اجراه أصحاب الاغراض و الاتجاهات العقائدیة المختلفة لتأیید عقائدهم و آرائهم، و أفرد ارسطو بحملة عنیفة و خاصة فی کتابه «الآثار العلویة» و انتقد نظریته فی الکون و الکواکب و ما یراه من انها غیر قابلة للقسمة او الزیادة او النقصان و انها حیة عالمة سمیعة بصیرة تخلق و ترزق و تحیی و تمیت «۱».

و من الغریب انه ینتقد نظریة الرازی فی اللذة و الألم، و قوله ان اللّه لا یستطیع ان یخلق الانسان إلا بالطریق الطبیعی، و یتهمه بالإلحاد،

و لکنه یتجاوز عن رأیه فی النبوة مع انه یخالف الاتجاه الاسلامی العام فیه «۲».

أما الکندی فانه- برأی القاضی- احد الملاحدة الذین تظاهروا بالاسلام لکنهم ما فتئوا یکیدون له و یمکرون به، و قد عرض لرأیه فی المد و الجزر و أن القمر سبب لحصولهما فشدد النکیر علیه.

و یظهر انه ینتقد فکرة القانون بصورة عامة لما کان یظنه من انها تحد من

---

(۱) التثبیت ۱۹۶

(۲) التثبیت ۲۹۳ ظ، ۲۹۴

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۹

قدرة الخلق المطلق من قبل اللّه و کونه خالق للاشیاء جمیعا علی الاستمرار و أنه یخلقها من لا شیء «۱». و یبدو هذا واضحا من بیانه لفعل الاحراق بالنار «۲»، و حقیقة الشفاء بالدواء، و قد نبه الاطباء بهذه المناسبة الی ان مهمتهم یجب ان تنحصر فی معرفة العادات و التجارب فلا تتعدی ذلک الی الاهتمام بمعرفة اصول الأشیاء «۳».

أما موقف القاضی من اصحاب النجوم و سائر من یدعی معرفة الغیب و المستقبل فقد کان شدید العنف علیهم، و لفت النظر الی حقیقة بدیهیة و لکنها لبداهتها قد تغیب علی المرء، و هی ان المنجم «یکذب فی ألف شیء و یخطئ فی ألف شیء فلا یحفظ علیه لأن ذلک غیر منکر منه، فاذا اتفق له الصواب فی شیء واحد تعجبوا و حفظ لقلته من مثله و لأنه اتی من غیر معدنه «۴».

و لا ینسی القاضی ان ینکر علی رجال الباطنیة موقفهم فی التفرقة بین الصحابة و قولهم انهم ظلموا علیا رضی اللّه عنه، و بیّن بهذه المناسبة الصلة الوثیقة التی کانت تقوم بین الصحابة «۵». کما اتهم الباطنیة بأنها کانت مستغلة من الملحدین و الذین لم تطمئن قلوبهم بالایمان، اذ تستر هؤلاء بالباطنیة و تظاهروا بالتشیع لعلیّ لخدمة اغراضهم فی تحطیم الاسلام عن طریق تفریق المسلمین و إظهار الصحابة بمظهر المعتدین الخارجین علی حدود الاسلام، و عدد القاضی منهم

---

(۱) التثبیت ۲۹۷ ظ، ۲۹۸ و

(۲) التثبیت ۳۰۲ و

(۳) التثبیت ۲۹۹ ظ

(۴) التثبیت ۱۸۸

(۵) التثبیت ۱۱۶

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۱۰

عددا من الفلاسفة و الکتّاب، کالحداد و الوراق و الحصری و ابن الراوندی و جابر و ابن العمید.

و لم ینس القاضی ان یعرج علی الدیانات سواء منها غیر السماوی کالدیانات الفارسیة و الهندیة القدیمة «۱»، او السماوی فی اصوله کالنصرانیة، و خص هذه الاخیرة بتفصیل طویل طریف و نظر إلیها علی انها امتداد للحضارة الرومانیة و الفلسفة الیونانیة، فالروم- فی رأی القاضی- لم ینتصروا و لکن النصرانیة تروّمت فأخذت أخلاق الرومان و تقالیدهم و آراء الفلسفة الیونانیة و عقائدها بما فیها عقیدة التثلیث، «و هذا التثلیث الذی للنصاری قد کانت فلاسفة الروم تنحو نحوه فی أن العقل و العاقل و المعقول تصیر شیئا واحدا، و یقولون هرمس المثلث «۲»».

و لأهمیة کتاب القاضی و طرافة الموضوعات التی تطرق لها، و الأسلوب الذی تناولها فیه، کان موضع ثناء العلماء و الکتاب متقدمیهم و محدثیهم، و قد اثنی علیه ابن العماد و ابن شهبه و ابن تیمیة، و کتب عنه الشیخ الکوثری فی مقدمة «تبیین کذب المفتری»: «و لم نر

ما یقارب کتاب تثبیت دلائل النبوة للقاضی عبد الجبار فی قوة الحجاج و حسن الصیاغة فی دفع شکوک المتشککین «۳».

و الحق اننا نستطیع ان نعد هذا الکتاب الاول من نوعه فی موضوعه، و لا نعلم بین ما وقع فی ایدینا ما یفوقه او یصل الی مرتبته.

---

(۱) التثبیت ۸۷، ۸۰، ۸۸

(۲) التثبیت ۸۰ و

(۳) مقدمة کذب المفتری ص ۲۸

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،المقدمة،ص:۱۱

ورد هذا الکتاب لدی المؤلفین بأسماء متعددة، فابن الملقن فی طبقات الشافعیة و ابن العماد فی شذرات الذهب و ابن حجر فی اللسان یذکرونه باسم «دلائل النبوة». أما ابن شهبة فی طبقاته فقد ذکر انه «تثبیت دلائل النبوة»، أما العنوان الذی کتب علی الورقة الأولی من المخطوط الذین بین أیدینا فقد کان «تثبیت دلائل نبوة سیدنا محمد».

و من الثابت لدینا ان «التثبیت» کتب بعد «المغنی»، یدل علی ذلک ما ذکره القاضی نفسه فی اکثر من موضع من الکتاب من انه کتبه سنة ۳۸۵ ه «۱» و من المعلوم لدینا انه انتهی من کتابة المغنی سنة ۳۸۰ ه.

أما المخطوطة التی اعتمدنا علیها فی النشر فهی مخطوطة شهید علی باستانبول و هی النسخة الوحیدة فی العالم المعروفة حتی الآن.

و قد جهدنا- قدر استطاعتنا- ان نقدم النص الصحیح لهذا الکتاب القیم، عازفین عن التعلیق إلا فی الحالات التی لا بد فیها منه کالتعریف بعلم من الأعلام او فکرة من الأفکار، تارکین للقارئ الکریم ان یتتبع فکر القاضی کما أراد ان یعرضه و بحریة کاملة. و حرصنا أن نثبت فی هامش الکتاب ارقام اوراق المخطوط لیسهل للباحث الرجوع إلیه.

و اذا کان لنا ما نرجوه فهو ان نکون قد أسهمنا- بنشرنا لهذا الکتاب- بإضافة لبنة جدیدة الی صرح الثقافة الاسلامیة، غیر طامعین إلا بثواب اللّه و رضاه.

عبد الکریم عثمان بیروت- ۳۰ جمادی الاولی ۱۳۸۶ ه ۱۵ ایلول ۱۹۶۶ م

---

(۱) انظر التثبیت ۱۹ ظ، ۸۰ و

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳

باب [البدء بما فی القرآن من إکفار الرسول للامم و البراءة منهم و هو وحید ضعیف]

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله، الحمد للّه الذی منّ علی عباده بإرسال رسله، و ختمهم بسیدهم محمد صلی اللّه و علیهم اجمعین، فأرسله بالهدی و دین الحق، «لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ «۱»».

هذا کتاب «تثبیت دلائل نبوة نبینا محمد» رسول اللّه صلوات اللّه علیه و سلامه، و الادلة علی معجزاته و ظهور آیاته، و الرد علی من انکر ذلک.

فنبدأ من ذلک بما فی القرآن، و بما یجری مجراه مما یعلمه من سمع اخباره، کالعلم بالقرآن، فقد علم کلّ من اخباره صلّی اللّه علیه و سلم انه ظهر بمکة، فأکفر الیهود و بریء منهم، و النصاری و الروم و بریء منهم، و الفرس و المجوس و بریء منهم، و الهند و بریء منهم، و قومه من قریش و العرب و بریء منهم، و عاب آلهتهم، و أکفر اسلافهم، و ضلل ادیانهم، و فرق

(۱) التوبة ۳۳

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶

آلافهم، و قال لهم: اللّه ارسلنى و اصطفانى من العالمين، و جعلنى حجة على كل من بلغته دعوتى من الاولين و الآخرين، و جعلنى خاتم النبيين و آخر المرسلين، و إن دينى يظهر على الاديان كلها، و ان كلمتى و كلمة اتباعى تعلو، و إنهم هم الغالبون القاهرون المالكون.

و هو اذ ذاك فقير وحيد، اجير معيل، قد اغضبهم و غاظهم بهذه/ الدعوة، و ألبسهم الذل مع وحدته، و بالغ فى إسخاطهم، فنهوه و زجروه، بعد ان عاتبوه و عذلوه؛ ثم توعدوه بالاستئصال و البوار، بعد ان رغبوه. فغلبهم على امره، و قال: إنى قد قلت لربى حين ارسلنى: إنى ان قلت هذا لقريش رضخوا رأسى، فقال لى: قل، و بلغهم، فسيغضبهم ذلك، و سيبعثون مكروههم عليك، و سيتحزبون و يجلبون «۱» فى عداوتك، و يجمعون العساكر لحربك، فأعصمك منهم، و أبعث جنودا لك منهم و من غيرهم، فتكون العقبى لك، فقال هذا و ما هو اشد منه.

يعلم ذلك كل من سمع اخباره ممن صدقه او كذّبه، و هو لا يعتصم بمخلوق، و لا يصوب ملكا من ملوك عصره، و لا يلوذ بأحد من البشر.

بل قد رماهم كلهم عن قوس واحدة بالعداوة، و أسخطهم اجمعين، و بعثهم بهذا الصنيع على عداوته. ثم ما رضى ان يجعل ذلك قولا ثم صفحا، بل خلده و دوّنه، و جعله كتابا يقرأ، و قرآنا يتلى، يسمعه عدوه و قال: ربى قال لى، و ربى و ربكم اوحى به إلىّ، فقال: «وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ «۲»» و قال: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ

(۱) جلب، توعد بالشر

(۲) الاسراء ۶۰

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۷

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ «۱»».

فانهم «۲» زادوا غيظا عليه، و صاروا هم و اليهود و النصارى و الفرس و المجوس يدا واحدة فى عداوته، و طلب نفسه، و الحرص على قتله، و هم اشد الناس حقدا و أنفة و جبرية «۳» و طلبا بطائله، لا يقارّون من عاب/ خيولهم و جمالهم فكيف بمن عاب آلهتهم و آباءهم و عقولهم و ضلل اديانهم، فعصمه اللّه منهم و هو رجل فريد بينهم، و هو فى مثوبة الموت، و خندق الخوف، و ذل اليتم، و وحشة الوحدة، لا يعتصم منهم بمخلوق، فصرفهم اللّه عنه و هذه حاله، فلو لم يكن من آياته و دلائل نبوته الا هذا لكفى و أغنى و زاد على الكفاية، لأنه إخبار بغيوب كثيرة، لأنه قال لجميع قريش و لجميع العرب و لجميع اليهود و لجميع النصارى و لكل واحد منهم: لا تقتلوننى، مع ما قد جاءهم به مما قد غاظهم و أغضبهم، و هو فى هذا القول كالباعث لهم على نفسه، و كالحامل لهم على مكروهه و هو يذكرهم بذلك، فسلم منهم مع هذه الأحوال، فهذا باب كاف شاف.

باب آخر [سلامته صلّى اللّه عليه و سلم مع حرصهم على إيذائه]

و هذا مقام لا يقومه عاقل إلا ان يكون على غاية الثقة باللّه عزّ و جل و السكون الى وعد اللّه لأنه لو لم يكن كذلك لم تلبث ان تغضب أمم

(۱) المائدة ۶۷

(۲) فی الاصل، فإن

(۳) الجبریة و الجبریة: التکبر، انظر القاموس، مادة: جبر

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۸

العرب و العجم لأدیانهم، و یأنفوا لأنفسهم و آلهتهم، فیستأصلونه و یصطلمونه «۱» و یقتلونه و یمحون أثره. فلما سلم مع الحرص علی قتله، و آلت الامور الی ما قال، علمت و تیقنت أنه من قبل اللّه، لأن مثله فی هذا مثل من قال انی أخوض هذه النار المضرمة فلا تحرقنی، او کمن قال: أتردّی من شاهق علی/ الأسنّة و انا عریان فلا تنفذ فیّ، او کمن قال: أدخل من هذه السباع الضاریة الجائعة التی قد أغضبتها و قتلت اولادها و هی حریصة علی افتراسی و محتاجة الی قتلی و الراحة منی فأسلم منها و لا تقتلنی، فهذا باب شاف.

و باب آخر [وعده و هو فی وحدته اته سیکون فی جماعات کثیرة]

و هو ما کان وعد و قال و هو فی وحدته، إنی سأصیر فی جماعات و عساکر فکان کما قال و أخبر، لأنه حین دعاهم أنکروا قوله و أکفروه و تلقوه بالردّ و التکذیب، ثم ما زال و النفر بعد النفر یجیبونه، حتی صار فی عساکر، فاعتقدوا بصدقه و نبوته، و صاروا له جندا مطیعین، و حزبا متفقین، ینفقون أموالهم و یسفکون دماءهم فی طاعته، و یفرّون من آبائهم و یقتلون أبناءهم و یفارقون أوطانهم لأجله و امتثالا لأوامره، و أزکی الأعمال عندهم ما أرضاه بلا دنیا بسطها فیهم، و لا اموال دفعها إلیهم، و لا لرئاسة کانت له علیهم، بل کان یتیما فقیرا وحیدا معیلا محتاجا.

ثم جاءهم مجیئا ما جاء نبی قبله فی مثل حاله، فان موسی صلّی اللّه علیه و سلم أتی قومه من بنی إسرائیل، و هم أولاد الأنبیاء، قد اعتقدوا الربوبیة و عرفوا

---

(۱) اصطلم الشیء: استأصله. انظر القاموس، مادة: صلم

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۹

الطریق إلیها و اعتقدوا النبوة و عرفوا الأنبیاء قبل موسی، کادم و نوح، ثم الی ابراهیم و إسحاق و یعقوب و الأسباط، و ألفوا عبادة/ اللّه، و اعتقدوا المعاد و عرفوه. ثم جاءهم فی ذل و أسر و قهر فی أیدی الجبابرة من القبط و الفراعنة، یقتلون أبناءهم، و یستحیون نساءهم، و یمنعونهم الصنائع الشریفة و الاحتراف، و یقصرونهم علی ضرب اللبن و قطع الأحطاب و الاعمال الشاقة المؤلمة، فجاءهم موسی بما یعتقدون من الربوبیة و النبوة، ثم أخرجهم من الذلّ الی العزّ، و من الشقاء الی الرفاهیة و الدعة، و من الفقر الی الغنی.

ثم جاءهم من بعد موسی من الأنبیاء بما جاءهم به موسی، الی أن انتهت النبوة الی المسیح عیسی بن مریم صلّی اللّه علیه و سلم، فأتی بنی اسرائیل بسنن موسی، و شرائع التوراة.

فقدم هو و الأنبیاء قبله علی أمر ممهد مألوف معروف، و علی قوم قد ألفوا و عرفوا، و جاء محمد صلّی اللّه علیه و سلم قوما لا یعرفون الربوبیة، و یعبدون الأصنام، و ینکرون البعث و المعاد أشد الإنکار، لا یعرفون نبوة و لا طهارة و لا صلاة و لا صیاما و لا زکاة، أشد الناس نخوة و جبریة و أنفة، قساة جفاة، معاشهم من شن الغارات، یسفکون دماءهم و یئدون ذریتهم فرارا من العار.

و دعاهم صلّی اللّه علیه و سلم الی الربوبیة، و الی الاقرار بالنبوة و البعث و القیامة، و أخذهم بالصدق و الوفاء و أداء الأمانة و الخضوع للحق، و بالطهارة و الصلاة و الصیام و الاعتکاف و الزکاة، و صلات الأرحام، و قطع السارق، و جلد/ القاذف و الزانی و شارب الخمر، و مساواة الموالی و الفقراء و الأعاجم و الضعفاء فی الدماء، و أخذهم بالبراءة من آلهتهم التی یعبدونها من دون اللّه، و من

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰

آبائهم و من أديانهم، و بالإقرار بضلالهم، و التدين بالبراءة منهم، و ببذل دمائهم و أموالهم فى طاعته، و بمجاهدة الأمم و معاداة الجبابرة و الملوك فى طاعته «۱»، فأخذهم بكل شدة، و أخرجهم من الراحة الى الكدّ و من المسالمة الى العداوة، و ألزمهم ما لم يكونوا ألفوا و لا عاهدوا، و ألزمهم الكلف و المؤن، فأجابوه بهذه الشرائط، فكان مجيئه على الوجوه التى قدمنا ذكرها من آياته و دلائل نبوته صلى اللّه عليه، و لم نجعل طاعة اصحابه له و تصديق القوم له و مصيره فى عساكر و جماعات من دلائل نبوته إلا لأنه اخبر قبل ذلك ان هذا سيكون فكان كما اخبر و كما قال على تلك الوجوه التى شرحناها و بيّناها. لأنه دعاهم الى امور و شرائط ظاهر التدبير و موجب الرأى و اقتضاء الحزم ألا يجيبوه و لا يتبعوه إلا ان يكون من قبل اللّه، و واثقا بوعد اللّه، فان سبيله فى ذلك سبيل من قال: هذه النملة الضعيفة تهزم هذه العساكر المعدة، او هذه الزجاجة الرقيقة ترض هذه الجبال الصلبة الشديدة، لأنه قد كان فى الضعف

---

(۱) كانت الصبغة الغالبة على أديان العرب فى الجاهلية هى الصبغة الوثنية، أى عبادة الاوثان، الا ان هذا لم يمنع وجود عدد من الاديان الاخرى. فقد كان بين العرب صابئة يعظمون الكواكب و النجوم و يعبدونها، و دان بعضهم و خاصة فى البحرين بالمجوسية الثنوية، كما وجدت مراكز صغيرة لليهودية و النصرانية. و وجد بعض الافراد ممن اعتقد بتوحيد اللّه، و معظم هؤلاء كان متأثرا بالاديان السماوية السابقة، و منهم زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، و ورقة بن نوفل بن أسد، و عبد اللّه بن جحش، و عثمان بن الحويرث بن اسد.

و ليس غرضنا هنا تفصيل أديان العرب فى الجاهلية، فان ذلك يعرف فى مواضع من كتب العقائد و الديانات و خاصة كتاب الآراء و الديانات للنوبختى، و الملل و النحل للشهرستانى، و الفصل فى الملل و النحل لابن حزم.

الا اننا نحب ان نشير الى ان القاضى عبد الجبار تعرض لهذا الموضوع بالتفصيل فى الجزء الرابع من موسوعته الكبيرة المغنى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱

و الوحدة على ما قد علمه الناس، ثم دعاهم الى ما يكرهون، و أخذهم بكل شدة، و فرض عليهم الامور الغليظة الصعبة على ما تقدم من شرح ذلك، فعلمت و تيقنت/ أنه نور اللّه و من قبل اللّه.

فإن قيل: أو ليس قد اباحهم الغنائم، فما تنكرون ان تكون اجابتهم له لهذه العلة؟ قيل له: هذا لا يسأل عنه من يعقل و لا من يفكر لأن القوم قد اعتقدوا صدقه و نبوته فكانت إجابتهم له لهذا و على هذا القربى الى اللّه عن رضى بذلك، فمن ادعى غير هذا فقد أنكر المعلوم، او يكون لم يسمع الاخبار. فهم إنما أجابوه على ان ينفقوا أموالهم و يسفكوا دماءهم و يقتلوا آباءهم و أبناءهم فى طاعته و لأجله، فكيف يسوغ لعاقل فكّر و تدبّر ان يقول إنما اجابوه طلبا للدنيا و رغبة فى الراحة و الدعة و الأمر بالضد من ذلك. و بعد فان لم يكن تبعوه «۱» إلا للغارة و للغنائم لكانوا يقولون له: حاجتنا إليك فى الغارة و الغنائم و نحن أعلم بها منك، و هى صناعتنا نحن و عادتنا، و ما الذى يدعونا الى اتباعك و ما معك و ما تبعك إلا ان تبعثنا على الغارة و الغنائم؟ أمن أجل سعة أموالك و كثرة كنوزك و مروج خيولك و اصطبلات دولك؟ أم لخزائن سلاحك. و من أخذنا بأن نكفر آباءنا و نشهد بضلالهم و نسخف أجلاءهم، و نسوء اختيارهم، و نعادى الأمم و جبابرة الملوك، و نسفك دماءنا فى طاعتك، و نقتل كل من عاداك و خالفك و إن كانوا آباءنا و أبناءنا أو إخواننا، و نفارق اوطاننا و أزواجنا، و نهجر اللذات من شرب الخمور و لبس الحرير و شفاء الغيظ بقتل/ من سبّنا أو عاب آباءنا كعاداتنا فى ذلك، ثم لا نحصل إلا على شىء اذا غنمناه بقوتنا و غلبنا عليه بأسيافنا بعد المخاطرة بدمائنا

---

(۱) فى الأصل، تبعه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲

أن نسلمه إليك فتعطينا بعضه، هذا لا يختاره بله النساء فكيف بالمهاجرين و الانصار الذين أجابوه فصار بهم فى عز و منعة، و صبروا

على تلك الشرائط التى شرطها.

و بعد فإن لم يكن نبيّا فهم لا يدرون هل يصل الى غنيمة؟ و لعله لا يتم له شيء مما يعدّ، فما كانوا ليتبعوه لما يظنه الخصم، و لو لا أن هذا قد كان فى أهل الذمة و طبقات الزنادقة، و تعدوا الى قوم زعموا أنهم من المسلمين لما ذكرناه، و لكنه شيء يستزلون به المسلمين الذين لا ينظرون فيما هذا سبيله، و يغترون بالظاهر.

هؤلاء الذين ادعوا أنهم من المسلمين، و أنهم من خاصة الخاصة «۱»، و ممن قد عرف ما لا يعرفه غيره، و أن للأمور غوامض و بواطن قد عرفها، فيعتقد من يسمعه فى المهاجرين و الأنصار الغافلة و البله و قلة العقل، و من تدبّر، يعلم أنهم أوفر عالم اللّه عقولا، و أحسنهم تحصيلا، و أسرعهم استدراكا لخفيات الامور و غوامضها، لا فرق بين من رمى المهاجرين و الأنصار بذلك، و بين من رمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بذلك. فإن آثار عقول المهاجرين و الانصار معروفة فى أفعالهم، و تدبيرهم الدنيا، و سياسة أهلها، و ترتيب خواصهم و عوامهم، و أخذها من أيدى دهاة الملوك و عقلاء الناس، و تفصيل ذلك يطول.

فإن قيل: و من سلم لكم عقل صاحبكم حتى تقولوا إن من دفعنا عن عقول المهاجرين و الانصار كمن دفعنا عن عقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؟

---

(۱) يقصد بهؤلاء الباطنية، فقد وقعوا بأكثر الصحابة و هاجموهم، فادعوا أن اسلامهم انما كان لمال او جاه، و لم يستخلصوا من الصحابة الا عددا محدودا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳

قيل له: إن أعداءه لا يدفعونه عن ذلك، فإنهم قالوا: ما جمع المهاجرين و الانصار و هو فقير وحيد أجير معيل و قد دعاهم الى ما قدمنا و على الشرائط التى ذكرنا إلا بعقل وافر، و حلم واسع، و بلطف فى التدبير، و حسن تأتّ و علم بالعواقب، و سعة فى الفطن، و هذا قول عدوّه فيه.

فأما وليّه فيقول: هذا لا يبلغه عاقل بعقله، و لو كان أتم الناس عقلا، و أوسعهم علما و حلما، و أكثرهم مالا، و لا يكون هذا على تلك الشرائط إلا بتدبير اللّه عزّ و جلّ، الذى يملك العقول، و يقلّب القلوب، و بوحى منه عز و جل.

فإن زعم الأعداء أن الذى تم له كان مع قلة العقل و بالعجز فيه و الخبط فقد خرجوا من كل معقول، و تبرءوا من كل تمييز و محصول، و جعلوا أنفسهم ضحكة و أحلوا بها المكاره، و أعطوا خصمهم اكثر مما طلب، و شهدوا بأن اللّه قد نقض له العادات اكثر مما نقضها لأحد من الناس كلهم ممن ادعى النبوة و الحكمة و غيرهم لأنهم زعموا أنه تم له ما تم بتلك الشرائط و على تلك بعقل ضعيف و خلق سخيف و بالذهاب عن الحزم و الحلم و مع طول الغافلة، فاذا تبيّن عقله لمن تفكر من/ عدوّه، علم أن عقول المهاجرين و الانصار مثل عقله أو قريب منه، و كذا عقول قريش ثم العرب؛ فإن العقلاء و الحكماء يقولون: الأمم العاقلة هم:

العرب و الفرس و الهند و الروم، ثم قالوا: أعقل الاربع العرب و الفرس، ثم اختلفوا أيهما أعقل و أحكم و أفطن، الفرس أم العرب؟ و خاضوا فى ذلك، و ذكروا ما لكل أمة من وصية و حكمة، و تدبير و سياسة، و هذا ما لا يدفعه العاقل المتفكر المتدبر.

فإذا كان عقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قد عرفه عدوه و وليّه، فمن هذا عقله

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴

لا يأتى تلك الامم و يستقبلها بتلك المكاره التى فصلنا و حاله فى الوحدة ما ذكرنا ثم يقول: لا تقتلوننى مع حرصهم على قتله، و يقول:

ستصيرون أنصارى مع شدة ما دعوتكم إليه و هو غير واثق بما قال، و لا ساكن الى ما أخبر، ثم لا يرضى او يجعل ذلك كتابا يقرأ، و قرآنا يتلى، و يجعله فى يد عدوه فيقول: «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» «۱».

يريد بالآفاق: ظهور الاسلام عليها، و بلوغ دعوته إليها، لأنه قد كان وعد بذلك و هو بمكة، و حين ادّعى النبوة، فكانوا يقولون: أ يطمع محمد أن يظهر على الآفاق؟ لا، و لا على مكة، و لا على دار من دور مكة؛ «و فى أنفسهم» يريد: فى اسلام من يسلم منهم بعد الردّ و التكذيب/ و من يقيم على تكذيبه و يموت على شركه على ما لعلّه ان يرد تفصيله عليك.

و فى هذا المعنى قوله عز و جل: «خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ، سَأُرِيكُمْ آياتِى فَلا تَسْتَعْجِلُونِ» «۲» لأنه صلّى اللّه عليه و سلم كان اذا ذكر ظهور دينه، و غلبة اصحابه، و قتلهم لأعدائه، استبعدوا هذا بل أحالوه، و قطعوا الشهادة بأن هذا لا يكون أبدا، فيقول فى جواب ذلك: «خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون».

و فى هذا المعنى قوله عز و جل: «فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ» «۳» يعنى هؤلاء: مثل أبى جهل، و أبى لهب،

---

(۱) فصلت ۵۳

(۲) الأنبياء ۳۷

(۳) الانعام ۸۹

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵

و عقبة بن أبى معيط، و الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل و أشباههم و أمثالهم من اعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. فعزّى اللّه نبيه، و بشّره بقوم يطيعونه و يتبعونه، فيسّر له المهاجرين و الأنصار كما وعده.

و قد أذكره بإنجاز هذا الوعد و وقوع الوفاء به، فقال عز و جل:

«وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ. وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۱» لأن اجتماع المهاجرين و الأنصار له، و اعتقادهم نبوته، و إخلاصهم فى طاعته على تلك الشرائط التى تقدم ذكرها، و على الوجوه التى/ قرر دعوته عليها لا يكون و لا يتم باتفاق جميع ما فى الارض، و لا يكون ذلك إلا بتدبير اللّه و صنعه، و هو من آياته التى نقض العادات بها.

و مثله قوله: وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً. وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها. كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ «۲»» و هم قد كانوا عقلاء قد عرفوا هذا «۳»، و لا يجوز فى العقل ان يقول رئيس قوم لأتباعه: قد كنتم اعداء يعادى بعضكم بعضا ثم صرتم اخوانا يخلص بعضكم لبعض المودة و بى هداكم اللّه و جمعكم

---

(۱) الانفال ۶۲ و ۶۳.

(۲) آل عمران ۱۰۳ و ۱۰۴.

(۳) يشير القاضى الى الدعوة العباسية التى حمل العبء الأكبر فى تأسيسها ابراهيم بن محمد ابن على بن عبيد اللّه بن العباس، و قد بويع بعده لأخيه أبى العباس عبد اللّه بن محمد و ذلك فى سنة ۱۳۲ ه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶

و هو يعلم انهم يعلمون انه قد كذبهم؛ هذا فى رئيس لا يدعى النبوة فكيف بمن يدعى الصدق و النبوة؟ و هذا قول قد سمعه عدو النبى صلّى اللّه عليه و سلم من اليهود و النصارى و قريش و العرب، و أخرسهم صدقه، و بهر عقولهم تمامه و الوفاء به، لأنهم اجتمعوا له بتلك الشرائط التى قد تقدمت، و هو بخلاف اجتماع الاتباع لخطّاب الملك و طلاب الدنيا.

فان قيل: أ فليس علىّ بن عبد اللّه ابن العباس ابن عبد المطلب عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و ابنه محمد و بنو محمد،

كإبراهيم الامام و إخوته، كأبى العباس، و أبى جعفر، و غيرهما، قد كانوا مقهورين و مغلوبين ببنى أميّة، فدعوا الى انفسهم بخراسان فأجيبوا، و صاروا فى عساكر و جماعات، فغلبوا بنى أميّة على الملك، و قتلوهم و أخذوا كل ما فى ايديهم الا بلاد الاندلس من ارض المغرب، فلم لا يكون سبيل نبيكم و غلبته هذه السبيل؟ و إلا فقد لزمكم ان تقولوا بنبوة بنى العباس كما قلتم بنبوة صاحبكم.

قيل له: قد فرغنا من هذا مرة و تبيّنا الجواب فيه، و هو أنا لم نقل بنبوة محمد صلّى اللّه عليه و سلم لأنه صارت له رئاسة و صار متبوعا و صارت له عساكر، و لكن لأنه أخبر بالأمور قبل كونها على غير مجرى العادة، بل على ما هو نقض للعادات، لأنه أتى الناس و هو وحيد فقير أجير، فأغضبهم و غاظهم و جادلهم و عادوه، و أخبر أنهم سيغلبون، و أنه يغلبهم و يقهرهم، و قالوا: بل نحن نغلبك و ندبرك، و كان موجب التدبير و مقتضى الحزم أن تكون الغلبة لهم لا له، إلا أن يكون من قبل اللّه و رسولا للّه، لأنهم و اليهود و النصارى و الفرس و المجوس يد واحدة فى عداوته و القصد

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷

لقتله و إطفاء نوره و لمنع اتباعه، و الرجال و الكراع «۱» و السلاح مع عدوه لا معه، فآلت الأمور الى ما قاله، و كما أخبر، و على ما فسر.

و لم تكن هذه سبيل بنى العباس؛ فإنهم ما ادعوا نبوة و لا رسالة، و لا أتوا مثل ما أتى من الإخبار بالغيوب.

و أخرى ان بنى العباس قصدوا، المسلمين من اهل خراسان، الذين قد اعتقدوا نبوة محمد صلّى اللّه عليه و سلم، فتدينوا باقامة شريعته وحد حدوده، بانكار ما أنكره و باكرام من اكرمه، و إجلال من اجله، و باهانة من ارتكب الكبائر فشكوا إليهم ما نزل ببنى هاشم خاصة ثم بالمسلمين عامة من بنى أمية. و بنو هاشم اذ ذاك كلمة واحدة، ما اختلفوا و لا تباينوا. فكان ولد العباس و ولد على و ولد جعفر و ولد عقيل «۲» و سائر بنى هاشم متفقين، و انما اختلفوا بعد مصير الدولة و الملك الى بنى العباس أيام أبى جعفر المنصور، فجرى بينه و بين بنى عمه من ولد الحسن ما هو معروف، فحينئذ اختلفوا، فذكر بنو هاشم لأهل خراسان ما صنعه بسر بن أرطاة بعبيد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، و انه قصده و هو عامل امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى اللّه عنه، فهرب من يده، و وجد له ابنين طفلين فقتلهما و قتل جماعة من اصحابه «۳». و أذكروهم بقتل حجر بن عدى

---

(۱) الكراع من الدابة: ما دون الساق، يريد القاضى ان يشير الى الخيل و غير ذلك من الحيوانات التى يتقوى بها على القتال. انظر لسان العرب، مارد كرع

(۲) يقصد: العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى اللّه عليه و سلم، و على بن ابى طالب، و جعفر بن ابى طالب، و عقيل بن أبى طالب رضى اللّه عنهم جميعا.

(۳) انظر لتفصيل هذه الحادثة الطبرى ۱: ۳۴۵۱ و ۳۴۵۲

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸

و أصحابه «۱»، و بكربلاء و من قتل من بنى هاشم بها، و بقتل مسلم بن عقيل «۲»، و بالحرة «۳»، و بعسكر التوابين «۴» من اهل عين الوردة، و بما أنزلوه بالكعبة فى قتال آل الزبير «۵»، ثم بمن قتلوه من القراء او الفقهاء الذين ثاروا مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث «۶» فى الانكار على الحجاج و عبد الملك بن مروان، و بقتل زيد بن على و يحيى بن زيد «۷»، و بصنيع

---

(۱) لتفصيل حادثة مقتل حجر بن عدى من قبل بسر بن أبى أرطأة عامل معاوية انظر الطبرى ۲: ۱۱۱.

(۲) قتل مع الحسين رضى اللّه عنه سنة ۶۱ ه هو و اخوه و ابنه الطبرى ۲: ۳۸۸

(۳) الحرة فى الأصل هى الارض ذات الحجارة السوداء النخرة كأنها أحرقت بالنار، و هناك أماكن كثيرة أطلق عليها هذا الاسم. و

المقصود هنا حرة المدينة حين وردها مسلم بن عقبة من قبل يزيد بن معاوية و كانت فيها وقعة الحرة سنة ۶۳ ه حيث استبيحت المدينة بعدها ثلاثة ايام.

انظر معجم البلدان ۲: ۲۴۷ و الطبرى ۲: ۴۱۲ و ما بعدها.

(۴) المقصود بهم من خرج من اهل العراق يطلبون دم الحسين رضى اللّه عنه سنة ۶۵ ه و قالوا: أخرجتنا التوبة من ذنبنا و الطلب بدم ابنة نبينا صلى اللّه عليه و سلم. انظر تفصيل ذلك فى الطبرى ۲: ۵۳۸- ۵۷۶.

(۵) كان رمى الكعبة بالمنجنيق بأمر من الحجاج سنة ۷۳ ه و قيل ۷۴، و كان اميرا لجيوش بنى أميّة المحاصرة لعبد اللّه بن الزبير فى مكة، و قد قتل عبد اللّه بن الزبير فى تلك السنة. ابو الفداء ۱: ۱۹۷.

(۶) خرج عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج سنة ۷۵ و استولى على خراسان و غلب على الكوفة، لكن الحجاج قضى على حركته فى نفس السنة، و كان قد خرج مع الأشعث مجموعة من القراء و الفقهاء. ابو الفداء ۱: ۱۹۷.

(۷) زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ۷۹- ۱۲۲ ه كان فقيها، و قرأ على واصل بن عطاء و اقتبس منه بعض آراء المعتزلة. خرج على الامويين سنة ۱۲۰ فى العراق و كان عامل الامويين فيه يوسف بن عمر الثقفى، و قد قاتله والى الكوفة الحكم بن الصلت، و استشهد سنة ۱۲۲ ه. الطبرى ۸: ۲۶۰، ۲۷۱، فوات الوفيات ۱: ۱۶۴.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹

الوليد بن يزيد/ بن عبد الملك «۱» و ما اتى من شرب الخمور و المجاهرة بذلك.

فأثار بنو العباس و دعاتهم اهل خراسان بذلك، فقدم بنو العباس على امر ممهد و جند مجند، و على قوم مسلمين قد صدّقوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و رضوا بما رضى رسول اللّه، و غضبوا مما يغضب منه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. فبنو العباس الى رسول اللّه نحوا، و بأمته و المصدقين به استجاروا، فالذى تم لهم فبرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم تم، و بظله تفيئوا، و به تستروا، و هذه سبيل كل من ادعى بعده صلّى اللّه عليه و سلم الامامة من بنى هاشم و من جميع قريش او ادعى انه من قريش.

و كلهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم تشبثوا، و به تستروا و استعاذوا و لاذوا، و لأجله تم لهم ما تم. و أنت تجد ذلك فى واحد واحد منهم فى مشارق الارض و مغاربها، و تعرف الحق منهم من المبطل، و الدّعىّ من الصريح، فأين هذا من دعوة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و سبيلها ما قدمنا و شرحنا.

فإن قيل: أو ليس مع ادعائه النبوة قد حمل السيف على من خالفه، و حارب بمن أطاعه من عصاه، فما تنكرون ان يكون الذى تم له من اوله الى آخره انما تم بالسيف و بالمكابرة، لا بالآيات و المعجزات؟

قيل له: ما انكرنا انه حمل السيف، و انما كلامنا فى الذين صاروا سيوفا له و عساكر/ و بهم استطال على عدوه، فإن هؤلاء قد أجابوه بلا دنيا و لا سيف كما قد قدّمنا و بينا، و بمصيرهم الى طاعته صحت نبوته فظهرت دلائل رسالته، لأنه ما خلق قوما حملوا السلاح معه، و انما أجابه المهاجرون

---

(۱) الوليد بن يزيد هو الخليفة الحادى عشر من خلفاء بنى أميّة، تولى امرة المسلمين سنة ۱۲۵ ه و عكف على شرب الخمر و سماع الغناء و معاشرة النساء، و قد ثقل امره على الرعية و الجند فثاروا عليه سنة ۱۲۶ ه بعد ان دعا يزيد بن الوليد بن عبد الملك الى نفسه، و قد قتل الوليد فى نفس السنة. تاريخ ابى الفداء ۲۰۵- ۲۰۶.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰

و الأنصار الذين هم من قريش و غيرهم من العرب و قد أتاهم بإكفارهم و إكفار آبائهم على ما شرحنا و بينا، و هو من الوحدة و الفقر على ما ذكرنا، فمكث بمكة بعد ادعائه النبوة خمسة عشر سنة يدعو الى دينه، فيجيبه النفر بعد النفر على خوف شديد، و قد تجردت

قریش و غیرهم من اعدائه له صلّی اللّه علیه و سلم و لمن اتبعه و أطاعه، فیقصدونهم بالضرب و التعذیب الشدید، و یمنعونهم الأقوات، و یتعاهدون علی ان لا- یبایعوهم و لا- یشاروهم و لا یناکحوهم، و قد کتبوا فی ذلک الصحف «۱»، و قد قتلوا منهم قبل الهجرة رجالا و نساء و کانوا یرصدون لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و لدعاته إذا خرج الی الموسم لدعاء الناس و إظهار ما معه و تلاوة القرآن، فیقولون للعرب: هذا منا و قد صبأ و هو ساحر کذاب، فلا تطیعوه و لا تسمعوا لما معه، فنحن اعلم به، و قد سفه احلامنا، و ضلل ادیاننا، و اکفر آباءنا، و فرق آلافنا، و أفسد أحداثنا و عبیدنا و نساءنا.

ثم کان هو صلّی اللّه علیه و سلم یرجم و یضرب الضرب المبرح، و یداس و یطرح علی رأسه الفرث و التراب/ و یلقی من المکاره هو و من اتبعه ما یطول شرحه «۲». فلم یکن لأصحابه مع شرفهم و شرف أهلهم قرار، و لا أمکنهم المقام للشدائد التی تنالهم، حتی فروا بأدیانهم فی الأمصار و البلدان حتی عبروا البحار و صاروا الی ارض الحبشة «۳»، فتعرف قریش أخبارهم

---

(۱) لما رأت قریش ان امر النبی صلی اللّه علیه و سلم فی ازدیاد و ان عمه ابا طالب یحمیه منهم ائتمرت بینها ان یکتبوا بینهم کتابا یتعاقدون فیه علی ان لا- ینکحوا الی بنی هاشم و بنی المطلب و لا- ینکحوهم و لا یبیعونهم شیئا و لا یبتاعوا منهم، و قد انحازت بنو هاشم و بنو المطلب الی ابی طالب فدخلوا معه فی شعبه إلا عمه ابو لهب فانه ظاهر قریشا. و قد اقام المسلمون علی ذلک سنتین او ثلاثا حتی جهدوا. الطبری ۱: ۱۱۹۰

(۲) انظر الطبری ۱: ۱۱۹۸- ۱۱۹۹

(۳) کانت الهجرة الاولی الی الحبشة فی السنة الخامسة من بعثة النبی صلی اللّه علیه و سلم، و قال بعض المؤرخین ان عدد المسلمین المهاجرون منها کانوا احد عشر رجلا و أربع نسوة. الطبری ۱: ۱۱۸۱، و قال بعضهم بل کانوا اثنین و ثمانین رجلا. الطبری ۱۱۸۳.

و الی أین توجهوا، فترسل فی طلبهم و تغری بهم و تنفر عنهم و تنفق فی ذلک الاموال. فأرسلوا الی النجاشی ملک الحبشة و هو اذ ذاک نصرانیّ بمن ینفّره عن المسلمین الذین فرّوا بأدیانهم الی ارض الحبشة، و حملت إلیه قریش هدایا و لاطفوه، و قالوا له: إن هؤلاء قوم منا، و قد اتبعوا رجلا منا فأفسدهم، و هو عدونا و عدو النصاری، و هو یقول فی المسیح: أنه عبد مخلوق، فسلموهم إلینا.

و کان هناک عثمان بن عفان و معه امرأته رقیة بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و جعفر بن أبی طالب و معه أسماء ابنة عمیس، و خالد بن سعید بن أبی أحیمة، و الزبیر بن العوام «۱»، و عمار بن یاسر «۲»، و أبو حذیفة بن عتبة «۳»، و نحو مائة من وجوه المهاجرین، و کانت لهم مع رسول قریش الی النجاشی مجالس و خصومات طویلة، فصارت العقبی للمسلمین، و قامت حجتهم، و عرفها النجاشی ملک الحبشة فأسلم و استبصر «۴».

و ما زال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یعرض نفسه علی اهل المواسم اذا اجتمعت/ قبائل العرب، و خرج الی الطائف «۵» یدعو الی اللّه و یقول: أنا رسول اللّه

---

(۱) الزبیر بن العوام الصحابی المشهور المتوفی سنة ۳۶ ه، و لمعرفة خالد بن سعید بن ابی أحیمة (العاص) انظر الاصابة ۱: ۹۱، و لبنت عمیس و جعفر الاصابة ۱: ۱۱، و أسماء هی زوجة خالد بن سعید.

(۲) عمار بن یاسر الصحابی الجلیل المتوفی سنة ۳۷ ه، و قد شهد بدرا و أحدا و الخندق و لیلة الرضوان، انظر الاستیعاب بهامش الاصابة ۲: ۴۶۹.

(۳) هو ابو حذیفة بن عتبة بن ربیعة بن عبد شمس، هاجر الی الحبشة و معه امرأته سهلة بنت سهیل بن عمرو.

(۴) کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یذکر النجاشی بالخیر دائما، و قد نعاه بنفسه للمسلمین سنة تسع من الهجرة.

(۵) کان ذلک بعد وفاة ابی طالب عم الرسول صلی اللّه علیه و سلم، فقد خرج الی الطائف یلتمس النصرة من ثقیف فرده سادتها: عبد یا لیل بن عمرو، و مسعود بن عمرو، و حبیب بن عمرو ردا قبیحا، و أغروا به سفهاءهم و عبیدهم یسبونه و یصیحون به، حتی التجأ الی حائط لعتبة ابن ربیعة و شیبة بن ربیعة. الطبری ۱: ۱۲۰۰.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲

فمن یجیرنی حتی أبلغ رسالة ربی؟ و قریش تتبعه و تمنع من اتباعه. و قد عرض نفسه علی القبائل «۱»، و معه ابو بکر الصدیق و علیّ بن ابی طالب، و عمه ابو لهب یقول لتلک القبائل: نحن أهله و أعلم به فلا تسمعوا منه و لا تقبلوا قوله، فتلقی تلک القبائل رسول اللّه بالجفاء، و یقولون له: قومک أعلم بک، و لو کان عندک خیر لا تبعوک، فأمسک عنا، الی ان انتهی الی ربیعة و الی ذهل بن شیبان، فکلمهم و تلا علیهم القرآن، فقالوا: إنا علی هذا الماء من ذی قار، و قد اخذ علینا کسری ألا نحدث حدثا، و لا نؤوی محدثا، و هذا الذی أتیت به و دعوت إلیه تکرهه الملوک، فإن شئت ان نجیرک إلا من الملوک فعلنا، فقال صلّی اللّه علیه و سلم: ما أسأتم بالرد إذ أفصحتم بالصدق، إن هذا الدین لا یکون من اهله إلا من حاطه من جمیع جوانبه، أ رأیتم إن أظهرکم اللّه علیهم، و أورثکم ارضهم و دیارهم و اموالهم و أفرشکم نساءهم أ تطیعونه و تعبدونه حق عبادته؟ فتعجبوا من قوله و من إقدامه علی ان ملک کسری یزول بدعوته و یصیر ملکه لأصحابه، استبعادا لذلک، و استعظاما لملک کسری ان یزول بجبابرة الملوک الأقویاء الاغنیاء، فکیف یزول بهذا الوحید الفقیر؟ ثم/ یقولون هذا عاقل، و لم یکن لیقول هذا و یعرّض نفسه للملوک إلا و هو علی ثقة، ثم انصرف عنهم و ما اجابوه.

و ما زال یدعو و یعرض نفسه فی المواسم اذا اجتمعت العرب، الی ان لقیته الانصار «۲»، فسمعت منه و أجابوه و اسلموا، و خرجوا الی المدینة

---

(۱) انظر تفاصیل عرض النبی نفسه علی القبائل فی الطبری ۱: ۱۲۰۰- ۱۲۰۹.

(۲) کان اول من تلقی الرسول من اهل المدینة ستة نفر من الخزرج قدموا مکة فی موسم الحج، و عادوا الی المدینة بعد ان أسلموا، فدعوا قومهم الی الاسلام، و توالت الوفود من المدینة الی مکة فی مواسم الحج اللاحقة، و کانت بیعة العقبة الاولی التی حضرها اثنا عشر رجلا من الانصار، ثم کانت العقبة الثانیة التی شهدها سبعون رجلا و معهم امرأتان من نسائهم. انظر تفاصیل ذلک فی الطبری ۱: ۱۲۰۸- ۱۲۲۲.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳

و دعوا الی الاسلام، ثم عاد قوم آخرون فی سنة اخری و بایعوه و هو مقیم بمکة، ثم عادوا فی سنة ثالثة مع آخرین فبایعوه و رجعوا الی المدینة، و ظهر الاسلام بها.

و الانصار رضی اللّه عنهم انما هم قبیلتان عظیمتان من قبائل الیمن، ذو بأس و شدة و أموال، و ذو شوکة «۱» شدیدة و عدد و عدة، قد ترددوا إلیه، و سمعوا دعوته و احتجاجه، فأجابوه علی البراءة من ادیانهم التی کانوا علیها، و من آبائهم، و علی ان یبذلوا اموالهم و دماءهم، و علی معاداة ملوک العرب و العجم فی طاعته و له و لأجله.

و کم قد اسلم و أجاب علی هذه السبیل من قبائل العرب، کقبیلة اسلم، و کقبیلة غفار، و هما من قبائل خزاعة و کنانة «۲»، و کالذین اسلموا من عبد القیس «۳» و هم من فرسان ربیعة و رجالهم، و من قبائل فزارة «۴»، و من قبائل جهینة، علی هذه السبیل. و کم اسلم من اهل الیمن من ملوکها من حمیر و غیرهم، الی من اسلم من ملوک عمان من ولد الجلندی بن کرکر «۵»

---

(۱) کذا فی الاصل

(۲) انظر اسلام قبیلة أسلم و قبیلة غفار و فزارة و جهینة و فضائل هذه القبائل فی البخاری و مسلم باب المناقب.

(۳) و کان قدوم وفد عبد القیس فی السنة العاشرة للهجرة.

(۴) کان اسلام فزارة و کثیر من قبائل العرب فی العام التاسع للهجرة، و کان علی رأس وفدهم الی النبی خارجة بن حصن، الطبری ۱: ۱۷۲۰.

و قد سمی العام التاسع بعام الوفود لکثرة ما ورد المدینة من قبائل العرب معلنة اسلامها.

(۵) انظر لفضل عمان و الجلندی صحیح مسلم فی المناقب. و کان عمرو بن العاص رسولا من الرسول صلی اللّه علیه و سلم الی ملکی عمان جیفر و عبد بن الجلندی. السیرة الحلبیة ۳: ۲۵۲.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴

و کم قد اسلم من العجم و الانباط بصنعاء الذین کانوا جنود کسری، و اخرجهم مع سیف بن ذی یزن لینتصروا له من ملوک الحبشة الذین قتلوا اباه. و لعل قصتهم ان ترد علیک بأکثر من هذا الشرح.

فالذین اجابوه صلّی اللّه علیه و سلم و بهذه الشرائط و بلا حرب خلق کثیر، و امم عظیمة هی مذکورة، یعرفها اهل العلم، و من اراد ان یعرف/ ذلک حتی یصیر فی مثل حالهم قدر علی ذلک و وجد السبیل إلیه. فهؤلاء الذین اسلموا للّه و من خوف و تقربا الی اللّه، و هم عساکره.

و لما نشأت بدعة الخارجیة «۱» و هی اول بدعة نشأت فی الاسلام، ثم بعدها و بعد دهر طویل نشأت بدعة الارجاء «۲»، ثم بعدها بدهر طویل نشأت بدعة القدر «۳»، و بعد بدعة القدر بدهر طویل نشأت بدعة الرفض «۴». فکان العلماء یقولون: لا تسبّوا اصحاب محمد صلّی اللّه علیه و سلم فانهم اسلموا من خوف اللّه و أسلم الناس من خوف اسیافهم.

---

(۱) طائفة من المسلمین کانوا من اصحاب علی بن ابی طالب رضی اللّه عنه ثم خرجوا علیه بعد قبوله للتحکیم و اتهموه بالکفر لذلک و طلبوا منه ان یتوب و یجدد اسلامه، و قالوا ان مرتکب الکبیرة کافر. و قد حاول علی ان یقنعهم فلم یستطع فحاربهم، ثم حاربهم خلفاء بنی أمیّة. لم یبق منهم الآن إلا عدد قلیل فی عمان و لیبیا و الجزائر.

(۲) المرجئة علی النقیض من الخوارج، فقد قالوا ان مرتکب الکبیرة مؤمن و انه لا یضر مع الایمان کفر، و هم علی درجات فی عقیدتهم هذه.

(۳) یقصد من یقول ان العبد لا یقدر علی فعله و ان افعال العباد مخلوقة من اللّه فیهم.

(۴) الرافضة طائفة من الشیعة، و یسمیهم القاضی احیانا بالباطنیة، و اصح الاقوال فی سبب تلقیبهم بذلک انهم طلبوا من زید بن علی بن الحسین (و تنسب إلیه الزیدیة) ان یسب ابا بکر و عمر فرفض ذلک فرفضوه، و لم نجد ضرورة لتفصیل القول فی هذه الطوائف لأنه لیس من مجال حدیثنا.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵

و فاض الاسلام بالمدینة و فی هذه القبائل، و أقیمت فیها الصلاة، و أدیت الزکاة، و أقیمت الجماعات و الجمعة، و أقرئ القرآن، و صارت المدینة دار الهجرة؛ و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم مقیم بمکة محصور فی الشعب یؤذی و یقصد بأنواع المکاره هو و من اتبعه، الی ان هاجر الی المدینة و معه ابو بکر الصدیق الهجرة المعروفة.

فهؤلاء الذین اجابوا بلا حرب، و قبل الحرب احتججنا، و هو موضع دلالتنا فی هذه الآیة التی اخبر و هو فی تلک الحال انکم ستجیبوننی، و إن کانت لنا فی الحروب و المحاربین دلائل اخری لعلنا نذکرها لک فی کتابک هذا ان شاء اللّه.

فإن قیل: أو لیس قد کان یدافع عنه عمه ابو طالب و إن کان علی غیر دینه، و یشفع الی قریش فیه، و یعاتبهم فی بابه، و یذکرهم بصدقه و أمانته و قد کان صلّی اللّه علیه و سلم معروفا فیهم قبل الرسالة بمحمد الامین، و یسألهم الکف عنه و عن اذیته. و قد نصره

ابو بكر الصديق و صدّقه و كاشف «۱» فى بابه، و أنفق ماله فى/ نوائب الاسلام و فى عتق المعذبين فى اللّه و اتبعه من اهل مكة جماعة. و أسلم عمر قبل الهجرة و كاشف، و قال: لا نعبد اللّه سرا، فكيف ادعيتم له الوحدة و عليه الغلبة و هو بمكة؟

قيل له: قد علمنا انه حين دعا كان وحده و الناس كلهم على خلافه، و ليس فى اجابة هؤلاء و مدافعة ابى طالب طعن «۲» فيما استدللنا، بل هو من الدلائل على ما قال صلى اللّه عليه قبل ان يجاب انه يستجاب و ينصر، ثم مع

---

(۱) كاشفه بالعداوة: بادأه بها. انظر القاموس: مادة كشف

(۲) و قد كتب فوقها فى الاصل: به، و هى زائدة من الناسخ او المعلق.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶

نصرة هؤلاء و إجابتهم له صلّى اللّه عليه و سلم و مدافعة ابى طالب، ما خرجوا و لا هو خرج من ان يكون و يكونوا بمكة مقهورين مغلوبين، حتى فروا من عدوهم بأديانهم.

فإن قيل: فاذا كان اللّه قد وعد هؤلاء الأنبياء بزعمك بالنصر و الظهور فلم يفرّون من اعدائهم؟ فقد فرّ موسى من فرعون ببنى اسرائيل ليلا و خفية و منع من إيقاد النيران لئلا يراها فرعون و جنوده فيستدلوا بها عليهم و معه الآيات و المعجزات، و فرّ عيسى من مكان الى مكان بزعمكم و زعم النصارى، فانها تقول فى اخبارها و أناجيلها ان يوسف النجار فرّ بعيسى و أمه الى مصر من بيت المقدس خوفا من هيريدس «۱» ملك بنى اسرائيل، فأقاموا بها اثنى عشر سنة و معه بزعمكم و زعم النصارى الآيات و المعجزات، و فرّ صاحبكم من قريش و أقام بالغار و معه ابو بكر ثلاثة ايام و معه كما زعمتم الآيات و المعجزات.

قلنا: ليس فى فرارهم طعن فى اعلامهم، و ما قالوا لا يفرّ و لا يتوقى فيكون فى فرارهم تكذيب، فإن كل شىء و عدوا به و قالوه قبل ان يكون قد كان و تم على ما قالوه و شرطوه/ قبل ان يكون، و ليس فى فرارهم أيضا مقاربة لعدوهم و لا مداهنة، بل انما احتاجوا الى الفرار لترك المداهنة و المقاربة، و لشدة المكاشفة لعدوهم، و المبالغة فى اسخاطه و إرغامه، و لو قاربوا العدوّ و اتقوه لما احتاجوا الى الفرار.

فاحفظ هذا فانك محتاج إليه، فإن قوما زعموا انهم اتباع الأنبياء من المسلمين، اجازوا على انبياء اللّه و على من هو حجة اللّه على خلقه المداهنة

---

(۱) هيرودس او هيرودوس هو حاكم فلسطين الرومانى آنذاك. و انظر لقصة هرب يوسف النجار و عيسى عليه السلام و أمه مريم: الاصحاح الثانى ۱۳ متى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷

و المقاربة للمشركين و لأعداء الدين، و أن الأنبياء يمدحون المشركين و يزكون اعداء الدين و يظهرون ذلك، و يذمون المؤمنين و يتبرّءون من الأنبياء و المرسلين خوفا من المشركين، و يزعمون ان حجتهم فى ذلك فرار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و استتاره فى الغار ثلاثة ايام «۱». و قد بيّنا انه لا حجة لهم فى ذلك، بل هو الحجة عليهم، و أن الذى اخرج الأنبياء الى الفرار شدة المكاشفة، و ترك المقاربة، و قائل هذا لا يثق بأفعال الأنبياء و أقوالهم، و لا بتزكية من زكوه، و لا بلعن من لعنوه، لأنهم قد قالوا انه قد يجوز ان يكون ظاهر الأنبياء بخلاف اسرارهم و ضمائرهم، و أيضا فان الأنبياء لا يجوز ان يكون ظاهرهم بخلاف باطنهم و إن خافوا و إن قتلوا، و هذا اصل كبير فاعرفه.

فإن قيل: ادعيتم ان اعداء نبيكم من قريش و العرب و اليهود و النصارى حرضوا على قتله و هو بمكة، و هو فى تلك الحال من الوحدة و الذلة و ضعف الاتباع، فمن اعطاكم هذا، و من سلمه لكم؟

قيل له: ان من سمع اخباره و اخبار القوم معه يعلم ذلك، علما لا يرتاب به، كما يعلم انهم قد كذبوه و عادوه و اغضبهم ما اتاه و شرعه و دعا إليه، و لا فرق/ بين من قال: انهم ما حرضوا على قتله، و بين من قال: و لا كذبوه و لا عابوه و لا برئوا منه، و لا انكروا شيئا اتى، و لا خالفوه، و ادعى انه هو أيضا ما خالفهم، و لا عاب اديانهم و آلهتهم، و لا ادعى النبوة، و لا خالفهم فى البعث و النشر.

و قد حرضوا أيضا على ذلك و هو بالمدينة، و اعداؤه فيها معه من العرب

---

(۱) يقصد بهؤلاء الباطنية.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸

و اليهود و النصارى و هم كثير و نزول بالمدينة و حولها فى آطامهم و حصونهم محدقون بها كالإكليل، و قد غدروا به، و ارسلت قريش إليهم فى ذلك، و دست غير واحد، و كان من عامر بن الطفيل و أزيد فى الاحوال التى كان يكون فيها وحده فيصرفهم اللّه عنه بألوان الصرف، كما صرف ابا جهل و عقبة بن ابى معيط و الذين كانوا بمكة، كما هو مذكور. و كم دسوا له السم فى الطعام فصرفه اللّه عنه، و قد راموه منه فى طول حياته، و قد كان معهم و هو بالمدينة فى التبذل و التفرد و التطرح اكثر زمانه، على مثل حاله و هو بمكة. و انما كان يكون فى جماعة فى اسفاره و فى حروبه، فأما بيوته و حجرات نسائه فمن جريد النخل، و قد علم اهل العقل و التحصيل الفتك بجبابرة الملوك فى حصونهم و قصورهم و هم وراء الابواب الحديد، و قد تحرزوا بصنائعهم المشاركين لهم فى نعمهم بعبيدهم، كصنيع شيرويه بكسرى ابرويز «۱»، و قبله من ملوك فارس من كانت هذه سبيله. و كما جرى على المتوكل من المنتصر، ثم على ولده، الى ما جرى من الفتك بمحمد بن المعتضد/ المسمى بالقاهر باللّه، الى المتقى، و الى المستكفى، و الى ما جرى بالإحساء على ذكيره الاصفهانى من جنوده و اعوانه سنىّ نيف و خمسين و ثلاثمائة للهجرة فى جوف داره و احصن قصوره، و حوله و فى حجرته و معه ممن له نوبة فى حراسته و حفظه من الرجال المتسلحين اكثر من الفين، فقتل وحده من بينهم، و رفع رأسه.

---

(۱) يقصد الاشارة الى ما صنعه شيرويه فى سبيل الحصول على الملك، اذ شارك فى قتل ابيه كسرى أبرويز و كان من اعظم ملوك فارس، و قد عاصر الرسول كليهما و كانت هجرته عليه الصلاة و السلام ايام كسرى ابرويز. انظر الطبرى.

ثم ما كان يفعله الخلفاء العباسيون فى سبيل الوصول الى الحكم من قتل آبائهم او اخوانهم او اقاربهم.

و كذلك ما فعله خادم ذكيره (ذكرويه) الاصفهانى القرمطى من قتله.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹

و ليس فى هؤلاء من أغضب الناس إغضاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و لا من ادعى دعواه، و لا من أذكر عدوّه بعداوته و أيقظه و بعثه على قتله و خرج إليه بذات نفسه و ما يريد ان يعمله، مثل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. فانه أتاهم على الوجه الذى ذكرنا فى الوحدة و الفقر و رماهم بتلك العداوة، ثم قال:

و لا تقتلونى، بل أنا أقتلكم و أسبيكم و أستبيح حصونكم، فكان كما قال.

فإن قيل: و من سلم لكم أن المهاجرين و الانصار كانوا يعتقدون نبوته و صدقه، سيما و فى اهل ملتكم اليوم من طوائف الشيعة من يقول: إن أبا بكر و عمر و عثمان و تلك الجماعات و المهاجرين و الانصار ما آمنوا به قط، و لا اعتقدوا صدقه و لا تعظيمه و لا إجلاله و لا توقيره، و ما كانوا إلا زائرين «۱» عليه، معتقدين تكذيبه و افتعاله و احتياله، و انما كان اتباعهم له هزآ به، و اغتيالا له، و سخرية منه، و إرصادا لزلاته و إفساد امره، و لإبطال تدبيره، و لمغالبته على الرئاسة، و أنهم ما أقاموا له وزنا قط. و انما كان الذين يعتقدون ما ادعيتم فيه نفرا يسيرا، كانوا مغلوبين مقهورين بهذه الجماعات من المهاجرين و الأنصار، و أنهم خرجوا من/ الدنيا على حال القهر و الغلبة من هؤلاء المهاجرين و الأنصار، و معهم بذلك روايات و أقوال و نصوص يدعون انها من صاحبكم، و تصنيفات

قد ملأت الدنيا.

قيل له: إنا ما قلنا فى أبى بكر و عمر و عثمان و تلك الجلة و الوجوه من المهاجرين و الانصار انهم قد اعتقدوا تبرئته و صدقه، لمجامعة من ادعيت من الشيعة لنا، و انما قلنا ذلك بالتأمل لأحوالهم و بالاستنباط الذى قد ذكرنا

---

(۱) هذه الكلمة فى الاصل تختلط مع زارين، و الزئير صوت الأسد من صدره، و الزائر اسم الفاعل. يعنى القاضى هنا بيان شدة موقف الصحابة بزعم الباطنية من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۰

لك، فلن يقدح ذلك فى علومنا، و لن يوحشنا خلاف من خالفنا كائنا من كان من خلق اللّه، و قد شرحنا كيف كانت دعوته و على اى شرط كان إجابة القوم له؛ و قد علمنا قبل العلم بنبوته و صدقه انه صلّى اللّه عليه و سلم قد كان يحب أبا بكر و عمر و عثمان، و تلك الجماعة من المهاجرين و الانصار يحبونه، و يواليهم و يوالونه، و أنهم كانوا ثقاته و بطانته و أمناءه على نفسه و دينه و أهله، و أنه صلّى اللّه عليه و سلم كان أحب إليهم من اهلهم و آبائهم و أنفسهم؛ كما قد علمنا ان أبا جهل و أبا لهب، و الوليد بن المغيرة، و عقبة بن ابى معيط، و النضر بن الحارث بن كلدة، و العاص بن وائل، و ابن العيطلة، و أمية بن خلف، و أبىّ بن خلف، و عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و أولئك الملأ من قريش، كانوا اعداءه، و كذلك الملأ من اليهود، و كبنى قريظة، و النضير، و كبنى القعقاع، و كخيبر، و تلك القبائل من ثقيف، و غيرها من العرب، كانوا اعداءه و كان عدوا لهم يبغضهم و يبغضونه، و يعتقدون كذبه، و أنه مبطل، و لا- فرق/ بين من ادعى فى ابى بكر و عمر و عثمان و تلك الجماعات من المهاجرين و الانصار انهم ما اعتقدوا نبوته، و بين من ادّعى فيمن ذكرنا من قريش و العرب و اليهود و النصارى انهم ما اعتقدوا بغضائه و لا كذبه؛ و من انتهى الى هذا فقد بلغ الغاية فى الجهل، و لا فرق بين ادّعى هذا على هؤلاء من المهاجرين و الانصار، و من ادّعى ان الروم و الفرس و الهند الذين كانوا فى زمانه و زمان نبوته ما اعتقدوا تكذيبه و إن كان قد ظهر منهم ما قد ظهر.

فإن قيل: فكيف صدت طوائف الشيع عن هذا؟

قيل له: هذا إنما يعرف بالتأمل و التدبر و إن كان يسيرا، فمن لم يتأمل و لم يتدبر و لم يستنبط يذهب ذلك عليه؛ و مما يزيدك علما بذلك، و أن باطن هذه الجماعة من المهاجرين و الانصار كظاهرهم، و سريرتهم كعلانيتهم،

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۱

و أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم كان أحب إليهم من أبنائهم و أنفسهم، أنهم قد بقوا بعده و ملكوا الأمر و استولوا عليه، و امتدت أيديهم الى ملوك الدنيا و ممالكها، فجازوها و أنفقوها فى إعزاز دينه و تأكيد شريعته، و زهد وافى المباح المطلق، و حموا نفوسهم و أبناءهم منه، و أدخلوا الأمم من الفرس و الروم و الهند و غيرهم فى دينه، و فرضوا عليهم تصديقه و إجلاله، و من أبى القبول جعلوا دمه له، و أوطئوا أعداءه و شانئيه الذلّ و السيف فى مشارق الارض و مغاربها.

و قدم رحمك اللّه زهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقد كان أزهد الناس فيما تناحر الناس عليه و تطاعنوا فيه و تفانوا لأجله. فقد كان صلّى اللّه عليه و سلم ملك من أقصى اليمن الى بحر عمان الى أقصى/ الحجاز الى عرار العراق، و استولى على جزيرة العرب و كانت مقسومة بين خمسة ملوك، لكل واحد منهم شأن عظيم.

هاداه غير واحد من الملوك، و جبى ذلك كله فبذله، و حمى نفسه منه و أهله، و خيّر أزواجه على ارادة اللّه و رسوله و الدار الآخرة، و على أن من أراد الحياة الدنيا و زينتها متعه و سرحه سراحا جميلا «۱».

و كان صلّى اللّه عليه و سلم مع هذا الملك العظيم أيبس الناس عيشا، و أخشنهم لباسا.

و اعتبر من ذلك ببرده الذى يلبسه خلفاؤنا من بعده و قيمته مقدار دانقين، و بقدحه و خاتمه، و جميع ما صار عند خاصة أهله و عامة

أنصاره. ثم توفی و لم یترک عینا و لا دینارا و لا شیّد قصرا و لا غرس شجرا و لا شقّ لنفسه نهرا و لا استنبط لنفسه عینا و رغب لأهله و أصحابه فی مثل ذلک.

---

(۱) نزلت آیات التخییر فی سورة الأحزاب «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَیاةَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها فَتَعالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَ أُسَرِّحْکُنَّ سَراحاً جَمِیلًا. وَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْکُنَّ أَجْراً عَظِیماً» الأحزاب ۲۸ و ۲۹.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۲

و ملک بعده أبو بکر الصدیق رضی اللّه عنه جمیع ذلک، و نفذ فیه أمره، و امتدت یده الی بنی حنیفة و قوم مسیلمة، و غزا فارس، و افتتح الحیرة و القادسیة و عین التمر «۱» و صاروا ذمة له، و جباهم الأموال العظیمة. و افتح الشام و أوائلها و نفذ أمره فیها، فکان حاله فی الزهد تلک الحال التی کان علیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم.

و قام بعده عمر رضی اللّه عنه فحوی ذلک کله، و افتتح الی اقصی الشام و أخرج ملوک الروم منها و اعتصموا منه بالخلجان و الجبال، و افتتح مصر و الصعید الأعلی، و افتتح الجزیرة و العراق و السّواد و فارس و کرمان و سجستان و کورة الاهواز، و ما سقته دجلة، و ما سقته الفرات/ و ما سقاه النیل، و حملت إلیه خزائن الملوک و ذخائرهم، و مکث علی ذلک عشر سنین ثم قبض و حاله فی الزهد تلک الحال.

ثم قام بعده عثمان رضی اللّه عنه، فحوی تلک الممالک کلها، و افتتح خراسان عن اقصاها، و أخذ ملوکها و أصفهان من الجبال، و فی زمانه قتل المسلمون یزدجرد بن شهریار ملک فارس، و افتتح اذربیجان، و افتتح ارمینیة، و جرجان و طبرستان و غیر ذلک، و استولی علی ملوکها و ممالکها، و فتح المغرب و هی مسیرة سنین برا و بحرا و طولا- و عرضا، و افتتح من جزائر البحر عدة جزائر عظیمة تکون مسیرة شهر طولا و عرضا، و جبا ذلک کله، و مکث علی ذلک اثنی عشر سنة، و کانت مدته اطول، و امتدت یده،

---

(۱) بلدة قریبة من الأنبار غربی الکوفة سمیت کذلک لکثرة التمر فیها، افتتحها المسلمون فی ایام ابی بکر علی ید خالد بن الولید فی سنة ۱۲ للهجرة. معجم البلدان ۳: ۷۵۹، ارسل إلیها معاویة النعمان بن بشیر فأخذها من عامل علی سنة ۳۹. الطبری ۱: ۳۴۴۵

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۳

و ملک و حوی اکثر مما ملکه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و أبو بکر و عمر رضی اللّه عنهما، ثم نفض یده من جمیع ذلک و زهد فیه مع قدرته علیه و تمکنه منه و نفوذ أمره فیه، و صار عند قوم عمر أزهد منه، لأنه رحمة اللّه علیه برّ أقاربه من مال و ولّاهم، و لم یفعل ذلک عمر، فکان زهده یصغر فی جنب زهد عمر.

ثم قام بعده علیّ رضی اللّه عنه، فحوی جمیع ما حواه الخلفاء قبله و جباه و نفذ أمره فیه، إلا- الشام، و مکث علی ذلک نحو ست سنین، فنفض یده من جمیعه و زهد فیه.

ثم اعتبر بزهد عمال ابی بکر و عمر و الخاصة من أعوانهما، کعتبة بن غزوان «۱» و أبی عبیدة «۲» و معاذ بن جبل «۳» و شرحبیل بن حسنة «۴» و سعد بن ابی وقاص «۵» و عمار بن یاسر «۶»/ و بلال «۷» و النعمان بن

---

(۱) هو عتبة بن غزوان بن جابر، یکنی أبا عبد اللّه و أبا غزوان، من حلفاء بنی نوفل بن عبد مناف، قدیم الاسلام، هاجر الی الحبشة الهجرة الثانیة، و هو الذی مصر البصرة و اختطها، توفی فی خلافة عمر و روی عن الرسول. الاصابة ۴: ۲۱۵، الطبری ۳: ۲۳۷۶.

(۲) ابو عبیدة عامر بن عبد اللّه بن الجراح، قدیم الاسلام، هاجر الهجرتین و شهد بدرا و بشر بالجنة، مات فی طاعون عمواس بالشام سنة ۱۸ ه. الاصابة ۴: ۱۱.

(۳) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عدی، شهد المشاهد مع النبی و کان احد الذین أرسلهم رسول اللّه (ص) الی الیمن لدعوة اهلها الی الاسلام، روی عن النبی (ص) و مات بطاعون الشام سنة تسع عشرة او بعدها. الاصابة ۶: ۱۰۷.

(۴) هو شرحبیل بن حسنة نسبة الی أمه علی الأغلب، کان ممن سیره أبو بکر فی فتوح الشام، توفی بطاعون عمواس فی الشام سنة ۱۷ ه. الاصابة ۳: ۱۹۹.

(۵) هو سعد بن مالک بن أهیب، احد العشرة و آخرهم موتا، کان اول من رمی بسهم فی سبیل اللّه واحد الستة اهل الشوری و قائد فتوح العراق، توفی بعد الخمسین من هجرة الرسول.

الاصابة ۱: ۳۰.

(۶) عمار بن یاسر بن عامر بن مالک حلیف بنی مخزوم و أمه سمیة مولاة لهم، کان من السابقین الاولین و ممن عذب فی اللّه، شهد المشاهد کلها مع النبی، استعمله عمر علی الکوفة، قتل مع علی بصفین سنة سبع و ثلاثین. الاصابة ۴: ۲۷۳- ۲۷۴.

(۷) هو بلال بن رباح مؤذن الرسول (ص). الاصابة ۱: ۱۸۹.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۴

مقرن «۱» و اخوته، و غیرهم ممن یطول الکتاب بذکرهم و شرح أحوالهم، و هو مذکور فی مواضعه، و لا یشک فی زهد هؤلاء إلا من شک فی زهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و لا یبلغ ذلک إلا الجاهل القلیل النظر البطیء التأمل.

فأما من نظر و اعتبر و کان قصده التعرف و التبین، فان ذلک یفضی به الی العلم بأنه ما صحب نبیا قط قوم أزهد و لا أردع و لا أعلم من هؤلاء قبل ان یرجع الی قوله عز و جل: «کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ «۲»». فلو کان غرض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و أصحابه الدنیا و الملک لکانوا و إن ابتدءوا بذکر الزهد فی اول أمرهم إذا ملکوا و قدروا علیها قد ساروا فیها سیرة طلاب الدنیا و ملوکها و خطّابها، و ما لبثوا ان تظهر سرائرهم و ضمائرهم عند القدرة. بهذا جرت العادة، و هکذا أخرجت العبرة، فان من تخلّق للناس و تصبّر خوفا منهم و اتقاء لهم و مداراة لهم، اذا قدر و تمکن تغیر و زال عما کان، و ظهر مکنونه، فلما دام أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و هؤلاء و اتصل علی طریقة واحدة، علم العامل المتأمل ان سریرتهم کعلانیتهم، و ظاهرهم کباطنهم.

و قد رغب قوم منهم فی المباح و فیما أحله اللّه لهم، و لا لوم علیهم و لا تعنیف، و انما کان کلامنا فیمن زهد فی المباح المطلق منهم، و قد ملک هؤلاء ما لم یملک ابراهیم و إسحاق و یعقوب و الأسباط و موسی و هرون و داود و متی و عیسی، و إن کان الأنبیاء خیرا منهم.

---

(۱) هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزنی، أخو سوید و اخوته، له ذکر کثیر فی فتوح العراق و فارس. توفی سنة احدی و عشرین هجریة.

(۲) آل عمران: ۱۱۰

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۵

و انما ذکرنا هذا لأن الیهود و النصاری و المجوس و أعداء رسول اللّه/ صلّی اللّه علیه و سلم یقولون جهارا، بحضرة المسلمین و فی دواوین السلاطین، و فی المحافل بحضرة الأمراء الأشراف: أما الاسلام فقد کفیناه و دفع بعضه بعضا، و قد کنا نقول سرا بیننا فی أصحاب محمد و نفسه أشیاء تقولها الیوم الشیعة جهارا و تزید علینا فیه، من ان اصحاب هذا الرجل و أتباعه و أنصاره ما کانت لهم بصیرة فی أمره و لا یقین مع الصحبة و طول المشاهدة و لا أقاموا له وزنا، و انما طلبوا الدنیا و النهب و الفأرة، و قد بیّنا فساد ذلک، و فیه من البیان اکثر من هذا، و فیما ذکرناه کفایة.

فإن قیل: أ فتستدلون علی صحة دینکم بأن هؤلاء قد اعتقدوا بنبوّة صاحبکم و صدقه، و ان ظاهرهم فیه کباطنهم، و هاهنا قوم من

الیهود و النصاری و المجوس و المنانیة «۱» و الهند هذه سبیلهم فی أدیانهم.

قیل له: ما نـدفع هذا و لا نمنع منه، و لا نسـتدل علی صـحة الاسـلام باعتقاد المهاجرین و الأنصار بنبوّة محمد صـلّی اللّه علیه و سـلم و صـدقه و نبوّته و زهـده و زهـدهم فی الـدنیا، و انما نعرف صـحة الاسـلام و انه دین اللّه بغیر هذا. و انما کان کلامنا علی من ادّعی ان هؤلاء ما اعتقدوا صدقه و لا نبوته، فبیّنا فساد قولهم و بطلان اعتقادهم و انه جهل، ثم صرنا الی ذکر الدلائل و الأعلام.

---

(۱) المنانیـة و المانیة نسـبة الی مانی بن بابک بن ابی رزام، یقال انه کان اسـقفا ثم اتاه الوحی بتغییر دیانته. و من اهم مبادئه أن العالم کونین: احـدهما نور و الآخر ظلمـة، و کل واحـد منهما منفصل عن الآخر. و قد فصل کتاب العقائد و الفرق و أصـحاب المقالات من الاسـلامیین الحدیث عن هذه النحلة. انظر الملل و النحل للشهرستانی، و الفهرست لابن الندیم، و الآراء و الدیانات للنوبختی، و المغنی للقاضی عبد الجبار الجزء الرابع، و غیرهم. و مجمل مذهب المنانیة مستخرج من المجوسیة و النصرانیة.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۶

فمن ذلک أشیاء نزل القرآن بها قبل کونها.

فمن ذلـک قصـة ابی لهب، و قـد کـان من المـؤذین لرسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلم، و المجردین/ فی مکروهه و طلب نفسه، و فی الصدّ عن اتباعه، فبشـره اللّه بأن ذلک لا یضره صلّی اللّه علیه و سلم، و لا یغنی عن ابی لهب فیما قصد ما کسب من جاه و مال و أهل و ولد و صداقة و اخوان، و انه یخسـر ذلک کله، و انه و امرأته یموتان علی الکفر به و یصـیران الی النار. نزل ذلک بمکة و هما حیّان سلیمان، فکان ذلک کله علی ما قال و علی ما أخبر و کما فصّل و فسّـر. و هذه غیوب کثیرة لا یکون مثلها بالاتفاق و لا بالحدس و لا بالزرق «۱»، و لا یتفق لحـذّاق المنجمین أقل القلیل من هـذا. و من عجیب الأمور انها نزلت بمکة، و تلاها رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سلم، و سـمعها ابو لهب و جمیع أعـداء رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلم من قریش و العرب و غیرهم و هم أعوان ابی لهب، فهـاجهم هذا القول فی عداوته، و زاد فی غیظهم و حنقهم، و أذکرهم بنفسه و هو معهم و فی أیدیهم و فی قبضـتهم، فما ضره، و لا تمّ لهم أمر فی الظفر بقتله، و لا علی زلة یتبین فیها کذبه و سـقوط قوله، و هذا لا یقدم علیه العاقل إلا و هو علی غایة الثقة بما یقول، و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ممن لا یـدفع عـدوّه عقله. و منـذ نزلت هـذه السورة و الی هذه الغایة یحرص أعداء رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سلم ان یجـدوا فی ذلک مطعنا فما وجـدوا. و قـد رجع بعضـهم الی بعض فی ذلک و تشاوروا فیه، و تعاضدوا و تعاونوا، فکان علیه ما انتهی إلیه کیدهم أن قالوا: لما رأی عمه و امرأته قد صمما فی تکذیبه و عداوته قال ذلک فیهما.

---

(۱) الزرق: الخداع، و فی اللسان: رجل زراق ای خداع.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۷

قیل لهم: قبل کل/ شـیء قـد تم ما قال علی ما فسـر و شـرح، و حصل ذلک علی وجه انتقضت العادة به، و ظنونکم هذه لن تقدح فی هذا العلم، و هذا کاف فی جوابکم.

ثم قیل لهم: قد صنع مثل صنیع ابی لهب خلق کثیر فما قال هذا فیه، و منهم من أسلم. و أیضا فلو قال فی ابی لهب انه یسلم قبل اسلامه و أسـلم لأمکن الخصم ان یقول: ما فی هذا دلالة، لأن الرجل عمّه، و قد رأی اخوته حمزة و العباس و قد أسـلما، و قد أسلم ولد أخیه ابی طـالب جعفر و علی، فکیف لاـ یسـلم هو أیضـا؟ فهـذا کان أقرب و أظهر فی الرأی و التـدبیر، فلم یقل ذلک و قال غیره و خلافه، لتعلم ان هذا قول علّام الغیوب و کلامه عز و جل.

و قالوا لو أسـلم لکان له ان یقول: انما قلت انه سیصلی النار إن لم یسلم، و إن أقام علی الکفر، کما قال: «إنه من یشرک باللّه فقد حرّم اللّه علیه الجنة».

قيل له: قبل كل شيء قد تمّ ما قال و ما وجد له خلف، و حصل على وجه انتقضت العادة به كما بيّنا و قدّمنا، و أخذت أنت أيها الخصم تقول لو لم يكن هذا و يتم بأى «۱» شيء كان يعتذر، و حصلت على تدبير ما لم يكن، و جهلت أيضا اللغة و موضع العربية لأن قوله عز و جل:

«انه من يشرك باللّه فقد حرّم اللّه عليه الجنة» انما هو جزاء، و ليس بخبر عن احد انه سيفعل ذلك، و هذا كقول القائل: من سرق

---

(۱) فى الأصل: بأن، و القراءة اجتهادية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۸

مالى قطعته، ليس بإخبار عن احد أنه سيسرق ما له، و يجوز ان لا يسرق ماله أحد البتة مع هذا القول.

و قوله تبارك و تعالى فى أبى لهب و امرأته انه: «ما أغنى عنه ماله و ما كسب» من تلك/ الأمور، و انه سيصلى و امرأته نارا ذات لهب، إخبار عن أمور ستكون فكانت كما قال، كقوله عز و جل: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ «۱»، و كقوله:

«سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ «۲»». و كقوله عز و جل فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ «۳». فهذا باب.

و باب آخر [استرواح المشركين لأدنى غم يصيب الرسول]

و هو أن قريشا و العرب لما أعيتهم الحيل فى أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، كانوا يستروحون الى أدنى غمّ يناله صلّى اللّه عليه و سلم، فمات ابنه ابراهيم و هو أكبر ولده و به كان يكنى، و مات ابنه عبد اللّه، فسرت قريش بذلك، و قال بعضهم لبعض: ابشروا فقد انبتر محمد، فأنزل اللّه عز و جل: «إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ. إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» «۴».

فانبترت ديانات قريش و العرب كلها و بطلت عن آخرها، و لم يبق على ذلك الدين عين تطرف، و تم أمره صلّى اللّه عليه و سلم و سطع نوره و علا و قهر.

---

(۱) آل عمران ۱۲

(۲) القمر ۴۵

(۳) الاسراء ۵۱

(۴) الكوثر ۱ و ۲ و ۳

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۹

و فى هذا غيوب كثيرة أخبر بها قبل ان تكون؛ ثم وردت على وجه يغيظ و يغضب و يبعث على الوثوب به و على قتله و على إطفاء نوره، و قد حرضوا على ذلك فما تمّ. و هذا قول لا يورده العاقل على الوجه الذى أورده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إلا و هو على غاية الثقة باللّه و السكون الى ما يوحيه إليه عز و جل، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ممن لا يدفع عدوّه عقله، و كانت قريش تقول فيه لمّا مات بنوه: محمد صنبور «۱»، أى منقطع الأصل منبتر الذكر.

و قيل لأعرابى: كيف نخلك؟/ فقال: صنبر أسفله و عشش أعلاه، أى ضعف أصله و عشش أعلاه فبطل كله و زال الانتفاع به.

و الكوثر هو على وزن فوعل، كنوفل و حوقل، و هو الكثير من الجميّز خاصة. فيريد عز و جل: إنا أعطيناك الكثير من التأييد و النصرة و الحجة و العزّ و الثواب و الأجر، و فيه دلالة على بطلان قول من قال:

إن أبا بكر و عمر و عثمان و تلك الجماعات من المهاجرين و الأنصار كانوا أعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و شانئيه، و أنهم

قصدوا تغيير القرآن، و تبديل دين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و إماتة نصوصه، و دفع وصيته و خليفته، ففعلوا ذلك و قهروا و غلبوا و كانت الغلبة لهم، و خليفة رسول اللّه هو المغلوب المقهور، و هم الغالبون القاهرون، و ان خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و وصيّه ما تمكن الى ان خرج من الدنيا.

قلنا: فلو كان الأمر كما قلتم لكان هذا قد كذب و كان يكون: إن

---

(۱) جاء فى لسان العرب: الصنبور: النخلة المنفردة من جماعة النخل، و رجل صنبور: فرد ضعيف ذليل لا اهل له و لا عقب و لا ناصر. لسان العرب مادة صنبر

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۰

شانئك هو الأقهر و الأغلب و الأظهر، و أنت الأبتر، فلو أنصفوا و تدبروا القرآن لما قالوا فى المهاجرين و الأنصار هذا القول.

و باب آخر [عرض المشركين على الرسول ان يعبد آلهتهم و يعبدوا إلهه]

و هو ان قريشا لما حرضوا على قتل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و إبادته و إطفاء نوره، و على التنفير منه و الصدّ عنه و اللّه تعالى يصرفهم بألطافه عنه مشوا إليه، و هم: الوليد بن المغيرة، و عقبة بن ابى معيط، و النضر بن الحارث بن كلدة، و أمية بن خلف، و عتبة بن خلف، و الجماعة من قريش، قالوا: يا محمد، انك قد سفهت أحلامنا، و كفّرت أسلافنا، و عبت آلهتنا و أديانناا/، و شتّت كلمتنا، و قطّعت أرحامنا، فهلمّ الى أمر يكون بيننا و بينك، فتعبد أنت آلهتنا التى نعبدها و نعبد إلهك، و تعبد آلهتنا التى كنا عبدناها و نعبد إلهك، ثم تعبد ما عبدنا و نعبد ما عبدت؛ فإن كان معنا خير كنت قد أصبت منه، و ان كان معك خير كنا قد أصبنا منه، و تكون كلمتنا سواء، و تسالمنا و نسالمك، و تكون لنا و نكون لك؛ فأنزل اللّه تعالى: «قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ. لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ، وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ» فأخبر انه لا يصير و لا يجيب الى ما قالوا، و لا يقبلهم بهذا الشرط، و لا يكونون على هذا الوجه عابدين للّه على الوجه الذى عبده، فكان كما قال.

و فى هذا غيوب كثيرة مفصلة جاءت كما أخبر، و هذا لا يكون إلا من علّام الغيوب، و لو لم يكن من آياته إلا هذا لكفى و أغنى. فهذا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۱

يدلّك على خضوع قريش و اليهود و النصارى و جميع اعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و انقطاعهم فى يده، و انه لا مطعن فى آياته. و لهذا المعنى قال اللّه:

«فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» «۱»، أى لو قاربتهم و أجبتهم الى ما دعوك لأجابوك، و لو داهنتهم لداهنوك. فتأمل قوله:

«قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ» كيف يجبههم بالإكفار و التجهيل و التضليل، و هم أشد عالم اللّه أنفة و نخوة و جبرية، و دفاعا عن انفسهم، و مواثبة لعدوهم، و هو بمكة معهم و فى ايديهم و فى قبضتهم، و العزّة و الغلبة و الكثرة لهم لا له، فهيجهم على نفسه بهذا القول، و بعثهم على مكروهه، فنجاه اللّه منهم.

و هذا قول/ لا يقوله عاقل و حاله ما وصفنا إلا و هو على غاية الثقة باللّه، بدفعه عنه، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ممن لا يدفع عدوّه عقله، فمن أى شىء تعجب رحمك اللّه؟ أمن إقدامه، أم من مصير الأمر الى قوله و حكمه.

فاعرف هذه القصة و احفظها فانها عظيمة جليلة، و لهذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «من قرأ سورة «قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ» فكأنما قرأ ثلث القرآن». و كان يقال فى صدر الاسلام ل (قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ) و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) المقشقشتان «۲»، اى هما براء من

الشرک، یقال للجرح اذا برأ و اندمل: تقشقش الجرح.

---

(۱) القلم ۹

(۲) قشقش: فی اللسان یقال تقشقش الجرح: تعرض قرحه للبرء، و القشقشة: تهیؤ البرء، و المقشقشتان: قل هو اللّه احد و قل اعوذ برب الناس لأنهما کانا یبرأ بهما من النفاق، و قیل: هما قل یا أیها الکافرون و قل هو اللّه احد. اللسان مادة قشش.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۲

و قوم من الکتاب و عمال السلطان یعرفون ببنی ابی البغل «۱»، یدعون انهم من المسلمین و من الشیعة و هم یمیلون میل القرامطة، و یلزمون صنعة النجوم، و بقایاهم بالبصرة فی سکة قریش، و منهم ابو محمد بن ابی البغل، و هذا خلقه و صنعته، و هو حیّ الی هذه الغایة و هی سنة خمس و ثمانین و ثلاثمائة، یقولون فی «قُلْ یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ»: هی من البوارد و من الأشیاء التی لا معنی لها، و یتحدثون بذلک فی دواوینهم و محافلهم، و یضربون فی ذلک الأمثال؛ و هذا لجهلهم بالأسباب، و لو کان لهم تحصیل و تدبیر و قصدوا الانصاف و طلبوا العلم من موارده لعلموا ان هذا من معجزاته، و لکن العجب قد شغلهم، و هم یعدون انفسهم من الخاصة و هم أسقط من سقاط الغوغاء، و لو لا ان هذا شیء قد شاع فی الکتاب و أشباههم فی جمیع البلاد لما ذکرته لک، و لکنه شیء قد دار و صار اهل الذمة مع القرامطة یلقون/ به العامة و الضعفاء من المسلمین، و لیس للاسلام قیّم و لا ناصر بل کل السیوف علیه، فاللّه المستعان.

و أخری تبین لک جهل هؤلاء و نقضهم و نقض کل طاعن فی القرآن، ان الذی جاء بهذا القرآن ادّعی انه کلام اللّه و قوله، و ان الجن و الإنس لا یأتون بمثله و لا بمثل سورة منه و لو کان بعضهم لبعض ظهیرا، و انه حجة اللّه علی خلقه الی یوم القیامة؛ و قد سمعه الناس کلهم منه، و قد

---

(۱) ورد فی الفهرست تحت عنوان ابن ابی البغل: اسمه محمد بن یحیی بن ابی البغل و یکنی ابا الحسین، استدعی من اصفهان، و کان یلی الوزارة فی ایام المقتدر، و کان بلیغا مترسلا فصیحا من اهل المروءات، و کان شاعرا أیضا مجودا مطبوعا، فله دیوان رسائل کتاب رسائله فی فتح البصرة.

الفهرست ۱۹۷.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۳

طالبهم ان یأتوا بمثل سورة منه فلم یأتوا مع شدة الحاجة الی ذلک، و قد بذلوا ما هو أعزّ و أعظم فی دفعه و إبطال أمره من الأموال و الأنفس و الأولاد. و اذا کان هذا شأنه من السخف و الرکاکة، و فیه الکذب و التناقض علی ما یدّعی هؤلاء، أعداء الاسلام، فکیف یحتج عاقل بما هذا سبیله؟ و کیف لم یقل أعداؤه له: تتحدّانا بشیء رکیک بارد غثّ متناقض؟ و کیف لم یقل أعداؤه له ذلک؟ و کیف یتبع و یطاع من هذا سبیله؟ و کیف لم یقل أعداؤه لأتباعه: یا ویحکم فارقتم دینکم، و أنفقتم أموالکم، و سفکتم دماءکم، و عادیتم الأمم، و اتبعتم رجلا حجته هذا القرآن و فیها الکذب و التناقض؟ و مثل هذا لا یطاع و لا یتبع، بل یکون فی سقوط المنزلة بمحل من یرکب قصبة و یرکض فی الاسواق و یقول: انا الملک، و انا الأمیر، و یشتم الملوک و الأمم و الرؤساء، و یتعادی خلفه الصبیان؛ و مثل هذا لا یعادیه أحد و لا یضربه و لا یسبه فضلا ان یقتله/، لأنه لا یضرّ احدا و لا یغضب عاقل من فعله و قوله و إن شتمه و تواعده. فلم غضب أولئک العقلاء من قریش و العقلاء من العرب و الدهاة من الیهود و النصاری و طبقات الأمم و الملوک منه و من أفعاله، و بذلوا أموالهم و أولادهم و دماءهم فی عداوته و فی الصدّ عنه و المنع من اتّباعه، و رحلوا الی الملوک یشکونه و یضجّون منه، و یبعثونهم علی قتله، و یخوفونهم سطواته و غلبته علی ممالکهم؟ فقد رحلت قریش الی النجاشی ملک الحبشة فی هذا،

و رحلت نصارى العرب الى قيصر ملك الروم فى هذا، و قد صار النضر بن الحارث بن كلدة الى الفرس فى هذا، و كان من كسرى أبرويز فى هذا ما هو مذكور و لعله ان يرد عليك، و هذا مع «۱» انه جواب لكل عدو لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فهو كاف.

---

(۱) فى الاصل: مع ما

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۴

و باب آخر [وعد الرسول اصحابه فى حال ضعفهم ان اللّه سينصرهم]

و هو ما وعد أصحابه من المهاجرين و الأنصار و المكيين فى حال ضعفهم ان اللّه سينصرهم و يمكنهم و يقوّيهم و يظهرهم، فيقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و تكون العقبى لهم؛ و تلا بذلك القرآن و خلّده و أسمعه عدوّه و وليّه، فقال عز و جل:

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ. وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ... «۱»» الى قوله: وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ»؛ فتمكن أصحابه و خلفاؤه، فأقاموا الصلاة، و آتوا الزكاة، و أمروا بالمعروف، و نهوا عن المنكر، و كانت العقبى لهم/».

و فى هذا غيوب كثيرة أخبر بها قبل ان تكون فكانت كما فصّل و كما أخبر و فسر، لتعلم ان هذا قول اللّه و كلامه، و ان محمدا رسوله.

و هذا فى سورة الحج و هى مكية، و لو كانت مدنية لكان فيها من الدلائل مثل ذلك، و لكنها اذا كانت مكية كانت آكد فى الحجة لأن ضعفهم إذ ذاك أشد، «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ» «۲»، و لقولهم: «رَبُّنَا اللَّهُ»، و لكفرهم بديانات قريش و العرب هم المهاجرون

---

(۱) الحج ۳۹ و ما بعدها

(۲) الحج ۴۰، و الآيات هى: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ.

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ» ۲۵

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۵

خاصة. و فى هذه الآية دلالة على صحة إمامة أبى بكر و عثمان و علىّ رضى اللّه عنهم، و شهادة بأنهم أئمة هدى، و أن طاعتهم طاعة اللّه، لأنهم من المهاجرين و المكيين و التابعين و من الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ لقولهم: «رَبُّنَا اللَّهُ»، و هم الذين تمكنوا و تولوا الأمر و دعوا الى اللّه و فعلوا ما قال اللّه، كما هو مذكور فى الآية.

و لو كانوا منافقين أو مشركين أو مرتدين كما تدعى ذلك عليهم طوائف الرافضة لكان هذا الخبر قد أخلف و كذب، و لكان الذى أتى به و تلاه ليس بنبى بل كذاب، لأن هؤلاء الذين تملكوا و تمكنوا و كان الأمر و السلطان و القهر و الغلبة لهم؛ فزعمت الرافضة انهم بدّلوا القرآن و أحرقوه، و غيروا النصوص، و عطلوا الدين، و غيروا الطهارة و الأذان و المواقيت و الصلاة و الصيام و المناكح و الطلاق، و أماتوا السنن، و أحيوا البدع؛ و كان خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و وصيه «۱» مغلوبا مقهورا يظهر ما يظهرون من الشرك، و يجوّز أحكامهم عليهم، فأين صدق هذه الآيات.

و قد كان ينبغى أن يكون/ على ما يدعيه الرافضة أن تكون التلاوة:

«و الذين إن مكناهم فى الأرض عطّلوا الصلاة و الزكاة و أماتوا النصوص و قهروا الوصى المنصوص عليه، و أمروا بالمنكر و نهوا عن المعروف» فتعلم أن هؤلاء قد ذهبوا عن القرآن و فارقوا الدين، و تعلم ان هؤلاء السلف على الحق، و ان اللّه تولى نصرهم كما وعدهم، و اللّه لا ينصر إلا أولياءه و أحباءه و أهل طاعته. و قد كان المهاجرون يحتجون بهذا.

قال صعصعة بن صوحان «۲»- و قد كان رحل الى عثمان فى شأن قوم كانوا

---

(۱) يقصدون عليا رضى اللّه عنه.

(۲) انظر الطبرى حوادث سنة ۳۳، ففيه تفصيل حادثة النفر الذين اخرجهم سعيد بن العاص-

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۶

قد أساءوا فسيّرهم و حالهم معروفة-: ما رأيت أسرع جوابا من امير المؤمنين عثمان، قلنا له: أخرجنا من ديارنا أن قلنا ربنا اللّه، فقال: كذبت ليست لك و لأصحابك و لكنها نزلت فينا معشر المهاجرين، أخرجنا من ديارنا ان قلنا ربنا اللّه، فمنا من مات بأرض الحبشة، و منا من مات بالمدينة، فنصرنا اللّه و مكننا، و أقمنا الصلاة و آتينا الزكاة، و أمرنا بالمعروف و نهينا عن المنكر، و كانت العقبى لنا. و هذا لا يذهب على متأمل و إنما ذهب على اهل الغافلة.

باب آخر [اسراء الرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى]

و هو انه صلّى اللّه عليه و سلم أسرى به فى ليلة واحدة من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم عاد من ليلته الى مكة، و مدة السفر فى ذلك مقدار شهرين اى ذهابا و إيابا، و هذا لا يفعله اللّه إلا للأنبياء فى زمن الأنبياء. و لما عاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم تحدث بذلك فى أهله، فقالت له أم هانئ بنت ابى طالب: لا تتحدث بهذا، فو اللّه لا صدّقك الناس، و ليكفرنّ بك من/ آمن بك، و ليكذبنّك من صدّقك. فقال صلّى اللّه عليه و سلم: ان ربى أمرنى ان أخبر الناس بذلك و ان ابا بكر يصدقنى و يشهد لى. فخرج و أخبر قريشا بذلك فسرّهم هذا، و قالوا: الآن يظهر كذبه و ينقطع الناس عنه، قوموا بنا الى صاحبه ابن ابى قحافة لنخبره بما قال صاحبه. و كان ابو بكر

- من الكوفة بعد ان اتهموا بالشغب فيها، و كان فيهم: مالك بن الاشتر، و ثابت بن قيس، و كميل ابن زياد النخعى، و صعصعة بن صوحان.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۷

ثقيل الوطأة على قريش و أعداء رسول اللّه، فانه كان يدعو الى نبوته، و يخطب بآياته، و كان وجيها فى الناس، عالما بقريش، باين الفضل فيهم، فكانوا يقصدونه بالمكاره لهذه الخصال التى كانت تضرهم. و قد استدعى خيارهم و وجوههم الى الاسلام، و أنفق ماله فى نوائب الاسلام و نصرته، و كانوا يطلبون شيئا يصدّه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و يمنعه من اتباعه. فأتوه و قالوا له: يا ابا بكر، ما زال صاحبك حتى أتى بكذبة خرج بها من أقطارها. قال ابو بكر: حاشاه، و ما هو؟ قالوا: زعم انه أسرى به فى ليلة الى بيت المقدس. فقال ابو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق.

قالوا: يا ابا بكر، أ تصدقه فى هذا و العير تطرد فى ذهابها شهرا و فى رجوعها شهرا، أ يبلغه فى ليلة واحدة؟ قال ابو بكر: انه ليخبرنى ان الخبر يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة واحدة فأصدقه، و بعد السماء عن الارض اكثر من بعد بيت المقدس من مكة؛ قوموا بنا إليه نسأله عن ذلك. فأتوه، فقال له ابو بكر: ما شىء بلغنى عنك يا رسول اللّه انك أتيت بيت المقدس فى ليلتك؟ فقال: نعم يا ابا

بكر، صلّيت بكم فى هذا الوادى، فأتانى آت، فأيقظنى و أخرجنى و جاء بدابته فقال: اركب فأرفصت «۱»، فقال لها جبريل: اسكنى، فما حملت خيرا منه. فسارت بى، و اذا حوافرها تقع مدى/ بصرها، و كنت اذا أتيت صعودا قصرت قوائمها، و اذا أتيت حدورا طالت قوائمها، فأتيت بيت المقدس؛ و ذكر صلاته و دخوله إليه و رجوعه. فقال له ابو بكر: يا رسول اللّه، هل تستطيع ان تصف لنا بيت المقدس؟ فقال: نعم. فوصف مدخله و المسجد

---

(۱) ارفصت الناقة اذا رعت وحدها و الراعى ينظر إليها، و تعنى هنا النفور و الترك.

انظر القاموس. مادة: رفص.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۸

و سقوفه و ما فيه شيئا شيئا، و كان إذ ذاك فى أيدى الروم، و كان ملك الشام لهم و بعضه فى أيدى اليهود، فقال ابو بكر: أ تسمعون؟ و كان فعل ابو بكر ذلك ليعرف الناس صدق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فيما ادّعى. فقالت قريش: فان لنا عيرا بالشام عرفت خبرها؟ فقال: نعم، مررت بهم فى ذهابى، و هم فى موضع كذا، و قد ندّ لهم بعير من حسّ دابتى فدللتهم عليه، و رجعت عليهم و هم نيام و قدح فيه ماء و قد خمروه، فنزلت و كشفته و شربت و خمرته.

ثم قال: و آية اخرى أنهم يردون عليكم يوم كذا وقت طلوع الشمس، و تقدم عيرهم من ثنية كذا، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان، إحداهما برقاء و الأخرى سوداء. فأرصدت قريش لذلك اليوم، فقال قائلهم:

هذه الشمس قد طلعت، و قال آخر: و هذه العير قد أقبلت و أمامها الجمل الأورق و عليه الغرارتان كما وصف. و سألوهم عن البعير الذى ندّ و عن القدح الذى كان فيه الماء فأخبروهم بذلك كما وصف، و أنهم وجدوا القدح فارغا بعد ان كان فيه ماء.

فتأمل ما فى هذا من الآيات و المعجزات و العلامات الواضحات البينات التى لو لم تكن إلا هذه لكفت و أغنت فى الدلالة على نبوته.

فمنها مصيره و رجوعه فى ليلة واحدة، و منها إخباره بالوقت التى ترد فيه عير قريش على أى سبيل ترد/، فكم فى هذا من الغيوب.

فإن قيل: و من سلّم لكم أن هذا قد كان على ما وصفتم لنا، و كيف علمتم هذا، و ما طريق العلم به؟

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۴۹

قيل له: قبل كل شىء قد علمنا انه صلّى اللّه عليه و سلم قد احتج بالإسراء و جعله قرآنا يتلى «۱»، و قد سمع هذا جميع اعدائه من قريش و اليهود و النصارى و هم معه و جيرانه و أشد الناس عليه و أحرصهم على عثرة تكون له او عيب يكون فيه، و هنالك اصحابه و من قد اعتقد صدقه و نبوته و لم يتبعه إلا لأنه نبى صادق و عاقل لا يحتج على عدوه و وليه بما لا يقوم برهانه، ثم لا يرضى أو يأتى فى ذلك بقرآن يتلى و يضيفه الى ربه و يستطيل بذلك على عدوه و وليه، و ليس معه فى ذلك إلا الدعوى الخالية من كل الحجج؟ هذا لا يفعله عاقل، و عقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عند عدوه فضلا عن وليّه فوق العقول.

و أخرى أن من فعل هذا على ما يدعيه الخصم لا يتبعه احد و لا يصدقه احد بل يرجع عنه من قد اتبعه، إذ ليس معه إلا الدعوى على ما يدعيه الخصم، و كل احد يمكنه ان يدّعى انه قد أسرى به فى ليلة واحدة من البصرة الى بيت المقدس او من العراق الى بلاد الهند و ما تبينت بما هذه سبيله، فتعلم ان الحجة بذلك قد قامت و اتضحت.

و أخرى ما جرى بين قريش و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و بين قريش و أبى بكر الصديق، و ما كان فى ذلك من طول المراجعة، و من عنى بذلك يعلم ان الأمر كما حكينا و وصفنا علما يقينا لا يرتاب به، كما يعلم فرار المهاجرين الى ارض الحبشة، و إخراج قريش عمرو بن العاص و عمارة ابن الوليد بن المغيرة فى طلبهم، و ما كان لهم معهما مع النجاشى من

---

(۱) تناولت سورة الاسراء قصة الاسراء بقوله تعالى: «سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى

بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۰

المخاطبات/ و المراجعات، الى ان صارت العقبى للمسلمين. و كما يعلم خروج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الى المواسم و عرضه نفسه على القبائل، و ما كان له معهم من المحاورات و المراجعات و المخاطبات. و كما يعلم خروجه الى الطائف و عرضه نفسه، و ما كان له معهم من المراجعات و المخاطبات.

و كما كان له مع قريش بمكة فى حفل بعد حفل و مرة بعد مرة، و فى مشيهم الى ابى طالب ليكفه عن مخالفتهم و تجهيلهم و ذكر آلهتهم، و ما تعاهدوا عليه من عداوته و عداوات اصحابه، و من التجريد فى قصدهم بالمكاره، و ما كتبوه فى ذلك. و فى ترك مبايعتهم و مناكحتهم و معاملتهم، و ما أشبه ذلك من الخطوب التى كانت منهم. فمن رسخ فيما هذا سبيله، عرف قصة الاسراء و ما كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى ذلك مما تقدم ذكره، و من لم يكن هذه سبيله لم يعلم، و لكل احد سبيل الى ان يعلم ذلك.

فتأمل رحمك اللّه ما فى ذلك، و قول أم هانئ، و احتجاج قريش فى ان المسير فى ذلك يكون فى شهرين فكيف تم فى ليلة واحدة، و مطالبتهم بالحجة فى ذلك، ثم مسألتهم عن عيرهم التى بالشام، ثم مصيرهم الى المكان فى الوقت الذى ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أن العير ترد فيه و تفقدهم صورتها و ما تقدمها، ثم مسألتهم اهل العير عن القدح لتعرف عقول قريش و شدة فطنتها و عنايتها بأمر النبى و التفقد لأحواله.

و انظر كيف قد سألوا عن ذلك مما يمكن العاقل ان يسأل عنه و يتكلم فيه.

و انظر الى فطنة أم هانئ بنت ابى طالب و خوفها مما يخاف مثله، و أن هذا الأمر إن لم يقم على الدعوى به حجة لم يصدقه احد، بل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۱

يكذبه/ من صدّق به و يكفره من آمن به، لتعلم كذب الحداد، و أبى عيسى الوراق «۱»، و الحصرىّ، و ابن الراوندى «۲»، و هؤلاء علماء الإمامية و رؤساؤهم، و عليهم يعولون، و الى كتبهم يرجعون.

و لكل هؤلاء كتب يطعنون فيها على الأنبياء، و يدّعون على قريش و العرب الجهل و البلادة و الغباء و ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خدعهم و سخر منهم.

و هذه الكتب منقوضة قد نقضها غير واحد من المعتزلة، و المطاعن على الأنبياء، كلهم انما هى من جهة هؤلاء الشيع، و الإمامية تواليهم و ترجع الى اقوالهم، فاعرف هذا فإنه من العجائب و بك الى معرفته أشد الحاجة.

فمن كتب الحداد فى هذا الشأن كتابه «الجاروف» و كتابه «الاركان»، و كتاب الحصرى «فى تسوية اصحاب الكلام بالعوام»، و كتاب «الزمردة» و كتاب «غريب المشرقى» و كتاب ابى عيسى الوراق، و كتاب حنين «البهائم»، و كتاب «التاج» فى القدم لابن الراوندى، و «الزمردة» و «الفريد» و «التصفح» و كتاب «نعت الحكمة» فى الطعن فى حكمة اللّه، و كتاب «الدامغ» يطعن فيه فى القرآن و غير ذلك من كتبهم.

---

(۱) ابو عيسى محمد بن هارون الوراق المتوفى سنة ۲۴۷ ه. منهج المقال ۳۲۸

(۲) هو احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى، ذكره القاضى فى الطبعة الثامنة من رجال الاعتزال، و ذكر انه ألحد و خرج عن الدين كما ذكر انه يقال بأنه تاب آخر عمره. من كتبه التاج فى الرد على الموحدين، و الدافع فى الرد على القرآن، و الفريد فى الرد على الأنبياء. المنية و الأصل ۹۲.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۲

و فضيحتهم فى هذه الكتب واضحة، و ليس لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اعداء مثلهم، و الشيع تتوالاهم لأنهم عملوا كتبا لهم فى الطعن فى المهاجرين و الأنصار.

فمن هذا العجب، ان قوما يدّعون انهم من المسلمين يوالون هؤلاء و يرجعون الى كتبهم، فتبين رحمك اللّه الحال فى ذلك، لتعلم انه لا يطعن على المهاجرين و الأنصار إلا من يطعن على الأنبياء صلوات اللّه عليهم، و إنما تستّر هؤلاء الملحدة و الزنادقة بالتشيع و الإمامة ليستوى لهم الطعن على الأنبياء و تشكيك المسلمين فى الدين فاعلم ذلك/.

و باب آخر [ما نزل بمكة فى رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا]

و هو ما نزل بمكة فى رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا، و ان اللّه سيذيقهم من عاجل الخزى فى الدنيا، و قد صنع مثل صنيعهم قوم علم اللّه انهم يدخلون فى الاسلام فلم يأت من عند اللّه فيهم ما أتى فى اولئك.

فمن ذلك ما نزل فى أبى جهل: «فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى. أَوْلى لَكَ فَأَوْلى» «۱». فقال أبو جهل:

لم يهددنى رب محمد و أنا أعز اهل البطحاء و أكرمهم؟ فأنزل اللّه فى استهزائه بالزقوم و قوله: انه التمر بالزبد فقال: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ. خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ

---

(۱) القيامة ۳۱ و ما بعدها

الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَمِيمِ. ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «۱» أى بزعمك.

نزل هذا كله فيه و هو يومئذ حىّ سليم، فأذاقه اللّه حرّ الحديد ببدر، و مات على الكفر كما قال و كما أخبر.

و نزل فى الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة من قريش:

«وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ «۲». الَّذِى جَمَعَ مالًا وَ عَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ» فمات على كفره.

و منهم النضر بن الحارث بن كلدة أخو بنى عبد الدار، و كان شديد الرد على اللّه و على رسوله، شديد العداوة و الإرصاد. و قد كان رحل فى عداوة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الى فارس، و طلب ما يكيد به الاسلام و المسلمين، فوجد احاديث رستم و إسفنديار و الفرس «۳»، فاشتراها و قدم بها مكة فجعل يتحدث بها. و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اذا قام من مقعده خلفه فيه النضر/ و حدثهم بتلك الأحاديث و قال: حديث محمد عن عاد و ثمود و الأمم من هذا، بل هذا احسن. فأنزل اللّه فيه: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها

---

(۱) الدخان ۴۳ و ما بعدها

(۲) ذكر الطبرى فى تفسير سورة «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ» ان بعض المفسرين قالوا: عنى بالآية رجلا من اهل الشرك بعينه، فقال بعضهم هو جميل بن عامر الجمعى و قال آخرون هو الاخنس ابن شريق. الطبرى ۳۰: ۱۶۲.

(۳) ذكر ابن النديم كتاب رستم و اسفنديار بين اسماء الكتب التى ألفها الفرس. الفهرست لابن النديم ۴۲۴.

هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ. وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «۱»، و نزل فيه غيرها أيضا. و قيل: يوم بدر أصابته جراحة ذهبت بقحف رأسه، و حصل مع المسلمين فى جملة المأسورين و قال: لا أذوق لهم

طعاما و لا شرابا ما دمت فى ايديهم، فمات من الضربة و صار الى النار بعد ان أذاقه اللّه العذاب المهين فى الدنيا كما قال و كما اخبر.

و منهم الوليد بن المغيرة المخزومى، و كان من الأشداء على المسلمين، فقال لقريش حين حضر الموسم: ان الناس قادمون عليكم و سائلوكم عن صاحبكم، يعنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فما ذا تقولون؟ قالوا: نقول مجنون، قال:

يكلمونه فلا يجدونه مجنونا، قالوا: نقول شاعر، قال: فهم اصحاب الشعر يقولونه و يروون بسيطه و هزجه فلا يجدونه شاعرا. قالوا: فنقول كاهن، قال: فقد رأوا الكهنة و تكلّفهم و كذبهم. قالوا: فما نقول يا ابا عبد شمس؟ ففكر و قدّر و نظر و عبس و بسر «۲» كما وصفه اللّه تعالى فى سورة المدّثر، ثم قال: «إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ». و كان له عدة بنين، و كان ذا مال واسع، فكان بنوه يحضرون و يشهدون عقلاء، فأنزل اللّه فيه:

«ذرنى و من/ خلقت وحيدا. و جعلت له مالا ممدودا. و بنين شهودا.

و مهّدت له تمهيدا. ثم يطمع أن أزيد. كلا انه كان لآياتنا عنيدا».

الى قوله: «سَأُصْلِيهِ سَقَرَ» «۳» فلم يزده اللّه مالا و لا ولدا بعد هذا كما أخبر، ثم مات كافرا كما قال اللّه. و قد كان عند نزول ذلك حيا سليما.

---

(۱) لقمان ۶

(۲) قد تشتبه الكلمة فى الاصل ب: و بصر، و الصحيح ما اثبتناه

(۳) الآيات من سورة المدثر، و أكثرها حول الوليد بن المغيرة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۵

فانظر كم فى ذلك من الآيات من الإخبار بالغيوب، و من عجزهم عن القرآن ان يأتوا بمثله فى الفصاحة و البلاغة و الجزالة، فلم يتأتّ لهم ذلك مع حاجتهم إليه و اجتهادهم فيه. و فصاحة القرآن و جزالته و بلاغته دلالة اخرى غير دلالة الإخبار بالغيوب.

باب آخر [ما كان بمكة من انشقاق القمر]

و هو ما كان بمكة من انشقاق القمر؛ فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مرّ بمكة فى ليلة قمراء و معه نفر من اصحابه، فاجتاز بنفر من المشركين، فقالوا له: يا محمد، إن كنت رسول اللّه كما تزعم فاسأل ربك ان يشقّ هذا القمر، فسأل اللّه ذلك فشقّه، فقال المشركون: ساحروا بصاحبكم من شئتم فقد سرى سحره من الارض الى السماء. فنزلت القصة فى ذلك «۱».

و هذا من الآيات العظام و البراهين الكرام على صدقه و نبوته صلّى اللّه عليه و سلم.

فإن قيل: و من أين لكم ان القمر قد انشقّ له كما ادّعيتم؟ أ تعلمون ذلك ضرورة أم بدلالة؟ أو ليس النظام «۲» قد شك فى هذا و قال: لو كان قد انشقّ لعلم بذلك اهل الغرب و الشرق لمشاهدتهم له؟ و هذا شىء سيكون عند قيام الساعة و من أشراط/ القيامة، فبأى شىء تردّون

---

(۱) انزل اللّه فى انشقاق القمر سورة القمر و أولها: اقتربت الساعة و انشق القمر. و ان يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر.

(۲) هو ابراهيم بن سيار ابو إسحاق النظام، احد أئمة المعتزلة المشهورين، انفرد بآراء خاصة تابعه فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية. توفى سنة ۲۳۲ ه. الاعلام ۱: ۳۶.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۶

قوله و تبيّنون غلطه إن كان قد غلط؟ قيل له: ما نعلم ذلك ضرورة و لكن نعلمه بدلالة، فمن استدلّ عرف، و من لم يستدلّ لم يعرف،

و من قصر عن الاستدلال و النظر غلط کما غلط ابراهیم النظّام.

فوجه الدلالة علی ذلک ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قد احتج بذلک علی المسلمین و المشرکین و تلا هذا القول علیهم من سورة القمر: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ».

و لم یکن لیقدم و یحتج علی العدو و الولیّ بما لا حاجة فیه، و یشیر الی أمر ظاهر یشار إلیه و یشاهده الناس، فلو أراد ان یکذّب و یردّ قوله ما زاد علی هذا؛ هذا لا یقع من عاقل و لا یختاره محصل کائنا من کان، فکیف یقع ممن یدّعی النبوة و الصدق و هو أشد حرصا بالناس کلهم علی تصدیقه و اتباعه؟ فلو أراد ان یکذبوه و یردوا قوله ما زاد علی هذا، و هذا لا یذهب علی متأمل.

فإن قیل: فما تنکرون علی من قال انه صلی اللّه علیه و سلم، ما احتج بهذا علی نبوته؟ قیل له: لا فرق [بین] «۱» من ادّعی ذلک او ادّعی فی جمیع ما أتی به من القرآن و غیره انه ما احتج بشیء من ذلک علی صدقه و نبوته.

و مما یزیدک علما بذلک و یبین لک غلط النظّام و جهل کل من ذبّ عن ذلک قوله تبارک و تعالی: «اقتربت الساعة و انشق القمر. و إن یروا آیة یعرضوا و یقولوا سحر مستمر» فانظر کیف قال: اقتربت الساعة، و أخبر عن امر قد کان و مضی، ثم قال علی نسق الکلام:

---

(۱) ما بین القوسین اضافة من عندی لیتصل الکلام.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۷

«و انشق القمر»، فجاء بأمر قد کان و انقضی و مضی فنسق علی الماضی بالماضی، و لو کان علی ما ظنّ النظّام لقال: اقتربت الساعة و انشقاق القمر، او کان/ یقول و سینشق القمر، فلما لم یقل ذلک و قال:

و انشقّ القمر، علمت انه اخبر عن شیئین واقعین قد وقعا و کانا و حصلا.

ثم قال علی نسق الکلام: «و إن یروا آیة یعرضوا و یقولوا سحر مستمر» فأخبر انها آیة مرئیة و حجة ثابتة. ثم قال علی نسق الکلام: «و لقد جاءهم من الأنباء ما فیه مزدجر. حکمة بالغة فما تغنی النّذر»، و هذا لا یقال فیما لم یقع و لم یکن. فتأمل هذا التقریع و التعنیف لتعلم انه امر قد کان، و لا یسوغ ان یقال فی امر لم یکن، و لم یقع هذا القول.

و أیضا فإن ما یقع فی القیامة و عند قیام الساعة لا یکون حجة علی المکلفین، و لا یعنّفون فی ترک النظر و التأمل له، فإن التکلیف حینئذ زائل مرتفع.

فأما قول النظّام: فلم لا یشاهد هذه الآیة کل الناس، فلیس هذا بلازم، لأن الناس لم یکونوا من هذا علی میعاد و إنما هو شیء حدث لیلا و ما کان عندهم خبر بأنه سیحدث و سیکون فی وقت کذا فینظرونه، و اذا کان کذلک فقد بطل ما ظنه. یزیدک بیانا ان القمر قد ینکسف کله فلا یری ذلک من الناس إلا الواحد بعد الواحد و النفر الیسیر لنومهم «۱»، فکیف بانشقاق القمر الذی انشق ثم التأم من ساعته بعد ان رآه اولئک القوم الذین طلبوه.

---

(۱) و قد تقرأ: لتوهم.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۸

و أیضا فقد یجوز ان یحجبه اللّه عز و جل لمصالح العباد إلا عن أولئک القوم، لأنه قد یجوز ان یکون فی بعض البلاد من المکذبین و المحتالین فی تلک الساعة من لو رأی ذلک لقال: انما انشق شهادة لی علی صدقی، و لا یکون ما ذکره النظّام قد جاء فی ذلک من هذا الوجه أیضا، و بطل ما توهمه.

و مدار/ الأمر ان یکون هذا أمرا قد کان، و قد ذکرنا الدلالة علی کونه فلا عذر لمن شک فیه.

و من الدلالة أیضا ان ذلک قد کان، ان الصحابة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قد تذاکروه فما فیهم من شک و لا ارتاب و لا

توقف، بل وقع إجماع منهم على كونه و وقوعه، فلا معتبر بمن جاء بعدهم ممن خالفهم.

و قد ذكر انشقاق القمر على بن ابى طالب، و عبد اللّه بن مسعود، و جبير بن مطعم، و ابن عمر، و ابن عباس، و أنس بن مالك، و خطب الناس مدينة بن مالك بالمدائن و ذكر فيه انشقاق القمر. و كانوا يقولون:

خمس قد مضين: الروم و القمر و الدخان و البطشة و اللزام «۱»، يتذاكرون هذا بينهم رحمة اللّه عليهم. و قد ذكرنا ما فى العقل من الحجة فى ذلك، و هى تلزم كل عاقل بلغته الدعوة، سواء كان من المسلمين او من غيرهم،

---

(۱) يقصد بالروم غلبة الفرس على الروم و ما تنبأ به القرآن من غلبة الروم بعد ذلك فى سورة الروم، و القمر حادثة انشقاق القمر الذى ورد فى القرآن فى سورة القمر، اما الدخان فما ورد حوله فى سورة الدخان، و أما البطشة فيقصد بها وقعة بدر لقوله تعالى: «يوم نبطش البطشة الكبرى»، و أما اللزام فقد قيل ان المقصود بها بدر أيضا، و قد ذكر ذلك ابن الاثير فى النهاية ۴: ۵۶.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۵۹

و فى ذلك أتم كفاية. ثم ذكرنا تذاكر الصحابة بذلك و هى دلالة اخرى، إذ لا يجوز ان يقول عاقل بحضرة جماعة، و قد أقبل على من يحدثه:

قد كنا فى وقت كذا حتى حدث كذا و كذا- و هو يستشهد بالذى حدث بحضرتهم و يدعى عليهم و ما عندهم علم- فيمسكون عن تكذيبه و الردّ عليه. ثم ذكرنا الاجماع السابق من الصحابة ليتأكد ذلك على كل من كان من اهل الصلاة.

باب آخر [ما كان بمكة من غلبة الفرس على ارض الجزيرة ادنى ارض الروم]

مما كان بمكة. و هو ان الفرس غلبت الروم على أرض الجزيرة و هى أدنى ارض الروم و ممالكها من سلطان فارس، فسرّ ذلك مشركى قريش لشدة فارس على الاسلام و المسلمين، و كانت الروم ألين كتفا على المسلمين لأنهم اهل كتاب، و كانوا يصغون/ الى ما يرد عليهم من أخبار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و ما يدعو إليه و ما يأمر به و ما ينهى عنه و كيف سيرته، و يتعجبون من ذلك و يستحسنونه، و يكون من ملكهم ما لعله يرد عليك. و ساء المسلمين ظهور فارس عليهم، فأخبر اللّه نبيه صلّى اللّه عليه و سلم ان الروم ستظهر على فارس بعد سبع سنين، و ان غمّ المسلمين سيعود فرحا، و أنزل بذلك قرآنا يتلى، فقال عز و جل: «الم. غلبت الروم فى أدنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون. فى بضع سنين. للّه الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه ينصر «۱» من يشاء و هو

---

(۱) فى الاصل: ينصر اللّه، و هو خطأ

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۰

العزيز الرحيم. وعد اللّه لا يخلف اللّه وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون».

فلما نزلت هذه الآية تلاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم على ابى بكر الصديق، و بشره و بشر المسلمين؛ فخرج ابو بكر الى المشركين و أخبرهم بذلك و توعدهم و جادلهم و أغضبهم و أغاظهم. فقال أبىّ بن خلف: و اللّه لا- تغلب الروم اهل فارس و لا تخرجنهم من أرضهم. فقال ابو بكر: بل تغلبهم و تخرجهم، فإن شئت بايعتك، فبايعه على تسع من الإبل الى ثلاث سنين. ثم دخل ابو بكر على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فأخبره الخبر، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: انها سبع سنين فزده فى الخطر «۱» و مدّ فى الأجل.

فرجع ابو بكر الى أبىّ بن خلف فاستقاله فأقاله، و قال: ان الذى يجىء به صاحبك باطل. فعاوده ابو بكر المبايعة و زاد فى الأجل اربع

سنين، و زاد فى الخطر/ ثلاثا من الإبل، و أخذ أبى ابا بكر بكفيل، لأن ابا بكر على الهجرة مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و قد كان يذكر هذا و قد بدأ فى فرار المسلمين بأديانهم، فأقام له ابو بكر عبد اللّه ابنه كفيلا، و أخذ ابو بكر أبى بن خلف بذلك فأقام له ابنا كفيلا، فأخرجت الروم فارس من أرضها يوم الحديبية، فأخذ عبد اللّه بن ابى بكر من أبى بن خلف و كان الخطر إذ ذاك مباحا طلقا.

فانظر كم فى هذا من دلالة و آية بينة، و أنه اخبر ان الروم ستغلب فارس، و أن ذلك سيكون بعد سبع سنين، فكان كما اخبر و على ما فصل

---

(۱) تخاطر: تراهن، و الخطر: السبق يتراهن عليه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۱

و بيّن، و البضع فوق الثلاث و دون العشر، و انظر الى هذا الإقدام و هذه الثقة من رسول اللّه، و انظر الى قوله: «و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه»، يريد بهذا النصر ظهور حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و ما أقدم عليه أبو بكر و جاهد المشركين و بايع، فهذا المراد بالنصر لا بظهور الروم على فارس لأن ذلك معصية، و فارس و الروم كفار و اللّه لا ينصر الكفار بعضهم على بعض. و انظر الى هذا التقريع و التوبيخ و تأكيده الوعد بقوله:

«و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم.

وعد اللّه لا يخلف اللّه وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون» و انظر كيف يستخف بهم و يستجهلهم و هم يسمعون و هو معهم و فى قبضتهم و فى أيديهم و الغلبة لهم، و انظر كيف يقول له فى آخر السورة: «فاصبر إن وعد اللّه حق و لا يستخفنّك الذين لا يوقنون»، فتأمل هذا البيان/ و هذا الافصاح و هذه المكاشفة و الاستظهار و العلوّ و الاستطالة بالحجة و العلم بهذا، و انه قد كان على ما ذكرنا و بيّنا يجرى مجرى العلم بقصة المهاجرين الى ارض الحبشة و نظائرها مما قدمنا فى قصة الاسراء و غيرها، فاحفظه و ارجع إليه.

و تأمل حال أبى بكر الصديق فى الاسلام و إسلامه فى اول الاسلام و فى حال ضعفه و قلة اهله و غلبة الشرك و المشركين عليهم، و فى الحال التى قد كان المستبصر فيها لا يظهر دينه و يخفى ما فى نفسه، و انظر الى بصيرة هذا الرجل و مكاشفته و استبداله بالمسالمة عداوة و بالراحة شقوة و بالغنى فقرا و بالكرامة هوانا، كل ذلك للإسلام. ثم كان لسان المسلمين و أكبر داعية للرسول و أجلّ أعضاده و أنبه أعوانه، لم يقم مقامه احد من المسلمين و لا سدّ مسدّه و لا حلّ من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم محله. و انظر

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۲

الى مقامه فى شأن الاسراء، و فى شأن الروم، و فى غير ذلك مما يطول شرحه. و انما احتجنا الى ذكر هذا و التنبيه عليه لأننا فى زمان يقول الكثير من اهله انه ما أسلم قطّ و ما زال عدوا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و للمسلمين، و أن عداوته كانت أشد و أضر من عداوة ابى جهل و عقبة ابن ابى معيط و أمثالهم، و أن القرآن كان ينزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بإكفار أبى بكر و عمر و عثمان و سعد و سعيد و أبى عبيدة و عبد الرحمن «۱» و الجماعة من المهاجرين و الأنصار، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يتلوه فى المحاريب و يسمعه الناس/ كلهم و يحفظهم إياه، و أنه مكث نيفا و عشرين سنة يفعل ذلك. و عند العلماء و الفقهاء و أهل التحصيل و الانصاف، انه كان يتقدم المسلمين فى الاسلام، و أنه كان أشدهم غنى، و أن امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب رضى اللّه عنه كان يقدمه و يقدم عمر على نفسه و يفضلهما على منابره و هما من الأموات، حتى يقول ابو القاسم البلخى «۲»:

و من يفضل أمير المؤمنين لا يمكننا ان ندفع قوله، ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيّها ابو بكر و عمر، و لا يدفع هذا من له بالعلم بصيرة أوله فيه نصيب و لكنه عندنا ما أراد نفسه، و قد كانت الشيعة الاولى تفضل

---

(۱) سعد بن ابى وقاص الصحابى الجليل المتوفى سنة ۵۵ ه. و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى، احد العشرة المبشرين بالجنة توفى بعد الخمسين من الهجرة، و أبو عبيدة عامر بن عبد اللّه الجراح، احد المبشرين بالجنة و فاتح الشام و امين توفى سنة ۱۸ ه. و عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى احد العشرة المبشرين بالجنة، لعب دورا كبيرا مع رجال الشورى بعد وفاة عمر حتى بايع لعثمان رضى اللّه عنه بالخلافة توفى سنة ۳۲ ه.

(۲) هو عبد اللّه بن احمد بن محمود، ابو القاسم البلخى او الكعبى، احد أئمة المعتزلة، له فرقة تنتسب إليه، و كان يفضل عليا رضى اللّه عنه. انظر تاريخ بغداد ۹: ۳۸۴، و وفيات الاعيان ۱: ۲۵۲، و الاعلام ۴: ۱۸۹.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۳

أبا بكر و عمر عليه. قال: و قال قائل لشريك بن عبد اللّه «۱»: أيهما أفضل؟ ابو بكر أم على؟ فقال: ابو بكر، فقال له السائل: أ تقول هذا و أنت من الشيعة؟ فقال: نعم، إنما الشاعى من قال مثل هذا، و اللّه لقد رقى امير المؤمنين هذه الأعواد فقال: ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيّها ابو بكر و عمر، أ فكنا نردّ قوله؟ أ فكنا نكذبه؟ و اللّه ما كان كذابا.

ذكر هذا ابو القاسم البلخى فى النقض على ابن الراوندى إغراضه على ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، فى كتابه «فى نظم القرآن و سلامته من الزيادة و النقصان». و ينبغى ان تعلم ان الذين وضعوا هذا انما قصدوا به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أهل بيته لشدة عداوتهم له و تستروا بالتشيع، و كان غيظهم على ابى بكر و عمر و عثمان و تلك الجماعة لأنهم هم الذين اشتملوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى حياته و نصروه، ثم كانوا بعد وفاته أشد نصرة فى دينه منهم فى حياته، و أحدقوا بأبى بكر/ فغزاهم، و قتل مسيلمة، و أسر طليحة، ورد الردة، و غزا فارس و الروم، و أذلّ أعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بكل مكان. و استخلف عمر، فأزال ملك فارس و هو أشد الملوك و أدخل ملكه فى الاسلام، و ألحق ملوك الروم بجبال الروم و خلجانها و أخرجهم من الشام و مصر و من الجزيرة و أدخل هذه الممالك فى الاسلام، و قتل الشرك و أماته و أحيا الاسلام و بثّه و نشره و بسطه و بناه و شيّده و جعله عاليا على الأديان كلها و ظاهرا على أمم الشرك جميعها. فغاظهم ذلك أشدّ الغيظ، و لم يمكنهم المكاشفة بشتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فاشتفوا

---

(۱) شريك بن عبد اللّه: هو شريك بن عبد اللّه بن الحارث النخعى، عالم بالحديث و فقيه ولى القضاء للمنصور العباسى فى الكوفة سنة ۱۵۳ توفى سنة ۱۷۷ ه. تذكرة الحفاظ ۱: ۲۱۴، وفيات الاعيان ۱: ۲۲۵.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۴

منه بشتم هؤلاء و غرّوا من لا يعرفهم و قالوا لهم: ما هذا القرآن بشىء، و هو مغيّر لا تقوم به حجة، و الاسلام مبدّل، و الفقهاء جهّال كفار، الى غير ذلك مما هذا سبيله و شرحه يطول، فاغترّوا بهم و قبلوا منهم و صدّوهم عن الاسلام فأوردوهم ما أصدروهم. و أنت تجد كثيرا من ذلك فى التفسير لأبى على «۱»، و فى نقضه الإمامة على ابن الراوندى، و فى غيرهما من كتبه، و فى كتب غيره من المعتزلة و اللّه أعلم.

باب آخر [من اعلامه صلّى اللّه عليه و سلم انقضاض الكواكب بمكة]

فمن أعلامه التى حدثت و هو صلى اللّه عليه و سلم بمكة، انقضاض الكواكب و امتلاء السماء بها من كل جانب على وجه انتقضت به العادة و خرج عن المعتاد. و هذه آية عظيمة، و بيّنة جليلة، و واضحة جسيمة.

و قد نطق القرآن بها فقال حاكيا عن الجن: «وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ/ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً. وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً» «۲».

فان قیل و من أین لکم هـذا و قـد سـبقکم زمانه و نحن لا نؤمن بکتابکم و لا نقرّ بنبیّکم؟ و خبرونا عن طریق معرفتکم بذلک هل هو ضرورة

---

(۱) هو محمد بن عبد الوهاب الجبائی (۲۳۵- ۳۰۳ ه) شیخ المعتزلة فی عصره و إلیه تنسب الجبائیة. نسبته الی جبی من قری البصرة، و تفسیره المذکور من اهم مؤلفاته، استفاد منه من بعده القاضی عبد الجبار و الحاکم ابو السعد و الزمخشری. وفیات الاعیان ۱: ۴۸۰. دائرة المعارف الاسلامیة ۶: ۲۷۰.

(۲) الجن ۸ و ما بعدها.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۵

أم اکتسـاب؟ قیل له: العلم بـذلک طریقه الاسـتدلال و الاکتساب، و یتهیأ لکل عاقل من کافر و مؤمن ان یعرف ذلک و یجب علیه ان یعرف، و سبیله سهلة قریبة، فمن نظر و استدل عرف، و من لم یستدل لم یعرف.

و الـدلیل علی ان ذلک قد کان، ان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلم قد تلا هذه السورة و احتج بذلک علی العدوّ و الولیّ، فعلمنا انه أمر قـد کـان و وقع، فـإن الحجـة به قـد قـامت و ظهرت و قهرت، لأنه لا یجوز ان یقصـد عاقل الی قوم یـدعوهم الی صـدقه و نبوته و یحرص فی أجابتهم الی طاعته و الانقیاد له و یریـد منهم ذلک ثم یقول: من علامة نبوتی و دلائل رسالتی ان النجوم لم تکن تنقض و انهـا الآن قـد انتقضت، و هو یعلم انهم یعلمون ان هـذا أمر لا اصل له و أنه قـد کـذب فیما ادعی. هـذا لا یقع من عاقل کائنا من کان، فکیـف بمن یـدعی النبـوة، و عقله العقـل المعروف الراجـح الموصـوف، ثم یقصـد الی امر ظـاهر مکشوف فی السـماء البـارزة للخلق أجمعین المشاهـدة للأولین و الآخرین، سـیما و العرب أعلم الناس بالکواکب و الأنواء و مطالعها و سـیرها، و الثابت الراکـد الـذی/ لا یغیب منها. و قد کتب الناس عنهم علمهم بذلک، و دونوا منه شـیئا کثیرا، و أکثرهم مأواه تحت السـماء، هی تسقفهم، و رؤیتهم لها و لکواکبها امر دائم متصل لا یفتر، و قد سـبقوا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سلم فی السن و الزمان و العلم بالکواکب، فکیف یقدم علی قوم هـذه سبیلهم فیـدعی هـذه الـدعوی و هم من العـداوة له و الطلب لعثراته و زلاته، و لأمر ینفرون به اصـحابه عنه علی حال لا مزید علیها؟ فأین کانوا عن هـذا الکـذب الظاهر الذی لا ینفع معه صدق یقدمه و لا صدق یکون بعده؟ و من هذه سبیله لا یکون لها رئاسة، و لا یتبعه احد، و لا یکون له قدر. و قد یتبعه قوم عقلاء ألبّاء «۱» فضلاء لأنه

---

(۱) ألباء: جمع لبیب. انظر القاموس المحیط.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۶

نبی و لأنه صادق، و طاعـة للّه و تقربا الی اللّه، و اسـتبدلوا باتباعه بالعز ذلا و بالراحة کدا ابتغاء مرضات اللّه، و تکلفوا فی اجابته بتلک الشدائد التی قد قدمنا شرحها، فکیف اقاموا علیه و هو یکذب هذا الکذب الظاهر.

و هناک من اعـدائه قریش و العرب و الیهود و النصاری و کیـدهم عظیم، کیف لم یوافقوا علی هذا و یجمعوا الناس علیه؟ و کیف لم یقولوا لأصحابه و هم إخوانهم و اولادهم و منهم: یـا هؤلاء، فارقتم أدیانکم، و جهلتم اسـلافکم، و اکفرتم آباءکم و شـهدتم علیهم بالفضـیحة، طاعـة لرجل فرض علیکم مجاهـدة الأمم، و بذل دمائکم و اموالکم فی ذلک، و ألزمکم التکالیف الشدیدة من شـریعته، و هو یکذب هذا الکذب الظاهر البارز للعقول/ و الأبصار؟ و فی ترکهم لذلک دلیل علی صحة هذه المعجزة.

و أعجب الامـور انه یتلو علیهم قول اللّه جـل و عز: «فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ وَ لکِنَّ الظَّالِمِینَ بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ «۱»» ای لا یجدوا بک کذابا، و لا یجدون فی قولک کذبا و إن حرصوا علی ذلک و اسـتفرغوا وسعهم، و لو قدروا ان یجدوا له عثرة او ذلة او ادنی شبهة لما واثبه قبل الناس کلهم إلا اصحابه، و لا قبله إلا خاصته و ثقاته و بطانته.

فإن قيل: فلعلهم لم يفعلوا هذا به و إن وقفوا على كذبه لئلا- يفضحوا أنفسهم و يشمتوا عدوهم، و لئلا- يقول الناس لهم خدعتم فامسكوا لهذا.

قيل له: هذا لا- يسأل عنه مميز، لأنه إن كان قد كذب فأقاموا عليه و قد عرفوا كذبه، فقد تعجلوا الفضيحة بإقامتهم عليه و أشمتوا بنفوسهم

---

(۱) الانعام ۳۳

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۷

الاعداء، [و خسروا الدنيا و الآخرة «۱»].

و جواب آخر:

و هو ان هؤلاء الذين اتبعوا الاعلام التى كانت معه من القرآن و غيره و قد شهدوا على انفسهم و آبائهم بأنهم كانوا فى ضلال و باطل و فضائح و ما استنكفوا من الرجوع عن ذلك، فلو حسوا «۲» بأدنى شبهة فضلا عن كذب لبادروا و رجعوا و كان ذلك اروح لهم، و أخف عليهم، و أبين فى عذرهم و قيام حجتهم، فان مراجعة الحق اولى من التمادى فى الباطل.

و جواب آخر:

و هو انهم لو وقفوا على امر يرتاب به لسألوه عنه، و عنف بعضهم بعضا فى الاقامة عليه و فى ترك قتله و البراءة منه،/ و لأذاعوه و أظهروه و إن ضرهم و غمهم و ساءهم، فان الجماعة الكبيرة لا- يجوز ان تكتم ما قد عرفت و إن ساءهم و إن ضرّهم و إن ذهب برئاستهم و حطّ من اقدارهم. فأعرف هذا فانه اصل كبير. هذا فيما يقفون عليه خاصة، فكيف بأمر الشهب و هو شىء يعرفه الناس عامة من وليّ و عدوّ، فتعلم انها آية عظيمة و حجة ظاهرة.

و انظر كيف اوردها و أدلّ على العدوّ و الولى و استطال بها فقال: «قل أوحى إلىّ انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدى الى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا احدا. و أنه تعالى جدّ ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولدا. و أنه كان يقول سفيهنا على اللّه شططا، و أنا ظننا ان لن

---

(۱) ما بين القوسين كتب قريبا من حاشية الورقة، فيحتمل ان تكون من الاصل او ان تكون من المعلق على الكتاب.

(۲) حسست الشىء: احسسته، و حسست به ايقنت به. انظر القاموس المحيط.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۸

تقول الانس و الجن على اللّه كذبا. و أنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا. و أنهم ظنّوا كما ظننتم ان لن يبعث اللّه احدا.

و أنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا و شهبا. و أنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا. و أنا لا ندرى اشرّ اريد بمن فى الارض أم اراد بهم ربهم رشدا» فانظر كيف ذكر هولها و عظمتها و ارتياع الجن و الانس لحدوثها، و انهم لا يدرون لأى شىء حدثت و هل حدوث ذلك لعذاب اهل الارض بذنوبهم، أم لموعظتهم و إرشادهم.

و قد جاء مع هذا أيضا ان «۱» الكواكب لما انتقضت اخذ الناس فى الخروج من/ اموالهم، و قالوا: ما حدث هذا إلا لفناء الدنيا و انقضاء مدتها، فقال عبد نائلة بن عمر و الثقفى «۲» لأهل ثقيف: أمهلوا فإن افادة المال بعد اتلافه تشق و تصعب، فانظروا الى الكوكب المنقضة، فإن كانت من الكواكب المعروفة المتقدمة فهو لفناء الدنيا، و إن كانت كواكب الآن حدثت و الآن خلقت فهو لأمر. فحدثت إحدى الليالى، فنظروا فإذا هى كواكب الآن حدثت، فأمسكوا عن اموالهم و ترقبوا ما يأتيهم من الاخبار، فاذا قد اتاهم ان

رجلا من قریش بمکة قد زعم ان اللّه ارسله الی خلقه لینذرهم، فقالوا: لعل هذا الانقضاض شاهد لهذا المنذر، و تبرکوا برأی هذا الرجل المشیر و صار مفخرا له و لولده من بعده، حتی یقولوا لثقیف ابونا الذی حبس علیکم اموالکم.

---

(۱) فی الاصل: من، و لعل الصحیح ما اثبتناه.

(۲) انظر ما اورده ابن کثیر فی تفسیر سورة الجن عن هذه الحادثة.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۶۹

فإن قیل: او لیس قد ذکر ان فی شعر الشراء الأولین ذکرا لانقضاض الکواکب، و فی کتب العجم ذکر لذلک.

قیل له: إن ابا علی و ابنه ابا هاشم «۱» و اصحابهما قالوا: ما ننکر ان یکون قد کان قبل مبعث النبی شیء من انقضاض الکواکب، و لکنا قد علمنا بالدلیل الذی قدمنا انه قد حدث عند مبعث النبی شیء انتقضت به العادة، و امتلأت السماء به، فتلک الزیادة علی الامر المعتاد هی الحجة؛ فصار ذلک بمنزلة الطوفان، فإن الماء قد کان قبل نوح علیه السلام یزید زیادات کثیرة معروفة معتادة، فلما جاء نوح صلی اللّه علیه زاد/ الماء زیادة انتقضت به العادة و خرج عن الأمر المعتاد، فکانت تلک الزیادة هی الآیة و هی الحجة. فلیس فی شعر الشعراء و لا فیما وجد فی کتب القدماء مطعن فی هذه الدلالة، و لا تکذیب لهذا الخبر، و هذا جواب سدید شاف کاف، لأن النبی صلّی اللّه علیه و سلم انما احتج بامتلاء السماء بالشهب لا بالأمر المعتاد، هذا لا یفعله عاقل و لا یقع منه کائنا من کان، فکیف بمن یدعی الصدق و النبوة و یرید من الناس کلهم تصدیقه و اتباعه، فلا یجوز ان یحتج علیهم بأمر قد عرفوه قبل ان یخلق و یخلق آباؤه فیقول: هذا من آیاتی و من اجلی حدث و بسبب تصدیقی خلق، فیکون بمنزلة من قال: من الدلالة علی نبوتی ان الشمس ما کانت تطلع علیکم و انها الآن قد صارت تطلع.

فأما ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه اللّه، فانه یذکر فی کتاب «الحیوان» انقضاض الکواکب، و ذکر ما فیه من الآیة و الحجة فی النبوة،

---

(۱) ابو هاشم الجبائی هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائی «۲۴۷- ۳۲۱ ه» من کبار رجال المعتزلة له طائفة تنتسب إلیه تسمی بالبهشمیة، و یعتبر القاضی عبد الجبار من تلامیذه و رجال مدرسته. وفیات الاعیان ۱: ۲۹۲ و تاریخ بغداد ۱۱: ۵۵.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۰

و ذکر الشعر الذی ذکر فی هذا المعنی لهؤلاء الشعراء، فقال هو و ابراهیم النظّام و غیرهما: إنه لیس فی هذا الشعر امر بیّن قد اراد به صاحبه انقضاض الکواکب و لکنه امر محتمل. و ذکروا فی بعض هذا الشعر أنه مولد و قد قیل فی الاسلام، قاله بعض الزنادقة و نسبه الی الأوائل، و ذکروا فی بعضه ان قائله و ان کان کافرا جاهلیا فقد ادرک المبعث و أوائل المبعث؛ فأبطلوا ان یکون فی هذا متعلق/ او یحتاج فیه الی جواب.

و استبعد ابو عثمان ان یکون هذا امر قد کان ظاهرا قبل الاسلام، قال:

و إلا فأین کان القدماء من الشعراء، کامرئ القیس و من تقدمه، و کنانة و زهیر «۱» و شعراء القبائل القدیمة، کیف لم یذکروا هذا فی اشعارهم و هو أمر بارز لأبصارهم؟ و هم قد شهوا بالحیات و العقارب و الجعلان و الخنافس و البراغیث و بالقمل و بکل شخص و بکل ما دب و درج؟ و لیس ببعید ما قاله. فأما جواب أبی علی و اصحابه: فما نبالی و لو کان الشعر ملء الدنیا للأوائل، فما له فی هذا تأثیر.

قال ابو عثمان: و أما ما یدّعی من ذکر الشهب فی کتب العجم الاوائل فهو امر لا سبیل الی العلم به لأنها منقولة فی الاسلام، و انما نقلها الواحد بعد الواحد من أعداء الاسلام، و من هو اشد الناس حرصا علی تکذیب النبی صلّی اللّه علیه و سلم و تشکیک المسلمین،

فهو لو كان عدلا مسلما ما علم ذلك بخبره، فكيف و حاله ما وصفنا؟.

و بعد فمن اين لنا انه عليم باللغتين و يقصد واضعى الكتب حتى يوثق بنقله و بأخباره؟ و هو كما قال ابو عثمان، فإن هذه الكتب التى وضعت فى الاسلام،

---

(۱) يقصد زهير بن ابى سلمى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۱

و نسب بعضها الى الهند، و بعضها الى الروم، و بعضها الى اليونانية، و بعضها الى القبط، و بعضها الى النبط، و بعضها الى الفرس، فانما وضعها الواحد بعد الواحد، و زعم انه وجده لأهل تلك اللغة، و زعم انه عالم بتلك اللغة فنقله، فهو امر لا يقع به علم و ليس معنا اكثر من دعوى هذا الواضع، فبمقدار ما يكتبه و يترجمه و يلقيه الى الورّقين فيدور/ فى ايدى الناس فيقول من لا علم له و لا عادة له بمجالسة المعتزلة و من اخذ عنهم و من لا سبيل له الى طرق اهل العلم: هذا من كتب الأوائل؛ فاعرف هذا، فانه باب كبير و كل احد أمس الحاجة إليه فان الجهل و ترك التأمل غالب على الناس، و أعداء الاسلام كثير، و هم بينهم، يكيدونهم بأنواع الكيد من حيث لا يشعرون.

فمن ذلك خطب و رسائل و وصايا و حكم وضعت فى ايام بنى العباس و نسبت الى أمم العجم، لا سبيل الى العلم بما ادعوا واضعوها من أنهم وجدوها للأوائل، و انما كان غرضه شغل الناس عن القرآن و عن عهود رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و وصايا السلف بعده، و لعله انما اخذ ذلك و حصّل معانيه من القرآن و من حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و غيّر اللفظ و نسبه الى أمم العجم و العلماء. و أهل التحصيل يتهمون عبد اللّه بن المقفع فيما وضعه من «كليلة و دمنة» و كتاب «اليتيمة»، و ما زعم انه وجده للفرس، فقالوا: ما معنا فى هذا اكثر من الدعوى، و هو رجل بليغ اللسان بليغ العلم، فارسى الأصل، قد جرى من المجوسية على عرق، فقد كان فيها طويلا، و هو كثير الرواية لآداب العرب و علومها، متعصب لقومه، قد أسلم بعد الكبر، و كان متهما فى دينه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۲

و هكذا قالوا فى أبان بن عبد الحميد اللاحقى «۱». و قد وضع سهل بن هارون بن رهبونة «۲» الكاتب الفارسى صاحب المأمون، كتاب «ثغرة و ثعلبة»، يعارضه به كتاب «كليلة و دمنة»، و جعله على ألسن الطير و البهائم، و ذكر فيه حكم العرب كما صنع ابن المقفع «۳» فى كليلة و دمنة عن هذا/ الذى سماه برزوى الطبيب، فقدمه فى صدر الكتاب كأنه ما أراد إلا تشكيك أهل الديانات و أتباع الأنبياء صلى اللّه عليهم فى اديانهم. و قد دار فى أيدى قوم من المنجمين كتاب زعموا انهم وجدوه لجابان منجّم كسرى ملك فارس، و قد أخبر فيه بزعمهم أن نبوّة تحدث فى العرب يكون مدة صاحبها كذا و كذا سنة. فذكر ايام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، ثم ايام ابى بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على رضى اللّه عنهم، و لم يذكر اسماءهم، و فصل من أحوالهم و سيرهم و أعمالهم شيئا كثيرا. فافتتن به المنجمون حتى ظنوا ان «۴» صنعتهم حق، و أنها تؤدى الى علم، و فتنوا بذلك خلقا كثيرا مما لا يدرى من الامراء و الوزراء و طبقات الكتاب، و جعلوا ذلك شاهدا لصنعة النجوم و نفقوها، فجرى ذلك بحضرة رجل من علماء المعتزلة فقال للمنجم الذى احتج بذلك فى صحة صنعة النجوم و هو إسحاق بن فليت اليهودى احد

---

(۱) هو ابان بن عبد الحميد بن لاحق، شاعر مكة، اتصل بالبرامكة و مدحهم و نظم لهم كليلة و دمنة شعرا و كتبا اخرى فارسية، توفى سنة ۲۰۰ ه. دائرة المعارف الاسلامية ۱: ۱۶ و الاعلام ۱: ۲۰.

(۲) كاتب بليغ فارسى الاصل، و من واضعى القصص، ولاه المأمون رئاسة خزانة الحكمة، و كان شعوبيا يتعصب للعرب على العجم. معجم الأدباء ۴: ۲۵۸، فوات الوفيات ۱: ۱۸۱.

(۳) کتب المعلق فی حاشیة الکتاب العبارة التالیة: «فی نسه ذلک الی المفید و قد قال الناس ان الذی حکاه عن هذا الرجل الذی سماه».

(۴) فی الاصل: انهم، و لعل الصواب ما اثبتناه.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۳

رؤساء المنجمین فی زمانه ببغداد، و کان یتقدم عند کثیر منهم علی رؤساء منجمی زمانه و من کان فی عصره کابن زکریا «۱» النوبختی، و کابن فرخان شاه النصرانی «۲» و غلام زحل «۳»: من این لک یا أبا الطیب ان هذا الکتاب وضعه جانان لکسری؟ فقال هذا مشهور دائر بین المنجمین لا یشکون فیه، فقال له: عن هذا و صحته سألتک، هل هو اکثر من انک وجدت کتابا مکتوبا منسوبا الی جانان منجم کسری؟ من این ان هذا کما کتبه هذا الکاتب و أخبر به هذا المخبر و ما معنا و ما معکم اکثر من الدعوی؟ و انما هذا رجل وجد کتابه فی الاسلام/ و فی ایام بنی العباس و فی زمان الدیلم منها، و ادعی فیه انه قدیم وجده فارسیا فنقله، و انما وضعه بعد ان مضت ایام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و أیام خلفائه و ایام بنی أمیّة و الصدر الکبیر من بنی العباس و عرف ذلک و تیقّنه، فوضع الکتاب بعد ذلک، و حذف اسماء القوم لیظن انه قد وضعه قبل ان یخلقهم اللّه، فیدعی من یقرأ کتابه ممن لا علم له له الصدق و الحذق، و لصنعة النجوم الصحة. و إلا- فأرنا إن کان قد اخبر فیه عمّن یأتی من الخلفاء او غیرهم، او ذکر ایامهم و اعمارهم علی التحقیق کما ذکرها عمن تقدم، حتی یکون لک فی ذلک شبهة، فتحیر ابن فلیت من هذا بعد الخطاب الطویل، و لان بعد شدته، و سکن بعد نزوته، و قال: لعل الأمر ان یکون کما قلت، فقال له المعتزلی: ما اسرع ما رجعت عن تلک الدعاوی، فقال: انا اخبرک، قد قرأت اربع نسخ من

---

(۱) فی الاصل ابن کریا، و لعله ابن زکریا النوبختی.

(۲) ابن فرخان شاه النصرانی: هو ابن نضیر بن فرخانشاه المنجم الاعجمی المتوفی سنة ۳۶۷. القفطی ۳۵۶.

(۳) هو عبید اللّه بن الحسین ابو القاسم المعروف بغلام زحل، قال القفطی من افاضل الحساب و المنجمین، توفی سنة ۳۷۶. تاریخ الحکماء ۲۲۵، الفهرست ۳۹۵.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۴

هذا الکتاب المنسوب الی هذا الرجل، و کلها مختلفة، و قد ذکر فیها ان البیت یسقط حجّه و تعظیمه، و انا اتوقع کل سنة و اسأل عن الحاجّ فاذا هو لا ینقطع حجّه. و لم یکن بنا قول ابن فلیت و لا استدلاله فانه لیس بشیء قوی، و یمکن الخصم ان یدّعی ان ذا سیکون، او یشغب بغیر هذا، و لکن الذی ذکره واضع الکتاب لیس فی صنعة النجوم شیء منه و من الاصابة علی طریق التفصیل، و انما تتفق لهم الإصابات عن غیر علم کما تتفق للعّابین الخاتم و الزوج و الفرد، و للمتفائلین/ برؤیة الثعلب، و للمتطیرین بالغراب و البوم، و ما یتفق لهؤلاء من الاصابة اکثر و احسن و اسرع لحذاق منجمی الملوک، و هذا یکفیک فی بطلان صنعة النجوم، و لم نکن فی الرد علیهم، و لکن عرض هذا فذکرناه، و ستجد فی الرد علیهم اکثر من هذا.

و لکن ذکر الکتاب المنسوب الی جانان و امثاله، یضعه أعداء الأنبیاء لیشکوا فی اخبارهم، و لیجعلوا صوابهم جاریا مجری إصابة المنجمین، و لینفقوا صنعة النجوم، و لیرغبوا الناس فی الفزع إلیهم و فی التعویل علیهم و یستأکلوهم، و لتتم حیلتهم علیهم و هذا الجنس یسمیه المنجمون الهاذور، و أنت تجد هذا کثیرا، فیقولون: قال ما شاء اللّه ابن أبری الیهودی «۱» فی القرانات کذا و کذا و قد صح، و قال الحسن بن سهل و الفضل للمأمون «۲»: کذا و کذا قبل

---

(۱) و اسمه میشا بن ابری المنجم الیهودی المشهور، عاش زمن المنصور و بقی حتی ایام المأمون.

قال القفطی: و کان فاضلا اوحد زمانه فی الاخبار بأمور الحدثان و کان له خطر قوی فی سهم الغیب و من مؤلفاته کتاب القرانات.

تاریخ الحکماء للقفطی ۳۲۷

(۲) هما اخوان من اصل مجوسی، اسلما و اشتهرا بالذکاء و الادب و الفصاحة، و وزرا للخلیفة المأمون العباسی، و کان الفضل یلقب بذی الرئاستین.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۵

أن یکون فکان کذلک.

و ربما وقع لبعض المؤرخین و الاخباریین ممن لا علم له بصنعة الکلام مثل هذه الکتب و الاخبار فیذکرها و یضمنها کتبه، فیقرؤها من لا علم له و لا سأل العلماء عنها فیتحیر و یضل. و قد صنع الناس فی الاسلام مثل هذا، فقصدوا الی امور قد کانت و وقعت فعملوا فیها اشعارا و نسبوها الی قوم قد تقدموا و ادعوا انهم قد عرفوها قبل ان تکون، کما صنعوا فی قصیدة نسبوها الی رجل یقال له ابن ابی العقب ذکر فیها دولة بنی العباس و کیف ابتداؤها، و ذکر جماعة من خلفائهم و این ماتوا و این قبورهم، و ادعوا انه اخذ هذا عن الأئمة و عن الاوصیاء، و هو امر لا اصل له و کذب لا یشک/ فیه، و انما سبیله ما ذکرنا، فاعرف ذلک فانه باب کبیر، و المخرق به و المشاکل به کثیر، و للجهل به ضلت طوائف من هذه الأمة ممن خالف المعتزلة من طوائف الشیع و غیرهم.

و هذه سبیل الکتب المنسوبة الی الیونانیة کأفلاطن و أرسطاطالس و غیرهم، فانها نقلت فی الاسلام، و ناقلوها و مدرسوها انما هم الواحد بعد الواحد الذین لا یعلم بأخبار جماعتهم شیء، و هم مع هذا أعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و أشد الناس حرصا علی التشکیک فی الاسلام و صدّ اهله عنه، و هم یسترون بالنصرانیة و النصاری لا یرضونهم، و یشهدون علیهم بالالحاد و تعطیل الشرائع و الطعن فی الربوبیة و فی جمیع النبوات، و قد حرموهم و نهوا عنهم، کقسطا

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۶

ابن اقا «۱»، و حنین بن إسحاق و ابنه إسحاق «۲»، و قویری «۳»، و متی بن یونس «۴»، و یحیی بن عدی «۵»، و هؤلاء مع قلتهم ما جمعهم زمان واحد.

و کان یوحنا القس «۶» مدرس أقلیدس و المجسطی و غیره یقول: قد حذف الذین نقلوا کتب هؤلاء کثیرا من ضلالهم و فاحش غلطهم عصبیة لهم و ابقاء علیهم، و اعاروهم و اعطوهم ما لیس لهم من معانی الاسلامیین و بیانهم، و العدو اذا کان متدینا لم یؤمن حنقه، فکیف بمن لا یعتقد معادا، و لا یرجو حسابا، و لا یخاف عقابا.

ثم عدت الی ما کتب علیه من ذکر الشهب.

و قد تصفح العلماء الکتاب المعروف بالعلوی «۷» المنسوب الی ارسطالس

---

(۱) هو فیلسوف شامی نصرانی، اشتهر بالترجمة من الیونانیة الی العربیة، و برع فی علوم کثیرة. عاصر یعقوب بن إسحاق الکندی. انظر تفصیل کتبه فی الفهرست ۴۱۱، و القفطی ۲۶۲.

(۲) انظر ترجمة حنین بن إسحاق و ابن إسحاق فی هامش ص ۵۳.

(۳) و اسمه ابراهیم قویری و یکنی ابا إسحاق، ممن اخذ عنه علم المنطق، و علیه قرأ ابو بشر متی بن یونس. الفهرست ۳۶۷، و طبقات الأطباء ۷۷.

(۴) ابو بشر متی بن یونس النصرانی المنطقی. قال القفطی: و کان ببغداد فی خلافة الراضی بعد سنة عشرین و ثلاثمائة و قبل سنة ثلاثین و له مناظرة جرت بینه و بین ابن سعید السیرافی النحوی. القفطی ۳۲۳.

(۵) هو ابو زکریا یحیی بن عدی بن حمید بن زکریا المنطقی، قال ابن الندیم: و إلیه انتهت رئاسة اصحابه فی زماننا. قرأ علی ابی بشر

متی و علی ابی نصر الفارابی و علی جماعة مذهبه من مذاهب النصاری الیعقوبیة. الفهرست ۳۶۹.

(۶) یقصد یوحنا بن ماسویه، کان نصرانیا شماسا سریانیا فی ایام الخلیفة هرون الرشید، و قد ولاه ترجمة الکتب الطبیة القدیمة، و له فی تاریخ الحکماء للقفطی ترجمة طویلة. انظر القفطی ۳۸۰.

(۷) یقصد کتاب الآثار العلویة لأرسطو، نقله الی العربیة ابو بشر متی. الفهرست لابن الندیم ۳۵۱

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۷

فإنه نقله بعض هؤلاء لبعض الخلفاء من بنی العباس لیتحفه به، فما وجدوا فیه ذکرا مصرحا لانقضاض الکواکب، و إنما هو قول محتمل یتأوله بعضهم و یدعی انه أراد به ذلک، و هو بأنه شیء یثور من الارض و یرقی الی الجو/ أشبه.

و قد کان هرون الرشید ضغط الروم و حاصرهم فی بلادهم و اذلهم الی ان اجابوا الی اداء الجزیة و اتقوه بها فأخذها منهم، و کتب إلیهم کتابا بیّن لهم توحید اللّه و انفراده بالقدم و صدق نبیّه صلّی اللّه علیه و سلم، و ذکر فیه قطعة کافیة حسنة من اعلام النبوة و أنفذه الی ملک الروم مع رجل من المعتزلة إما معمّر او غیره، و الکتاب إنشاء ابی الربیع محمد بن اللیث الکاتب القرشی «۱»، و هو موجود فی رسائل تاج الاصفهانی «۲» لا اشک، و قد حدثنی بعض اهل العلم انه مذکور فی «المنثور و المنظوم» لابن ابی طاهر «۳». و قد ذکر فی هذا الکتاب آیة الشهب و انقضاض الکواکب و استوفی الحجة فیها، و لم ینفذ هذا الکتاب الی ملک الروم إلا بعد تصفح کتب الاعاجم و استقصاء کل ما یمکن

---

(۱) هذا ابو الربیع محمد بن اللیث الخطیب، کتب لیحیی بن خالد، و له ولاء ببنی أمیّة، و کان بلیغا مترسلا کاتبا فقیها متکلما، ذکر له صاحب الفهرست کتاب «جواب قسطنطین عن الرشید» و لعله هو المقصود هنا. إلا ان صاحب الفهرست یضیف روایة تشیر الی ان نسبه یتصل بدارا، احد ملوک الفرس، بعد ان ذکر انه کان شدید المیل علی العجم و أن البرامکة کانوا یکرهونه لذلک. ابن الندیم ۱۷۵.

(۲) هو محمد بن بحر ابو مسلم الاصفهانی، معتزلی و من کتاب الکتاب. کان عالما بالتفسیر و غیره من صفوف العلم توفی سنة ۳۲۲. ذکر له یاقوت فی معجم الادباء کتابا باسم «مجموعة الرسائل» لعله هو المقصود هنا. «۲۸۰ ه.» معجم الادباء ۶: ۴۲۰

(۳) هو احمد بن طیفور الخراسانی مؤرخ و أدیب، له کتاب تاریخ بغداد، و أما کتاب المنثور و المنظوم فیقع فی اربعة عشر جزءا. یاقوت ۱: ۱۵۶.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۸

ان یقال، لتعلم صحة هذه الآیة و خوض العلماء فیها قدیما.

و قد قال ابو علی رحمه اللّه و اصحابه کما قد ذکرنا عنهم ما لا یضرنا و لو ذکر الاوائل کلهم الحجة فی الزیادة الناقضة للعادة و امتلأ السماء به عند مبعثه.

و قد جاء فی الاثر ان کوکبا انقض فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلم: ما کنتم تقولون فی هذا فی الجاهلیة «۱»؟ فقال اصحاب ابی علی لأصحاب ابی عثمان «۲»: هذا یدل علی انه قد کان لانقضاض الکواکب اثر ثم زاد فی المبعث زیادة انتقضت العادة به، فقال اصحاب ابی عثمان: إنما اراد النبی صلّی اللّه علیه و سلم بقوله لهم: ما کنتم تقولون فی ذلک فی الجاهلیة، یرید قبل اسلامهم و قبل تصدیقهم له. و علی کلا القولین فالآیة ثابتة و الحجة قائمة، و لیس/ فی هذا خلاف فی کونها و وقوعها.

و أما ارسطالس هذا فلا معول علی ما یقوله، و إن کان اصحابه قد صدقوا علیه فهو غیر کامل العقل، لأنهم حکوا عنه ان هذه الاجسام العلویة من الشمس و القمر و الکواکب لا یجوز ان تنقسم و لا تتجزأ و لا تتبعض، و ان الشمس لیست حارة و محال ان تکون حارة، و ان هذه الاجسام محال ان تکون حارة او باردة، او رطبة او یابسة، او ثقیلة او خفیفة، او لینة او خشنة، و محال ان تکون هذه الکواکب

اكثر مما هى بكوكب واحد، او ينقص منها كوكب واحد، و محال ان تكون الشمس اكثر مما هى او اقل، و محال ان يكون لها لون او ريح او طعم.

---

(۱) انظر لما ورد فى انقضاض الكواكب من آثار تفسير ابن كثير ۴: ۱۹۲ و ۴۲۹.

(۲) يقصد اصحاب ابى على الجبائى و أبى عثمان الجاحظ.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۷۹

و هـذا الـذى احـاله هـذا الرجـل جوازه قـائم فى العقـل، يعلمه كل عاقل من عالم و جاهل، و نظار و غير نظار، فإن كان عاقلا و بلغ به المحل و اللجاج الى أن ركب هـذه المجاحـدة و المكابرة فيما هو فى فطر العقول كلها و فى اوائلها، فمن يعده او يعتد بقوله او يذكره فيمن يرد عليه و يتتبع عـوراته و هـو عورة كله من اوله الى آخره؟ و لو لم يكن له من الجهـل و الخروج من العقـل إلاـ هـذا لكفـاه و أغناه، بل لو قسـمت هـذه الجهالـة على جميع اهل الارض، من اولهم الى آخرهم لحطت منازلهم، و اسـقطت اقـدارهم، حتى لا يعدوا فيمن ينقض عليه و يرد قوله. كيف، و له من الجهالات المستخفة المسقطة غير هذا مما إن طلبته وجدته و وقفت عليه.

و من جهله انه اعتقد ان السـماء و الشـمس و القمر و الكواكب، عاقله مميزة سميعة بصيرة ضارة نافعة تحيى و تميت/، و ان كل حادثة فى هذا العالم من فعلها و تأثيرها. و العلم بأن السـماء و الشـمس و القمر و النجوم جمادات و موات كالعلم بأن شـعاع الشـمس و شعاع القمر وضوء الكواكب و البرق و الغيم و الريـح و المطر و البحر و المـاء و الهواء و الاـرض و النار جماد موات، و لا فرق بين من ادعى فى الاـرض و النار و الماء و الهواء و النبات ذلك او ادعاه فى الكواكب، بل كانت دعواه فى الطعام و الشـراب و الهواء و اشـباه ذلك انها حيّة قادرة نافعة ضارة تحيى و تميت اجدر و أدخل فى الشغب ممن ادعى ذلك فى الشمس و القمر و السماء و الكواكب، فيقول: وجـدت الهواء حيث كـان جـاز ان يكون معه الحيوان، و حيث لاـ يكون لاـ يكـاد يوجـد حيوان، و إذا ركـد مرض الأصـحاء و نهك المرضى و تعفن عنده الثمار و الطعام و النبات، فعلمت انه حىّ سميع بصير قادر يحيى و يميت.

ثم يصير الى الماء فيقول: عند وجوده يوجد الحيوان و النبات و عند عدمه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۰

يتلف الحيوان و النبات، فعلمت انه حى ناطق سميع بصير نافع ضارّ.

ثم يصير الى الارض و مرافقها فيذكر منها مثل ذلك، لما فيها من النبات و المعادن.

و كـذلك فى النار قال: أ لا ترى انها تعقد شـيئا كالبيض و ما أشـبهه، و تحل شـيئا كالنحاس و الرصاص و الذهب و الفضة و ما أشـبه ذلك، و تبيض شيئا و تسود شيئا، فعلمت ان هذه الأشياء كلها حيّة ناطقة سميعة بصيرة فعالة.

و هذا قول مانى، حتى قال فى اجسام العالم كلها و فى كل جزء منها، حتى قال ذلك فى الحديد و الحجارة و الحطب. و المنانية تقول فى الاصوات التى تسـمع عنـد قلى السـمسم و الباذنجان و اصوات/ غليان القـدور و اصوات الحطب عنـد التشـقيق، هـذا كله صـراخ و ضجيج منها، لما تجره من الآلام.

و المنانيـة تزعم ان الفلاسـفة عنها اخـذت هذه المذاهب، و انما ذكرت لك بهذا المكان لتعرف مقدار عقول الزنادقة و الملحدة، و لو لاـ فتنـة قوم من الرؤسـاء و الكتـاب و الوزراء بهم لمـا ذكرنـاهم، و لكن هؤلاء لغافلتهم و سوء تمييزهم قـد اغتروا بهم لما ذكرناهم. و صارت هـذه الباطنيـة تدعو إليهم، و تضع الروايات الكاذبة عن اهل البيت فيهم، فوجب ان نذكرهم بما فيهم و يصدق عليهم، ليعرفهم الناس.

و باب آخر [دعوة رسول اللّه على مضر و إمساك القطر عنهم]

و من آیاته صلّی اللّه علیه و سلم، انهم لما کذبوه و آذوه فی نفسه و اصحابه دعا علیهم فقال: اللهم اشدد وطأتک علی مضر، و ابعث علیهم سنیّ کسنیّ یوسف صلّی اللّه علیه و سلم،

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۱

فأمسک عنهم القطر حتی جفّ النبات و الشجر و ماتت الماشیة، و حتی اشتووا القد «۱» و أکلوا العلهز «۲»، و تفرقوا فی البلاد لشدة الحال. فوفد حاجب ابن زرارة الی کسری فشکا إلیه ما نالهم، و سأله ان یأذن له فی الرعی بالسواد و رهنه قوسه، و هی قصة معروفة نزل بها القرآن و جری فیها الخوض، و هو قوله عز و جل: «فَارْتَقِبْ یَوْمَ تَأْتِی السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِینٍ، یَغْشَی النَّاسَ هذا عَذابٌ أَلِیمٌ «۳»». و الدخان الجدب «۴»، ثم سمی دخانا لأن الغبار یرتفع فی عام الجدب فیکون کأنه دخان، و لذلک سمیت سنة الجدب غبراء لارتفاع الغبار فیها، و هذا شیء قد کان و مضی، و لا یجوز ان یکون هذا مما لم یأت، لأنه عز و جل یقول: «یَغْشَی النَّاسَ هذا عَذابٌ أَلِیمٌ «۵»». ثم ورد علی نسق/ «إِنَّا کاشِفُوا الْعَذابِ قَلِیلًا إِنَّکُمْ عائِدُونَ، یَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْکُبْری إِنَّا مُنْتَقِمُونَ» یعنی یوم بدر، و هذا کله یدل علی ان الدخان قد انقضی و مضی، و انه بدعائه، لأن العذاب فی الآخرة لا یجوز ان ینکشف و لا یخف. و قد قال فی هذا: «إِنَّا کاشِفُوا الْعَذابِ قَلِیلًا إِنَّکُمْ عائِدُونَ» و العود الی المعاصی فی الآخرة لا یقع أیضا. و کان انکشاف العذاب عنهم بدعائه أیضا، فأتاهم الغیث و کثر، ثم عادوا الی طغیانهم.

---

(۱) القدّ فی الاصل هو القطع المستأصل او المستطیل او الشق طولا، و یطلق علی جلد النحلة. انظر القاموس المحیط.

(۲) فی حاشیة الکتاب ان العلهز هو الدم یخلط بالوبر.

(۳) الدخان ۱۵ و ما بعدها تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ج۱ ۸۱ و باب آخر دعوة رسول الله علی مضر و إمساک القطر عنهم ..... ص : ۸۰

(۴) فی الحاشیة: الدخان، الجدب

(۵) الدخان ۱۵ و ما بعدها

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۲

قال اصحاب عبد اللّه بن مسعود «۱»: کنا عند عبد اللّه جلوسا و هو مضطجع بیننا، فأتی رجل فقال: یا أبا عبد الرحمن إن قاصّا عند ابواب کندة- یعنی الکوفة- یقصّ، یزعم ان آیة الدخان تجیء فتأخذ بأنفاس الکفار، و یأخذ المؤمنین منه کهیئة الزکام. فقال عبد اللّه:- و جلس و هو غضبان- أیها الناس اتقوا اللّه، و من علم شیئا فلیقل بما یعلم، و من لا یعلم فلیقل اللّه أعلم، فإن اللّه قال لنبیه صلّی اللّه علیه و سلم: (قُلْ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ) «۲». إن النبی صلّی اللّه علیه و سلم لما رأی من الناس إدبارا قال: اللهم سبعا کسنیّ یوسف صلی اللّه علیه، فأخذتهم سنة حصدت کل شیء حتی اکلوا الجلود المنتنة و الجیف، و ینظر احدهم الی السماء فیری دخانا من الجوع؛ فأتاه ابو سفیان بن حرب، فقال: یا محمد إنک حیث تأمر بالطاعة و بصلة الرحم، و إن قومک قد هلکوا فادع اللّه لهم. قال ابن مسعود:

فکانت الدخان سنین کسنیّ یوسف علیه السلام فکشف عنهم، أ ما ترونه قال: (إِنَّا کاشِفُوا الْعَذابِ قَلِیلًا إِنَّکُمْ عائِدُونَ) بعد ان قال له: فارتقب فارتقب صلّی اللّه علیه و سلم و وقع، ثم دعا فکشف. و البطشة/ الکبری یوم بدر. و قد مضت آیة الروم و آیة الدخان و البطشة و اللزام.

باب

و من آیاته بمکة، أنه صلّی اللّه علیه و سلم لما جمعهم و وعظهم و دعاهم الی اتباعه و مفارقة ما هم علیه من دیانات آبائهم ردّوا

قوله، و مشى بعضهم الى بعض و قالوا:

---

(۱) اسلم بن مسعود قديما و هاجر الهجرتين و شهد بدرا و المشاهد كلها، و لازم النبى صلى اللّه عليه و سلم. و حدث عنه الكثير، ثم شهد فتوح الشام، عينه عثمان على الكوفة ثم عزله، توفى سنة ۳۲ ه. الاصابة ۲: ۳۶۰

(۲) سورة ص ۸۶

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۳

(امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ، أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً؟) «۱» و توعدوه بكثرتهم و عزهم و أموالهم، و وثقوا بذلك، و غرهم ما رأوا من ضعف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و وحدته و توعدهم رسول اللّه و هو فى تلك الحال، فأنزل اللّه (جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ) فكان كما أخبر و كانت العقبى له.

فتأمل الامر فى ذلك تجده عظيما لأنه توعدهم بالحرب قبل الحرب و قبل الجماعة و فى حال الضعف، و هو معهم و فى أسرهم و فى قبضتهم، فبعثهم على قتله و استئصاله، و هيّجهم على بذل المجهود و استفراغ الوسع فى مكارهه، و هذا لا يقع من عاقل إلا ان يكون واثقا باللّه، ساكنا الى تنزيله و وحيه.

و اذا وفّيت النظر حقه لم تجد لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى اخوانه من النّبيين و المرسلين صلوات اللّه عليهم اجمعين نظيرا فى الضعف و الوحدة، و من خالف قومه تلك المخالفة و هاجهم و أسخطهم ذلك الاسخاط، و اخبرهم بما سيكون من قوته و غلبة الجبابرة من الأمم قبل ان يكون ذلك او يكون له امارة تقتضى، فصارت الامور فى القوة و الظهور الى ما قال، فابتدأ ابتداء الشمس و امتدّ امتداد النهار.

باب [ما كان بمكة حين بكى الرسول عليهم قوله تعالى: اقتربت الساعة]

مما كان بمكة، حين تلا عليهم سورة «اقتربت الساعة» و قص عليهم أمة أمة من الذين كذبوا الرسل، و ما نزل بهم من النكال و البوار، الى ان انتهى الى قوله: (أَ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِي الزُّبُرِ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ

---

(۱) سورة ص ۶

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۴

جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ «۱» فكان إدلالهم بكثرتهم و كثرة من يساعدهم على عداوته و محاربته، و انه ان صارت له جماعة فجموعهم أكثر، و الأموال و السلاح و الكراع و العدة معهم لا معه، فكان ظاهر الرأى و مقتضى الحزم ان يكون لهم لا له، إلا ان يكون من اللّه عز و جل مالك القلوب و ناقض العادات لأنبيائه، فكان كما قال، و كانت العقبى له.

باب آخر [ما نزل بمكة من قوله تعالى «فاستمسك الذى اوحى إليك ...»]

مما نزل بمكة قوله: «فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ» «۲» أى شرف و نبل و جلالة، فهو عز و معجز. ثم قال: «و سوف تسألون» أى عن شكر هذه النعمة، فكان كما أخبر و كما فسر فان القرآن بانت آياته، و ظهرت بيناته، و قامت حجته، و كملت النعمة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و على صحابته به، فشرفوا و عزوا بمكانه، و ذلك من الأمور البينة الواضحة؛ فانك تجد الفقهاء و العلماء قد أجّلوا القرآن و من قرأ القرآن و من عرف علوم القرآن، و لهذا قال عز و جل لقريش فى ابتداء المبعث: «قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» «۳» يريد القرآن، و انه عز و نبل و شرف، و ستشرف به امم ممن/

تمسك به و دعا إليه، و قد فاتكم ذلك لإعراضكم، فكان ذلك كما أخبر.

---

(۱) سورة ص ۱۱

(۲) الزخرف ۴۳

(۳) القمر ۴۳

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۵

و فى هذا المعنى قوله عز و جل «أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى» «۱» فتأمل ما فى هذا، فإنه صلّى اللّه عليه و سلم ما عرف العزّ بالأبوين كما يعرف من رباه أبواه؛ فان أباه مات و هو حمل، و ماتت أمه و هو رضيع، فاواه اللّه اكرم إيواء، فلما كمل، آتاه النبوة و عصمه و صانه، و أخبره ان الآخرة خير له من الأولى، فإنّ آخر أمره فى عاجل الدنيا فى النصرة و العزّ، و ثواب الآخرة خير من الأولى؛ «وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى»، أى ذاهبا عن النبوة لا تدرى ما هى و لا تعرف القرآن.

و فى مثل هذا المعنى قوله عز و جل: (أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) فإن ذكره ارتفع بالصدق و الوفاء و قيام الحجة، فما وجد له اعداؤه كذبة و لا ذلة و لا هفوة مع حرصهم على ذلك، و ما بارت له حجة، و لا زلّت له قدم، و لا أسكته خصم، مع كثرة الخصوم له، و طلب العلل و طول المجادلة.

باب آخر [من اعلامه قوله عز و جل «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ»]

من أعلامه، و هو قوله عز و جل «قُلْ: لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» «۲» و فى هذا إخبار عن غيوب كثيرة، لأنه قال لكل واحد من الإنس و الجن:

إنك لا تأتى بمثل هذا القرآن و لا أحد يأتى بمثله فى كل حال منفردين و لا مجتمعين، فما أتوا به مع حاجتهم الى ذلك و شدة حرصهم عليه، أ فمن هذا تعجب؟ أم من إقدامه على الإخبار بذلك و هو لا يعرف العرب كلها و لا

---

(۱) الضحى ۶

(۲) الاسراء ۸۸

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۶

يحصى قبائلها/ و رجالها و نساءها، و الفصاحة و البلاغة مثبوتة فى رجالها و نسائها و عبيدها و إمائها و عقلائها و مجانينها، و قد علم صلّى اللّه عليه و سلم أنهم فى اللغة و البلاغة قبله، و هو منهم تعلم، و هو عاقل، فلو لا أنه قد تيقن أنهم لا يأتون بذلك لما أقدم على الإخبار بذلك، سيما و الذى ادّعاه امر عظيم و خطب جسيم، و هو النبوة و الصدق و العصمة و نفاذ امره فى النفوس و الأموال و وجوب طاعته على كل احد الى ان تقوم الساعة، و حجته فى ذلك كله هذا القرآن؛ و هذه من الآيات التى نزلت بمكة، و لو نزلت بالمدينة او أين نزلت لكانت الحجة بذلك قائمة لا تأثير للأماكن فى ذلك و لا للأزمنة، و إنما نذكر الأماكن لأن الأعداء لما أفلسوا و افتضحوا، أخذوا فى تشكيك الملوك و المترفين و من يحب الرّخص و من لم ينظر و يتأمل و يسمع من العلماء، أن هذا القول إنما قاله فى آخر امره و فى آخر عمره.

و اعلم أن القرآن حجة من ثلاثة أوجه: فكل سورة منه حجة من طريق الفصاحة و البلاغة، و هو حجة لما فيه من الاخبار بالغيوب، و هو حجة لما فيه من التنبيه على دلائل العقول، فإن ذلك جاء على طريقة انتقضت به العادة، و قد مرّ بك طرف منه فى المصباح «۱»، و لعل اكثر منه ان يرد عليك، فانما أنت فى ذكر الإخبار بالغيوب و ما يجرى مجراها، ثم نصير الى البابين الآخرين و الى مسائل الخصوم

فى ذلك و الأجوبة عنه إن شاء اللّه.

من دلائله و إعلامه صلّى اللّه عليه و سلم، و هو إخباره عما فى الكتب المنزلة و ما تضمنته من/ خلق آدم صلى اللّه عليه، و ما كان له مع الملائكة صلوات اللّه عليهم،

---

(۱) لعل القاضى يقصد بالمصباح اسم كتاب له، الا اننا لم نعثر لهذا الكتاب على اثر فى كتب القاضى التى اطلعنا عليها و لا فى الكتب التى نقلت عن القاضى او ذكرته.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۷

و مع ولده، و مع ابليس، و ما كان لنوح مع قومه، ثم ابراهيم، و إسحاق، و يعقوب، و الاسباط، و عيسى، و أيوب، و موسى، و هرون، و غيرهم من النبيين صلوات اللّه عليهم اجمعين، و هو ما قرأ تلك الكتب و لا عرف ما فيها و لا اختلف الى اهلها و لا اختلفوا إليه، فتعلم انه ما علم ذلك إلا بوحى اللّه إليه و اطلاعه عليه، و هى اخبار كثيره لا يقع الصدق فيها إلا بالوحى من اللّه عز و جل.

فإن قيل: أين لكم انه ما قرأ الكتب، و لا كان يختلف الى اهلها و لا اختلفوا إليه و أنتم ما أدركتم زمانه، و قد قال له عدوه: «وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا «۱»» و قالوا: «إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ «۲»»؟

قلنا: ما ادّعينا ان خصومه ما ادّعوا ذلك عليه، و ليس دعواهم حجة عليه، بل لما انقطعوا و قامت حجته ادّعوا هذا عليه، و نحن و إن لم نكن فى زمانه صلّى اللّه عليه و سلم، فقد علمنا انه ما قرأ هذه الكتب و لا اكتتبها و لا اختلف الى اهلها، و لا اختلفوا إليه، و لا تلقى ذلك عن احد من الناس، لأنه ما من أحد يطلب فنا من الفنون إلا و له فى ذلك تارات و طبقات؛ فأول ذلك ان يكون طالبا و سائلا عمن عنده هذا الادب و هذا الفن من العلم و الادب، ثم يختلف الى اهله و يصحبهم، فيكون تارة مبتدئا، ثم متوسطا ثم ماهرا متقدما. و كل هذه الاحوال معروفة معلومة لأهل زمانه، لا يجوز ان يذهب عليهم، و لا يجوز ان يخفى و لا يكتم عن احد كائنا من كان. فلو كان قد

---

(۱) الفرقان ۵.

(۲) الفرقان ۴.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۸

تعاطاه صلّى اللّه عليه و سلم/ ثم اكتتم عليه، لكان ذلك من اكبر آياته و أعظم معجزاته، فاذا العادة قد انتقضت به، فقد اعطاه الخصم اكثر مما ادّعى، و لو جاز ان يخفى ذلك و يتستر على احد من الناس، لما استتر ذلك على محمد صلّى اللّه عليه و سلم لأن عدوّه و طالبه و المتتبع لأمره و المفتش عن احواله من قريش و الأقربين من أهله و من دهاة اليهود و النصارى و غيرهم كثير، و الطلب منهم شديد و دعواه النفسية عظيمة، و قد ادّعى عليه الفرية و الكذب و لنفسه الصدق، و حجته عليه ألا يكذب فى شىء و لا يناقض، ثم إن الذين اتبعوه لأنه نبى و صادق.

و قد عرف عدوه و وليّه منشأه و متقلبه و مثواه، و معهم سافر، و بينهم تربى و نشأ، و أزواجه إنما هنّ بنات اعدائه و أوليائه الذين اعتقدوا صدق نبوته، و هن ممن يعتقد صدقه و نبوته، فمن هذه سبيله، يتعلم الكتابة بالقلم الواحد او بالأقلام المختلفة، و يكتب و يقرأ، و يختلف الى اهل هذه اللغات و يصحبهم و يأخذ عنهم، و يتستر ذلك على اهله و نسائه و عدوه و وليه؟ هذا لا يعتقده من تأمل الامور و تدبرها. بل لو كان ذلك له صلّى اللّه عليه و سلم يوما واحدا او ساعة واحدة، لعلم به الأولون و الآخرون للاحوال التى اختص بها مما قدمنا ذكره. و لا فرق بين من ادّعى هذا عليه، او ادعى انه قد كان مرة تهوّد و أظهر اليهوديّة، و خرج فأقام مرة ببابك، و مرة ببيت المقدس، و أنه كان مرة تنصّر و لبس المسوح و أقام فى البيع، و خرج مرة و أقام ببلاد الروم و صام صوم النصارى و أقام

أعيادهم و كان يحلق وسط رأسه كصنع الرهبان، و أن ذلك/ كله تم له و خفى على اهله و نسائه و عدوه و وليه.

فتأمل رحمك اللّه هذه الآية فإنها عظيمة جليلة، و لو لم يكن له الا هى لكفت و أغنت. و انظر كيف يقول، قد اقتص قصة نوح عليه السلام ثم قال فى آخرها: (تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ. ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۸۹

قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا. فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ «۱») و انظر كيف يقول له:

إن هذا ليس من علمك و لا من علم قومك، و العدوّ و الولىّ يسمع ذلك.

و تأمل قوله عز و جل فى قصة يوسف عليه السلام (ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ) «۲» ثم عزاه و قال له: آياتك بيّنة و حجتك قائمة و إن عصوك، فما هاهنا شبهة فى مخالفتك، و لا أمر يصدّ عن اتباعك، و لست اول من قامت حجته فلم يتبع، فقال له: «وَ ما أَكْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ. وَ ما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ. وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ» «۳».

و انظر كيف يدل و يستطيل و يصول على العدو و الولى بأن هذا إنما ناله بالوحى، و انه ما قرأ كتابا و لا خط، و أنه قد كان فى غفلة من هذا فقال:

«وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ. وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ» «۴».

و قال له فى أول سورة يوسف: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ» «۵». ثم يقول فى آخر السورة: «لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ

---

(۱) هود ۴۹ و ما بعدها

(۲) يوسف ۱۰۲

(۳) يوسف ۱۰۴ و ما بعدها

(۴) العنكبوت ۴۸

(۵) يوسف ۳

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۰

يُؤْمِنُونَ» «۱».

و تأمل قوله عز و جل فى سورة القصص: «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ «۲»» الى قوله: «وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» و انظر الى هذا الاحتجاج بأنه ما نال هذا و لا عرفه إلا بوحى من اللّه.

و انظر الى قوله فى سورة طه: «وَ قالُوا لَوْ لا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ، أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِى الصُّحُفِ الْأُولى «۳»». فتأمل هذا الاستعلاء على العدو و الولى بأن من آياته و علاماته ما فى الصحف الأولى.

و كان مما طعن به ابن الراوندى فى هذه الآية ان قال: إن كان معرفته بهذا دلالة على نبوته فمعرفة اليهود بذلك دلالة على نبوتهم، و هذا جهل من هذا الأحمق، لأن اليهود قد قرءوا ذلك و كتبوه و اخذوه عن آبائهم و شاهدوه فلا يكون حجة لهم، و هذا ما قرأه و لا كتبه و لا اخذه عنهم و لا عن احد من الناس كما دلت عليه العقول، فهو حجة عليهم و على غيرهم، و لو ان إنسانا ادعى النبوة، و جعل

دلالته بأن اخبرک عن کتاب معک ما قرأه و لا وقف علیه و إنما وقفت أنت علیه فیما لا یقع بالاتفاق و لا بالحدس، لکان ذلک دلالة فی نبوته و لم یکن دلالة لک، و کذلک إذا اخبرک عما اکلت و شربت و ادخرت، و لکن اشتبه علی هذا الملحد لفرط جهله و بعده من التحصیل، و لو لا ان الاشعریة و الرافضة و النصاری و الزنادقة یرون هذا الرجل بعین المحصلین لما ذکرنا اسئلته لرکاکتها، و لکنه صنف شیئا للمشبهة،

---

(۱) یوسف ۱۱۱

(۲) القصص، الآیات ۴۴ و ۴۵ و ۴۶

(۳) طه ۱۳۳

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۱

و شیئا/ للمجبرة، و شیئا للرافضة، فسروا به لنقصهم، و شهدوا له بالحذق لفرط غباوتهم و انهم لا یعرفون الاسلام و أهله، فمن اظهر لهم التصویب قبلوه لضعفهم و سوء احوالهم، و قبله الیهود و النصاری و حذقوه، لأنه شتم محمدا رسول اللّه و أظهر تکذیبه، و هو فقد شتم ابراهیم و إسحاق و یعقوب و موسی و هارون و یحیی و عیسی و جمیع النبیین صلوات اللّه علیهم اجمعین و کذبهم، و لکن الیهود و النصاری بلا- حجة و لا- بصیرة فی مخالفتهم المسلمین، فمن عادی محمدا صلّی اللّه علیه و سلم تولوه و إن کان عدوا لأنبیائهم، کما لا بصیرة لأهل بدع الاسلام من المشبهة و المجبرة و الرافضة. و هذه السور مثل القصص و هود و یوسف من المکیات فاعلم ذلک.

باب آخر [من اعلامه اخباره عن النصرانیة و مذاهبها]

من آیاته و أعلامه، و هو إخباره عن النصرانیة و مذاهب النصاری من هذه الطوائف الثلاث منهم، و هی الباقیة القائمة الراهنة فی قولهم ان المسیح عیسی ابن مریم هو اللّه، و ان اللّه ثالث ثلاثة؛ فان هذه الطوائف الثلاث من الملکیة و الیعقوبیة و النسطوریة «۱»، لا یختلفون فی ان المسیح عیسی بن مریم لیس بعبد صالح و لا بنبی و لا برسول، و انه إله فی الحقیقة، و اللّه فی الحقیقة، و انه هو خلق السموات و الارض و الملائکة و النبیین، و انه هو الذی أرسل الرسل و أظهر علی ایدیهم المعجزات، و ان للعالم إلها هو آب والد لم یزل، غیر مولود، و انه قدیم خالق رازق، و إله هو ابن مولود، و انه لیس باب و لا- والد، و انه قدیم حیّ خالق رازق، و إله هو روح قدس لیس باب والد

---

(۱) سیأتی تفصیل هذه الطوائف فیما بعد.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۲

و لا ابن مولود/ و انه قدیم حیّ خالق رازق، و ان الذی هو ابن نزل من السماء، و تجسم من روح القدس و من مریم البتول، و صار هو ابنها إلها واحدا و مسمی واحدا و خالقا واحدا و رازقا واحدا، و حبلت به مریم و ولدته، و أخذ و صلب و ألم «۱»، و مات و دفن، و قام بعد ثلاثة ایام و صعد الی السماء و جلس عن یمین ابیه. فحکی قولهم فی ان المسیح هو اللّه و ان اللّه ثالث ثلاثة.

و هکذا مذهبهم فی الحقیقة و لا یکادون یفصحون به، بل یدافعون عن حقیقته ما امکنهم، حتی ان ارباب المقالات و اهل العنایة به من المصنفین لا یکادون یحصلون مذهبهم، و إنک لتجد النظّارین منهم و المجادلین عنهم اذا سألتهم عن قولهم فی المسیح، قالوا: قولنا فیه انه روح اللّه و کلمته مثل قول المسلمین سواء، او یقول: إن اللّه واحد. و تجده صلّی اللّه علیه و سلم و قد حکی حقیقة مذهبهم، و لم یکن من المجادلین و لا من المتنبئین، و لا ممن یقرأ الکتب و یلقی اهلها، و لا من المتکلفین، و لا کانت مکة و الحجاز

اذ ذاک بلاد فيها شیء من هذا، فانتشر هذا عنه صلّى اللّه عليه و سلم، و فتش الناس عنه بعد ذلک فوجدوا الأمر كما قال و كما فصل، بعد الجهد و طول الاستقصاء فی الطلب و التفتيش. و ما اكثر ما تلقى منهم فيقول: ما قلنا فی المسيح انه اللّه، و لا قلنا: إن اللّه ثالث ثلاثة، و من حكى هذا عنا فقد أخطأ و كذب، ليعلم ان وقوف محمد صلّى اللّه عليه و سلم هذا انما هو من قبل اللّه عز و جل، و ان ذلک من آياته.

فإن قيل: فإن قولهم فی هذا و أن اللّه ثلاثة أقانيم جوهر واحد، كقول المسلمين بسم اللّه الرحمن الرحيم، و كقولهم فی اللّه أنه حیّ قادر عالم.

قيل له: هذا غلط على النصارى، و ليس قولهم فی التوحيد من قول

---

(۱) ألم الرجل يألم ألما، فهو ألم. اللسان ۱۴: ۲۸۷

تثبيت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۳

المسلمين بسبيل، و إنما يقول هذا من يروم المغالطة و الفرار من فحش المقالة،/ لأن اللّه عند المسلمين هو الرحمن و هو الرحيم و هكذا العالم القادر، و هی ذات واحدة لها صفات كثيرة، و أسماء كثيرة. و عند النصارى، أن اللّه الوالد ليس هو الابن المولود، و لا يجوز ان يكون الأب الوالد ابنا مولودا، و لا الابن المولود أبا والدا، و كذا روح القدس، و من قال غير هذا فليس من النصارى؛ فان بليت منهم بمن هذه سبيله أعنی الجحود لهذه المقالة الفاحشة فقل: إن كنت تريد أن هذا قولک و كذا تختار فما يدفعک عن هذا؟ فأما ان يكون هذا قولا للنصارى فهذا كذب و بهت، و لو أسلم نصارى عصرنا كلهم لما خرج هذا من ان يكون قولا لمن سبق و تقدم من هذه الطوائف الثلاث، فاعلم ان هذا هو مذهبهم فی التثليث، قد حصل العلم به و لهم فيه ضرب أمثال، و ذلک فی تسابيحهم و أقاويلهم فی عباداتهم، أ لا- ترى انهم يقولون فی تسبيحة القربان فی الساعة التی يكونون فيها خاضعين يتوقعون بزعمهم نزول روح القدس لقبول فاتور القربان: ليتم علينا و عليكم نعمة الرب يسوع المسيح بن مريم و محبة اللّه الأب و مشاركة روح القدس أبدا الى دهر الداهرين.

و يقولون فی تسبيحتهم التی يسمونها تسبيحة الإيمان التی وضعت بنيقية «۱» من بلاد الروم، و هذا كان بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، حين جمعهم قسطنطانوس ابن فيلاطس «۲» ملک الروم، الذی أمه هيلانة الحرّانية

---

(۱) عقد مجمع نيقية سنة ۳۲۵ م بدعوة من الامبراطور قسطنطين، و كان يضم ۳۱۸ اسقفا، ابرز اعضائه آريوس الكاهن الاسكندری الذی تبنی رفض تساوی عناصر الثالوث النصرانی، و قال بأن جوهر الابن غير مساو لجوهر الأب و انه مخلوق.

(۲) هو قسطنطين الكبير، ابن قسطنطين خلور، و والدته هيلانة و كانا ميالين للمسيحية. بقی وثنيا حتى سنة ۳۰۸ ثم بدأ يفكر فی جعل المسيحية دينا للدولة و خاصة بعد رؤيا الصليب-

تثبيت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۴

الفندقية، جمعهم ليعملوا تقريرا فی ايمانهم يحملون الناس عليه و يأخذونهم به فمن أبى قتلوه، و اجتمع عنده نحو ألفی رجل، فقرروا تقريرا ثم رفضوه، ثم اجتمع ثلاثمائة رجل و ثمانية عشر رجلا و هم يسمونهم الآباء، فقرروا هذا التقرير، و هم يسمونه سنهودس/، فكان تقريرهم لهذه التسمية و هی أصل الأصول عند جميع هذه الطوائف لا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها و هی:

«نؤمن باللّه الأب الواحد، خالق ما يرى و ما لا يرى، و بالرب الواحد يسوع المسيح بن اللّه بكر أبيه و ليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذی بيده اتقنت العوالم و خلق كل شیء، الذی من أجلنا معشر الناس و من أجل خلاصنا نزل من السماء، و تجسد من روح القدس و من مريم البتول، و صار انسانا، و حبلت به مريم البتول و ولدته، و أخذ و صلب و قتل امام فيلاطس الرومی،

و مات و دفن و قام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب، و صعد الى السماء و جلس عن يمين ابيه، و هو مستعد للمجىء تارة اخرى للقضاء بين الأموات و الأحياء.

و نؤمن بالرب الواحد روح القدس، روح الحق الذى يخرج من ابيه، روح محييه، و بمعموديۀ واحدۀ لغفران الخطايا، و بجماعۀ واحدۀ قديسيّۀ سليحيّۀ «۱» جاثلقيۀ، و بقيام أبداننا، و بالحياۀ الدائمۀ الى أبد الآبدين».

فتأمل هذا الشرح و هذا التفصيل و الكشف فى التثليث و التشبيه، و كيف

- العجيب- فى زعمه- سنۀ ۳۱۲ قبل المعركۀ مع مسكنتى. و قد اصدر منشورا بحريۀ التحول للديانۀ المسيحيۀ سنۀ ۳۱۳ م. انظر تاريخ الكنيسۀ المسيحيۀ، الكسندروس مطران حمص ص ۲۲۰ و ما بعدها. و لقبت هيلانۀ بالفندقيۀ لأنها كانت تعمل فى فندق بحران.

(۱) سليحيۀ: نسبۀ لكتاب السليح لبولص، و هو يتألف من ۲۴ رسالۀ. انظر الفهرست لابن النديم ۴۱. و قد ورد فى الكتاب احيانا باسم السليح و احيانا باسم السليحين.

تثبيت دلائل النبوۀ، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۵

يعتقدون فى اللّه حقيقۀ المدبرين المصنوعين من النزول و الصعود و الولادۀ و غير ذلك.

فان قالوا: فانا لا نقول انها ثلاثۀ آلهۀ، فكيف يحكون عنا التثليث؟

قلنا لهم: انكم قد أعطيتمونا معنى التثليث و أشعتموه و استوفيتم حقائقه، و منعتم/ بعض العبارۀ عنه، أ لا ترون انكم تقولون إله هو أب والد حىّ قادر قديم عالم خالق رازق، و إله هو ابن مولود كلمۀ حى قديم خالق رازق ليس باب و لا والد و لا يجوز ان يكون والدا و لا أبا، و إله روح قدس حى عالم قديم خالق رازق. ثم قلتم هى ثلاثۀ أقانيم، فقلتم فى كل واحد منها انه إله و رب و قديم، و امتنعتم من الاقرار بالجملۀ و قد أعطيتم التفصيل، و ما مثال ذلك إلا كمن قال: عبد اللّه العربى «۱» رجل و انسان و جسم و شخص، و خالد الفارسى «۲» رجل و انسان و جسم و شخص، و زيد الرومى رجل و انسان و جسم و شخص، قلنا: فهؤلاء ثلاثۀ رجال، و ثلاثۀ أناس، و ثلاثۀ اشخاص، و ثلاثۀ اجسام. فقلتم: لا، بل هم رجل واحد. قلنا: لا يؤثر امتناعكم من اطلاق هذه العبارۀ فى شىء قد أشيعت حقيقته.

و فيهم من يمتنع من ان يقول فى كل واحد من هذه الثلاثۀ انه غير صاحبه، ثم يقولون:

ما شبهنا و لا مثلنا، فكانوا كالمشبهۀ الذين يقولون: إله يصعد و ينزل و يقعد على العرش، ثم يقولون: ليس كمثله شىء.

و الذى يمنع النصارى من اطلاق القول بأنها ثلاثۀ آلهۀ متغايرۀ مختلفۀ و ان كانوا قد اعطوا معنى ذلك، إلا لأنهم صدقوا بكتاب اللّه عز و جل التى صدق

---

(۱)- بحط مخالف، و فوق السطر.

(۲)- بحط مخالف، و فوق السطر.

تثبيت دلائل النبوۀ، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۶

بها المسيح عليه السلام، و هى مملوءۀ بتوحيد اللّه و تفرده بالقدم، و انه لا يشبه الأشياء، و انما هذه البدع ابتدعوها بعد المسيح، فأرادوا حمل بدعتهم فى الشرك على ما فى كتب اللّه فلم يتم ذلك و حصلوا على محض الشرك و التشبيه/.

فإن قيل: قد لعمرى صدقتم فيما حكيتم من التثليث، فإن الملكيۀ تقول فيه: إنه إله حق من إله حق من جوهر ابيه، و ان القتل و الصلب و الولادۀ وقعت عليه بكماله؛ و اليعقوبيۀ تقول: حبلت مريم بالإله، و ولدت الإله، و قتل الإله، و مات الإله، فما عندكم فى النسطوريۀ؟

فإنهم قد قالوا فى المسيح انه مركب من نوعين و أقنومين «۱» و طبعين، من إله و من انسان، و ان الولادۀ و القتل إنما وقعتا بالانسان و هو الذى يسمونه الناسوت.

قیل له: لو کانت النسطوریة تقول فی المسیح کما یقول المسلمون لما قدح ذلک فی الخبر و لا اثر فی العلم لأن التثلیث قد وقع، کیف و النسطوریة ترجع الی القول فی المسیح الی قول اخوانهم من الملکیة و الیعقوبیة، فیقال للنسطوریة قد قلتم إنه إله حق من إله حق من جوهر ابیه، و قلتم إنه إله تام من إله تام، ثم قلتم إن لاهوته مولود من قبل الأب و ناسوته مولود من قبل الأم، و الولادة قد احاطت به من کل وجه و من کل جهة؛ و أیضا فإنکم تمدحون الإله بالولادة کما یمدحه المسلمون بتنزیهه عن الولادة، و تقولون لو لم یکن والدا لکان عقیما، و کل حی لا یکون والدا فإنما ذاک لنقص و آفة و عاهة.

فلا ینبغی ان تغالطوا عن حقیقة قولکم.

ثم یقال لهم: اخبرونا عن مریم هل حبلت بالمسیح فی الحقیقة، و ولدت

---

(۱) فی الاصل: أقنیمین

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۷

المسیح فی الحقیقة، و ربت المسیح و اطعمت المسیح فی الحقیقة، و هی/ أم المسیح فی الحقیقة؟ فإن قالوا: ولدت ناسوت المسیح او حبلت ناسوت المسیح قلنا: لم نسألکم عن هذا، فإن ناسوت المسیح عندکم لیس هو المسیح و إنما المسیح هو اللاهوت، و لاهوت المسیح عندکم لیس هو المسیح إنما هما مجموعهما المسیح، اجیبونا، فان کانت مریم قد ولدت المسیح فی الحقیقة و حبلت بالمسیح فی الحقیقة، فقد حبلت بالإله و الانسان و ولدت الإله و الانسان، و هی أم الإله و الانسان، و قد قتل الإله و الانسان، و ألم الإله و الانسان، و مات الاله و الانسان؛ فقد تبین ان قولکم و قول الملکیة و الیعقوبیة فی ذلک سواء. و إن قالوا ما ولدت المسیح فی الحقیقة، و لا هی أم المسیح فی الحقیقة قلنا لهم: فلیس هذا قول احد من النصاری و لا قول المسلمین أیضا بل هو قول الیهود، فانهم قالوا: إن مریم ما حبلت به.

و إن قالوا: نقول هی أم المسیح علی المجاز، و مات المسیح فی المجاز، قلنا لهم: لم نسألکم عن المجاز، إنما سألنا عن الحقیقة، فانه علی هذا التقدیر ربما أیضا یکون حمل مریم من غیر ذکر مجاز، و إحیاؤه المؤتی مجاز، و جمیع ما یدعونه له مجاز، و هذا لا سبیل إلیه، لأنهم إن قسموا أفعاله من من لاهوته و ناسوته وجب ذلک کله، لأنه اذا احیا الموتی و أظهر الآیات فانما ذلک فعل اللاهوت و اللاهوت وحده لیس بمسیح، و اللاهوت ما رآه الناس فلا یجوز ان یقال رأی المسیح، و إذا أکل و شرب و نام و استیقظ فذلک فعل الناسوت و الناسوت وحده لیس بالمسیح، فقد وجب/ جمیع ما قدمناه

و هم لا یصیرون إلیه و لا یلتزمونه، و من صار إلیه خرج عن النصرانیة و عن جمیع اقوال المثلاثة. و قد علمت ان حقیقة قولهم ما فی تسبیحة ایمانهم و هی اصل الاصول، و لیس لأحد من طوائفهم عنها و لا عن شیء منها

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۸

معدل، و إنما وضعت حین صار الملک الی هذا القول، و حین خالفهم آریوس «۱» الافصاح بالمذهب و لرفع التأویل و الأوهام فی المقالة.

و عند هذه الطوائف الثلاثة، ان المسیح صار مسیحیا و إلها خالقا رازقا معبودا حین بشّر الملک أمه و ساعة الحمل به، فاتحد به الإله فصار جمیعا مذ ذاک مسیحا واحدا و إلها واحدا، و أن الاتحاد ما انتفض عندهم و لا بطل، و لا خرج عن المسیحیة و الإلهیة لا فی حال الحبل و لا فی حال الولادة و لا فی حال النوم و لا فی حال الأکل و لا فی حال البول و التغوّط و لا فی حال المرض و لا فی حال القتل و لا فی حال الموت، و أنه فی جمیع هذه الأحوال مسیح و إله و رب معبود و خالق و رازق و مدبّر.

و یقولون: هو احیا نفسه بعد الموت لأنه محال عندهم ان یحیی الموتی غیر المسیح، و قد علمت تسبیحة الایمان و تفصیلها فارجع إلیه، ففیه أتم کفایة لتعلم مغالطة النسطوریة و جمیع من یجادل عن النصرانیة. و قد قال فولوص «۲»- و هم عندهم فوق الأنبیاء و قد

ذكر صنيع اليهود بالمسيح-:

---

(۱) فى الاصل ايريوس، و هو آريوس الكاهن الاسكندرى، و قد كان احد الذين وجدوا ان فى القول بأن أقانيم الثالوث المقدس لها جوهر إلهى واحد مساو اى: ثلاثة آلهة إله واحد، فيه تناقض كبير، فنادى بأن اللّه الأب وحده هو الإله الحقيقى بالمعنى الخاص الصارم، و ابن اللّه- بزعم النصارى- و الروح القدس كائنات إلهية بالدرجة الثانية، لها طبيعة تختلف عن طبيعة الأب و مخلوقة. و قد عقدت عدة مجامع كنيسة فازت فى بعضها آراء آريوس و خذلت فى بعضها الآخر. المرجع السابق ۲۲۰ و ما بعدها.

(۲) يقصد بولص الذى يلقبه النصارى بالرسول، فقد كان من عادة العرب ان يقلبوا الباء فاء حين الترجمة عن اللغة اليونانية، فقالوا: افلاطون و فيلاطس. و لبولص مجموعة من الرسائل ملحقة بالعهد الجديد تحت اسم اعمال الرسل.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۹۹

لو علموا لما صلبوا رب المجد الذى له الحمد و البركات ابد الدهر. و قال/ أيضا:

الذى ليس بمعاين عوين، و الذى ليس بمحسوس حس، و العالى على الزمان أبتدئ، و ابن اللّه صار ابن الانسان، و ألم الذى لم يكن يألم و والده اللّه، فتأمل ما فى هذا فانه يفصح بأن اللّه لم يكن يعاين فصار يعاين، و لم يكن يحسّ فصار يحسّ و يدرك، و أنه كان قبل الزمان فابتدئ و صار فى الزمان، و ألم الذى لم يكن يألم، و ابن اللّه صار ابن الانسان، و صار ابن الانسان ابن اللّه و والده اللّه، و هذه صفات المسيح الذى هو عندهم اللّه و ابن اللّه. قالوا:

و قد قال الآباء- و قد ذكروا ما صنع فيلاطس الرومى و اليهود-: انهم لما صلبوا رب المجد عرفوه.

قالت النصارى هذه كلها اقاويلنا و فيها حقيقة مذهبنا.

قالوا و قد قال الفاضل ياوانس: المساوى للأب جاء الى العالم فى الرحم البتول، و كان قبل ان يكون آباؤه ابراهيم و إسرائيل و داود، و هو ابن اللّه قبل ان يدعى ابن ابراهيم و داود. و قالوا: فهذه حقيقة ديننا، فان جاء فيه ان اللّه انسان او من جنس الناس، او أنه يتقلب فى الصور و الهيئات و ينتقل و يتشكل لم ننفر من ذلك، و لم ندع ما اسسه الآباء و القدوة لما يوجب الجدل و يلزم فى النظر. فتأمل هذا، و قولهم: المساوى للأب جاء الى العالم فى الرحم البتول و كان قبل ان يكون آباؤه ابراهيم و إسرائيل و داود و هو ابن اللّه قبل ان يدعى ابن ابراهيم و داود، لتعلم ان اعتقادهم و قولهم ان هذا الذى ولدته مريم هو ابن اللّه و هو اللّه، و أنه مثل الأب الذى فى/ السماء على العرش عندهم، و أن هذا هو الذى لم يزل، و أن الذى حدث و تجدد ولادة مريم له، و أن ابراهيم و إسرائيل و داود انما صاروا آباءه من قبل أمه لأنها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۰

من بنى اسرائيل، و أنه كان ابن اللّه قبل ان يكون ابن ابراهيم و إسرائيل و داود.

قالوا: و قد قال علماؤنا و من هو القدرة عند جميع طوائفنا: يسوع فى البدء لم يزل كلمة، و الكلمة لم تزل لدى اللّه، و اللّه هو الكلمة، و يسوع هو عيسى بالسريانية «۱». قالوا: فذاك الذى ولدته مريم و عاينه الناس و كان بينهم هو اللّه و ابن اللّه و هو كلمة اللّه.

قالوا: و قد قال يوحنا السليح «۲»: إنا نبشركم بالذى لم يزل من قبل، و أنا رأيناه بأعيننا، و حسسناه بأيدينا. قالوا: فما فيمن هو الحجة لجماعتنا الا من يكشف الامر كشفا لا يتعرض لتأويله الا من يكابر عقله.

فعندهم ان القديم الأزلى خالق السماوات و الأرض هو الذى عاينه الناس بأبصارهم، و لمسوه بأيديهم. قالوا و قد قال أرميا النبى و قد ذكر المسيح و البشارة به: هذا الهنا و لا نعوذ معه غيره، و انه فى آخر الزمان تراءى على الأرض و تردد مع الناس، فتأمل هذا الكشف.

قالوا: و قد قال بطرس «۳» و هو بكر ايماننا و اصل بيعتنا لما سئل عن ابن اللّه لا عن ابن الناس، و عن كلمة اللّه لا عن كلمة الناس فقال: هو الذى كان بين الناس و تردد معهم، و أبرأ الذين نكأهم الشرير.

قالوا: و قد خاطب الناس/ من بطن أمه مريم، فقال للأعمى: أنت

---

(۱) يثبت القاضى كلمة يسوع بالالف قبلها و احيانا دونها، و قد اثبتناها بحذف الالف.

(۲) احد الذين يطلق عليهم النصارى اسم الرسل، و له مجموعة من الرسائل ملحقة بالعهد الجديد، مات سنة ۴۴ م. تاريخ الكنيسة ۳۴.

(۳) احد الذين يطلق عليهم النصارى اسم الرسل، و له مجموعة من الرسائل ملحقة بالعهد الجديد، مات سنة ۶۶ او ۶۷. تاريخ الكنيسة ۳۳.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۱

مؤمن بابن اللّه، قال الاعمى: و من هو حتى أؤمن به؟ قال: قد رأيته و هو المخاطب لك، قال: آمنت يا سيدى، و خر ساجدا. قالوا: فما الذى بقى من الافصاح بأن الذى حبلت به مريم و كان فى بطنها هو اللّه و ابن اللّه و كلمة اللّه.

قالوا: و قد قالت أمّ يحيى بن زكريا- و قد دخلت على مريم و هى حبلى بالمسيح، و أمّ يحيى حبلى به- ان هذا الذى فى بطنى قد سجد للذى فى بطنك. قالوا: فما الذى يبقى فى البيان فى ان الإله المعبود الذى هو اللّه و ابن اللّه و كلمة اللّه هو الذى حبلت به مريم و ولدته.

قالوا: و لما عمّده يوحنا فى الأردن تفتحت ابواب السماء و نادى الأب:

هذا ابنى و حبيبى الذى سررت به نفسى. و نزل روح القدس فى صورة حمامة و رفرفت على رأس المسيح، قالوا: فالمتعمد هو اللّه الابن، و المنادى هو الأب، و النازل هو روح القدس، و انظر كيف يفردون كل واحد منهم بصنع غير صنع صاحبه.

قالوا: و فى البشارة به حين قال جبريل لمريم: ها أنت تحبلين و تلدين، قالت له: كيف يكون هذا و ما مسنى رجل؟ فقال لها: ربنا معك، و الهنا معك، و أيدى العلى تحلّ عليك، و روح القدس تأتيك، و الذى يولد منك قدوس و ابن اللّه يدعى، قالوا: فقد خبّرها بأنها تحبل بابن اللّه لا بابن الناس، و انها تلد ابن اللّه لا ابن الناس، و ان اللّه معها. قالوا و لا نريد بقولنا معها و مع ابنها بمعنى التأييد و النصر و المعونة كما يكون اللّه/ مع الأنبياء و الصالحين و المؤمنين، لأن المسيح عند طوائفنا الثلاث ليس بنبى و لا بعبد صالح، بل هو رب الأنبياء و خالقهم و باعثهم و مرسلهم و ناصرهم و مؤيدهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۲

و رب الملائكة؛ و لا- هو معها و مع ابنها بمعنى الخلق و التدبير و التقدير كما يكون مع سائر إناث الحيوان من الناس و الكلاب و الحمير و الخنازير بالخلق و الصنع و التقدير، و لكنه معها لحبلها به و لاحتواء بطنها عليه، فلهذا فارقت جميع اناث الحيوان، و فارق ابنها جميع النبيين، فصار اللّه و ابن اللّه الذى نزل من السماء و حبلت به مريم و ولدته و المولود منها الها واحدا و مسيحا واحدا و ربا واحدا و خالقا واحدا مذ وقت بشارة جبريل عليه السلام لها، لا يقع بينهما فرق، و لا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه، و لا فى الحبل، و لا- فى الولادة، و لا- فى حال نوم، و لا- مرض، و لا- صلب، و لا موت، و لا دفن، بل هو متحد به فى حال الحبل، فهو على تلك «۱» الحال: مسيح واحد، و خالق واحد و إله واحد، و فى حال الولادة كذلك، و فى حال الموت و الصلب كذلك.

قالوا: فمنا من يطلق فى لفظه و عبارته حقيقة هذا المعنى، فيقول: مريم حبلت بالإله، و ولدت الإله، و مات الاله؛ و منا من يمنع هذه العبارة و يعطى معناها و حقيقتها، فيقول: مريم حبلت بالمسيح فى الحقيقة، و ولدت المسيح فى الحقيقة، و هى أم المسيح فى الحقيقة، و المسيح إله فى الحقيقة، و رب فى الحقيقة، و ابن اللّه فى الحقيقة، و كلمة اللّه فى الحقيقة، لا ابن للّه فى الحقيقة إلا هو، و لا أب للمسيح فى الحقيقة إلا- هو، و لا أم للمسيح إلا مريم. قالوا: فهؤلاء يوافقون فى المعنى قول من قال/ فيها: إنها حبلت بالإله، و ولدت الإله، و قتل الاله و ألم الاله، و مات الاله، و انما يمنعون اللفظ و العبارة فقط.

---

(۱) فی الاصل: فهو تلک

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۳

قالوا: و انما منعنا هـذه العبارة التی أطلقها إخواننا لئلا یتوهم علینا إذا قلنا: حبلت بالاله، و ولدت الاله، و مات الاله، و ألم الاله، إن هذا کله حلّ و نزل بالاله الـذی هو أب، و لکنا نقول: حلّ هـذا کله و نزل هـذا کله بالمسیح، و المسیح عندنا و عند طوائفنا إله تام، و إله حق من إله حق، من جوهر أبیه.

قـالوا: لاـ نریـد بـأنه معنا علی معنی النصر و التأییـد و لا معنی الخلق و التـدبیر، لأنه مع جمیع الأنبیاء و الصالحین کـذلک، و مع جمیع المخلوقات بالخلق و التدبیر، و کأن یکون قولنا و قول المسلمین و الیهود واحدا فی التوحید.

قالوا: و الآباء و القـدوة منا یقولون: ابن اللّه یـدعی ابن الانسان، و ابن الانسان یـدعی ابن اللّه، و آدم الجدید هو الاله الألم الذی قتل و مات.

قالوا: و عندنا ان المسیح قال: ابن البشر هو رب السبت «۱». و قال أیضا: أنا بأبی و أبی بی، و لا یعرف احـد الأب إلا الابن، و الابن لا یعرفه إلا الاب، و انک إله بی و أنا بک «۲». و قال: انا فی ابی، و ابی فیّ. و قال:

انـا قبل ابراهیم، و قـد رأیت ابراهیم و ما رآنی، فقال له الیهود: کـذبت، کیف تکون قبل ابراهیم و أنت من ابناء ثلاثین سـنة، فقال: انا عجنت طینـة آدم و بحضـرتی خلق، و انا أجیء و اذهب و اذهب و أجیء «۳». قالوا: و هذا القول عندنا للمسیح فی الحقیقة، و لو کان قولا للإله الذی لیس هو المسیح

---

(۱) «ابن الانسان هو رب السبت». انظر انجیل لوقا الاصحاح السادس.

(۲) الاصحاح العاشر من انجیل لوقا

(۳) انجیل یوحنا الاصحاح ۸

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۴

لما کان له معنی. و عندنا ان المسیح بن آدم و ربه و خالقه و رازقه و ابن/ ابراهیم و ربه و خالقه و رازقه، و ابن اسرائیل و ربه و خالقه و رازقه، و ابن مریم و ربها و خالقها و رازقها.

قالوا: و قـد اعتل لنا من یناظر عنا بأن اللّه والـد فی الحقیقـة و ان تولـد ابنه منه کتولـد ضیاء الشـمس من الشـمس و کتولد الکلمة من العقل، و نحن فما قلنا: إنه والـد و له ولـد فی الحقیقـة بهـذا الاعتلال، بل لما قـدمنا من قول الآباء و القـدوة. و علی ان هؤلاء قروا بهذا القول من التشبیه للّه بالمتناسـلین المتناکحین من المخلوقین، فشـبهوه بالموات و الجماد، فوقعوا فی شـر ما هربوا منه و دفعوا الضـرورة، لأن مریم قـد ولـدت المسیح إله الکل ولادة صـحیحة فی الحقیقة معقولة، ولادة الاحیاء الناطقین بغیر تناکح و لا تناسل، و من قال إن مریم ما حبلت بالمسیح فی الحقیقـة، و لا ولدت المسیح فی الحقیقة، و لا هی أم المسیح فی الحقیقة، فلیس من طوائف النصاری. و کذا من قال لیس المسیح إلها فی الحقیقة، و لا ربا للخلائق فی الحقیقة، فلیس من الملکیة و لا من الیعقوبیة و لا من النسطوریة.

قالوا: و قـد قال القـدوة عنـدنا: إن الیـد التی سـمّرها الیهود فی الخشـبة هی الیـد التی عجنت طین آدم و خلقته، و هی الید التی شبرت السماء، و هی الید التی کتبت التوراة لموسی.

و قالوا: و قد وصـفوا صـنیع الیهود بالمسیح: إنهم لطموا الإله و ضربوه علی رأسه، و عجب لإله یضرب علی رأسه. و تعالوا فانظروا الی الإله یلطم و یضرب علی/ رأسه.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۵

قالوا: و فی بشارة الأنبیاء، ان الاله یجیء، و تحبل/ به امرأة عذراء و تلده، و یؤخذ و یصلب و یقتل.

قالوا و لنا سنهودس قد اجتمع عليه نحو سبعمائة من الآباء و القدوة، فيه ان مريم حبلت بالاله و ولدته و ارضعته و سقته و اطعمته، و هذا دون ما فى تسبيحة الايمان من الولادة و القتل و الألم و الصلب و الموت و الدفن.

قالوا: و أقاويلنا كلها من اولها الى آخرها التى ذكرناها لكم من اصل ديننا و حقيقة مفصحة بذلك، فهذه حقيقة ديننا و ايماننا و لنا من هذا المعنى من السريانى و العربى اكثر مما ذكرناه.

فهذا يرحمك اللّه كما ترى و تسمع، فلو لا ان رأينا قوما عقلاء يقولون هذا، و سمعناه منهم حين فتشنا عمّا قاله اللّه و حكاه عنهم فنطقوا به بعد الجهد و اخرجوه من غوامض اسرارهم، لما صدق الناس ان فى الدنيا من قال هذا او نطق به.

و إذا تأمل العاقل الأمور و فتش و طال بحثه و جهد، رأى الجهل فى الأمم و الاقاويل المشتملة على الحمق كانت فى الامم قبل الاسلام.

فالفلاسفة تدعى فى هذه الاجسام الجماد و الموات من الشمس و القمر و الكواكب و السماء أنها حيّة عاقلة مميزة تخلق و ترزق و كانوا لها عابدين، و النصارى كما قد علمت، و المجوس «۱» عندها ان الاله غالبه الشيطان و نزل الى الارض «۲»، و كانت الحرب بينهما ألف سنة، و ان الشيطان غلبه و حاصره

---

(۱) المجوس احدى فرق الثنوية الفارسية و هى: المانوية و المزدكية و المرقيونية و الماهانية و المجوس و القلاصية. و هى تتفق فى امور و تختلف فى امور، و اهم ما تتفق فيه القول بأصلين للوجود هما: الخير و الشر او النور و الظلمة.

(۲) كتب فى الحاشية: فى اعتقاد المجوس.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۶

فى جنته مع ملائكته و ان الملائكة عند ذلك سعوا بينهما فى الصلح و وقعت المهادنة بينهما/ على شرائط معروفة مذكورة عند من حكى المقالات، و شرحها يطول «۱»، ثم رجع عندهم بملائكته الى سمائه غير انهم ما قالوا قتل كما قالت النصارى، و لا بلغوا الى هذا و ان كانوا قد فحشوا فى القول.

و قد كانت القبط تقول بإلاهية فرعون صاحب مصر، و المنانية من الزنادقة فقولها فى نحو من قول المجوس، و أقاويل الهند فى البدّ معروفة.

فلما جاء الاسلام بتلك الانوار، و بأن من كان جسما و محتاجا لا يكون إلها و لا يفعل جسما كما قدمت لك فى «المصباح»، و هو أيضا مذكور فى غيره. و كان من رحمه اللّه بخلقه ان سلطان الاسلام ظهر على الاديان كلها، و كان حملة السلاح هم الأتقياء و الأولياء العلماء الفقهاء، فاستحيا اهل البدع منهم فانقبضوا و كانت لهم هيبة التقوى. فمات اولئك رضى اللّه عنهم و طال العهد، و صار بعدهم ملوك جبابرة غير انهم كانوا حملة الاسلام.

ثم لم يزل الأمر يتناقص، فصارت السيوف كلها على الاسلام، و مات أهله، و صار فى الزندقة و الإلحاد السيف و الملك فعادوا الى ما كانوا عليه من الجاهلية.

أ لا ترى ان من بالإحساء من القرامطة و الباطنية «۲» لما غلبوا شتموا الأنبياء، و عطلوا الشرائع، و قتلوا الحجاج و المسلمين حتى أفنوهم، و استنجوا بالمصاحف

---

(۱) كتب فى الحاشية: فى اعتقاد القبط.

(۲) كان ابتداء ظهور القرامطة فى الربع الرابع من القرن الثالث الهجرى، و كانت دعوة سرية تسترت بستار التشيع و نكب العالم الاسلامى ببلائها مدة طويلة، و كان من اهم زعمائها زكيرة الاصفهانى او زكرويه بن مهرويه الذى قتل سنة ۲۹۴. انظر تاريخ الطبرى.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۷

و التوراة و الإنجيل، و جاءوا بزكيرة الاصفهانى المجوسى «۱» و قالوا هذا هو الإله فى الحقيقة و عبدوه، و كان لهم معه ما هو مذكور معروف.

و مثل هذا/ صنع ابو القاسم الحسن بن حوشب بن زاذان الكوفى النجار «۲» حين ظهر بجبال لاعة من ارض اليمن، و كذا صنع من كان منهم بالجند «۳» و عدن من ارض اليمن، و سبوا العلويات، و كل هؤلاء كانوا فى اول امرهم يخدعون الناس بأنهم شيعة، و أن المهدى ارسلهم.

و كذا صنع من كان منهم برقّاده و القيروان من ارض المغرب، الى ان قام ابو يزيد مخلد بن كدّاد «۴» بمن معه و حاربهم خمس سنين و ضيق عليهم كما صنع الأصفر بأهل الإحساء «۵»، فلما انكشف أمر أبى يزيد عمن بالمغرب كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الأنبياء و تعطيل الشرائع، و صاروا يخدعون الناس سرا و ينقلونهم عن الاسلام بالحيل و الأيمان من حيث لا يشعرون شيئا شيئا، و انبثوا و انبسطوا، و بثوا ذلك فى ممالكهم، و يقصدون بدعوتهم الديلم و الأعراب و كل من يقل بحثه و نظره و له رغبة فى الدنيا و شغل بها.

---

(۱) كتب فى الحاشية: «جاء القرامطة بزكيرة الاصفهانى المجوسى و قالوا: هذا هو الإله».

(۲) الحسن بن زاذان المتوفى سنة ۳۰۲ ه من اتباع ميمون القداح ارسله الى اليمن فخرج فيها و استولى على قسم كبير منها.

(۳) موضع فى اليمن، و رسمها فى الاصل: الجبد.

(۴) ورد هذا الاسم فى تاريخ ابن خالدون غير مرة «كراد»، و فى عقد الجمان «كندار» و فى العبر للذهبى «كيداد»، و لعل الأصح ما اثبتناه هنا «كدّاد». و هو من الخوارج الصفوية.

انظر ابن خالدون ۴: ۱۴۰، و عقد الجمان حوادث سنة ۳۳۴، و العبر للذهبى ۲: ۲۴۰، ۲۴۲، ۲۵۷.

(۵) يقصد ابا الفضل بن زكريا المجوسى الاصبهانى، كان قدم من اصبهان و موه على القرامطة ابى سعيد الجنابى و اخيه ابى طاهر و اصحابهما فاتخذوه كاله. و سبب تلقيبه بذلك انه كان يلبس عمامة صفراء و ثوبا اصفر، قتله القرامطة بعد ذلك فى أوائل الربع الثانى من القرن الرابع الهجرى. انظر تجارب الأمم لمسكويه ۵۲- ۵۵ و ما بعدها.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۸

ثم يقطعونهم عن البحث و النظر بالعهود و الايمان المغلظة، و من دخل بلدانهم و شاهد عساكرهم و تأمل سيرتهم يعرف ذلك من قصدهم، بل من سأل و استبحث يعلم ذلك و إن لم يصر إليهم. و قد صاروا حرما للملحدة و الزنادقة و الفلاسفة و الدهرية و جميع اعداء الاسلام، فمن هاجر إليهم أمن فى إلحاده و قال ما شاء كيف شاء، فيا لها مصيبة بذهاب الاسلام و موت اهله و قلة العارفين به و بحقوقه، فان من بقى ممن يظن انه من اهله فمنهم من يشبّه اللّه بخلقه، و منهم/ من يجوّره فى حكمه و إلى غير ذلك.

و باب آخر [ما اشار إليه من اختلاف النصارى حول المسيح عليه السلام]

و هو ان هذه الطوائف الثلاث من النصارى أشد عالم اللّه تعظيما للمسيح و تحققا به و حبا له، يدّعون انهم شيعته و اتباعه، و انهم اطوع الناس له، و ان ما هم عليه عنه اخذوه، و به اقتدوا فيه، و على وصاياه عملوا. و قال صلّى اللّه عليه و سلم: ان المسيح عبد اللّه و رسوله أتى الناس بما جاءهم الأنبياء قبله، من آدم و نوح و ابراهيم و اسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و موسى و هرون و غيرهم من الأنبياء صلوات اللّه عليهم اجمعين، من الدعاء الى عبادة اللّه و توحيده وحده، و الاخلاص له وحده بالعبادة و القدم و الربوبية؛ و ان النصارى قد كذبوا عليه، و بدّلوا دينه، و عطلوا وصاياه، و انهم ضاهوا بقولهم قول الذين كفروا من قبل، الذين اتخذوا المخلوقات آلهة و أربابا و دعوها و تضرعوا لها، كالفلاسفة و الصابئين من اهل حرّان «۱»، فانهم

(۱) سمی صابئة حران بذلک لأنهم کانوا یسکنون مدینة حران من ارض الجزیرة، و قد عرفوا بعبادة الاجرام السماویة السبعة، و هذه العبادة بقیة من الدیانة الآشوریة و البابلیة.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۰۹

اعتقدوا فی الشمس و القمر و الکواکب و السماء ما قدمنا ذکره، کالقبط الذین قالوا فی فرعون ما ذکرنا، و کغیرهم؛ فقد قال بربوبیة المخلوقات و المخلوقین خلق کثیر، و شرح احوالهم یطول؛ و ان المسیح صلّی اللّه علیه و سلم عدوّ لهؤلاء النصاری و بریء منهم فوجد الناس الأمر کما قال، و علی ما شرح و فصّل، فکم فی هذا من عجب، انه رجل عربی أمی یخبر عن رجل قد سبقه بنحو الف سنة، و لسانه غیر لسانه،/ و بلده غیر بلده، و قومه غیر قومه، یخبر عنه بأمور کان علیها.

و قد وجد صلّی اللّه علیه و سلم أمما ممن کانوا قبله یدعون التحقیق بهذا الرجل و هم علی منهاجه و طرائقه، فلو کان منقولا لتهیب الاقدام علی ذلک، و کان لا یأمن ان یکون القوم الذین سبقوه فی الزمان و تحققوا بهذا الرجل قد صدقوا علیه، و انهم أتباعه کما ادعوا فلا یأمن ان یظهر کذبه، سیما و قد ادعی الصدق و النبوة و الرسالة علی اهل الارض کلهم و عقله الذی لا یدفع. فانظر کیف یتعرض لعظیمات الأمور، و جسیمات الخطوب.

و حکی عن ربه عز و جل ان النصاری لیسوا علی شیء مما «۱» جاء به احد من الأنبیاء، فقال: «وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً یُعْبَدُونَ» «۲» فأقدم علی أشیاء قد تدبر بها العقلاء و جابرة الملوک قبله و فیه فضائحهم و هتکهم، فیؤخذ الامر کما قال، فلو لم یکن إلا هذا من أعلامه لکفی و شفی و أغنی.

(۱) فی الاصل: ما

(۲) الزخرف ۴۵

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۰

فإن قیل لکم و من اعطاکم ان دین المسیح خلاف دین النصاری، و أنهم قد خالفوه؟

قلنا: من تأمل الامر وجدهم اشد الناس خلافا علیه و اطّراحا لوصایاه فی الاصول و الفروع جمیعا. فأما فی الاصول فقد آمنوا و عبدوا ثلاثة آلهة و ثلاثة أرباب کما قدمنا و تبیّنا، و لا یختلفون فی ان المسیح عیسی بن مریم لیس بنبیّ و لا عبد صالح، و أنه إله حق من إله حق من جوهر ابیه، و أنه إله تام من إله تام، و انه خالق السماوات و الارض و الاولین و الآخرین و رازقهم و محییهم و ممیتهم و باعثهم و حاشرهم و محاسبهم و مثیبهم و معاقبهم. و قد ذکرنا ما یقوله النسطوریة من انه إله مرکب من نوعین/ و طبیعتین، و بیّنا ما یرومونه من المغالطة. فإن قالوا: فإنا لا نفرد واحدا «۱» من هذه الآلهة بالعبادة بل نعبدها کلها بعبادة واحدة، قیل له: ان هذا لا یخرجکم من ان تکونوا قد اشرکتم فی القدم و اشرکتم فی العبادة، و لا یقدح فیما حکیناه عنکم، لأنه یصح ان نعبد مائة الف معبود بعبادة واحدة. و علی انا نجدکم تفردونها و کل واحد منها بالانعام و الایمان کما هو مذکور فی تسبیحة الایمان و تسبیحة القربان، و تفردونها أیضا بالصنع و الأفعال و الخلق و التدبیر، کما قلتم فیما کان منها من الافعال حین عمّده یحیی مما تقدم ذکره، و تقولون ان النازل من السماء حتی صار فی بطن المرأة و صار هو و ابنها بالاتحاد الذی فعله إلها واحدا و مسیحا واحدا، و انه هو الذی اظهر الآیات فی الارض، و هو المقتول المصلوب، و هو الذی احیا نفسه بعد الموت، و صعد الی السماء، و جلس عن یمین ابیه. فهذه الافعال کلها الابن فعلها لا الأب.

(۱) فی الاصل: واحد

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۱

فإن قالوا: کل فعل من هذه الافعال قد فعله الآلهة الثلاثة.

قیل لهم: هذا خلاف النصرانیة و هو بیّن فیما قدمنا و ذکرنا عنهم؛ و أیضا فان فعلا واحدا لا یصح ان یفعله اکثر من حی واحد، و مقدورا واحدا لا یصح ان یقدر علیه اکثر من قادر واحد، و هو مبین فی کتب العلماء، و النصاری لا تفهم ذلک و لا تحوجک إلیه.

و اعلم ان النصاری تعتقد ان الأب قد اختلع من ملکه کله و جعله لابنه، فهو یخلق و یرزق و یحیی و یمیت، و قد سمعنا هذا ممن یحتج لهم و یخبر عنهم، و هو أیضا بین فی تسبیحة/ ایمانهم. أ لا تسمعهم یقولون: و نؤمن بالرب الواحد یسوع المسیح، ابن اللّه بکر ابیه، و لیس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر ابیه، الذی بیده اتقنت العوالم و خلق کل شیء، الی قولهم:

و هو مستعد للمجیء تارة اخری للقضاء بین الاموات و الاحیاء. و یقولون فی عباداتهم و صلواتهم و مناجاتهم: أنت أیها المسیح یسوع تحیینا، و ترزقنا، و تخلق اولادنا، و تقیم اجسادنا، الی غیر ذلک مما هذا سبیله و یطول ذکره، فبیناهم یفردون کل واحد منها بفعل، و بیناهم یقولون: ان الامر کله قد رجع الی الابن و کله شرک.

فان قیل: فما الذی عندکم عن المسیح مما یخالف هذا و ما حکیتموه عن النصاری؟

قلنا: أما فی الاصول فانه قال لهم: اللّه ربی و ربکم، و إلهی و إلهکم، فیشهد علی نفسه انه عبد اللّه مربوب مدبر مصنوع، کما شهد علیهم انهم کذلک، و انه مثلهم فی العبودیة و الضعف و الحاجة، و ذکر انه رسول اللّه الی خلقه، و ان اللّه ارسله کما ارسل الأنبیاء قبله.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۲

فذکر یوحنا فی انجیله ان یسوع المسیح قال فی دعائه: ان الحیاة الدائمة انما تجب للناس بأن یشهدوا انک أنت اللّه الواحد الحق، و انک ارسلت یسوع المسیح «۱»، فانظر کیف یخلص التوحید و یدعی النبوة. و ذکر یوحنا انه قال لبنی اسرائیل: تریدون قتلی و انا رجل قلت لکم الحق الذی سمعت اللّه یقوله «۲». و ذکر أیضا انه قال: انی لم أجئ لأعمل بمشیئة نفسی و لکن بمشیئة من ارسلنی «۳».

و قال علیه السلام: إن الکلام الذی تسمعونه منی لیس هو لی و لکن من الذی أرسلنی و الویل لی إن قلت شیئا من تلقاء نفسی «۴». و کان علیه السلام یواصل العبادة فی الصلاة و الصوم و یتنفل و یقول: ما جئت/ لأخدم و إنما جئت لأخدم، و قال: إنی انا لست ادین العباد و لا احاسبهم بأعمالهم و لکن الذی أرسلنی هو الذی یلی ذلک منهم «۵». هذا فی انجیل یوحنا.

و فیه أیضا ان المسیح قال: انهم یا رب قد علموا انک أرسلتنی و قد ذکرت لهم اسمک «۶»، و قال المسیح: ان اللّه الواحد رب کل شیء أرسل ابن

---

(۱) انظر انجیل یوحنا الاصحاح ۱۲ فقرة ۴۴ و ما بعدها، و الاصحاح ۱۷ فقرة ۲:

«و هذه هی الحیاة الابدیة ان یعرفوک أنت الاله الحقیقی وحدک و یسوع المسیح الذی ارسلته».

و فی الاصحاح ۳، ۳۶: «الذی یؤمن بالابن له حیاة ابدیة».

(۲) انجیل یوحنا الاصحاح ۱۸ فقرة ۳۷

(۳) المرجع السابق.

(۴) انجیل یوحنا الاصحاح ۱۴ فقرة ۲۴

(۵) انجیل یوحنا الاصحاح ۱۳ فقرة ۴۷ و ۴۸

(۶) انجیل یوحنا الاصحاح ۱۷ فقرة ۲۵ و ما بعدها

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۳

البشر الى جميع العالم لينقلوا الى الحق «۱». و قال أيضا: ان الاعمال التى أعملهن هن الشاهدات لى بأن اللّه أرسلنى الى هذا العالم. و قال أيضا: ما أبعدنى ان احدثت شيئا من قبل نفسى، و لكننى اتكلم و اجيب مما علمنى ربى.

و قال أيضا: ان اللّه مسحنى و ارسلنى و انما اعبد اللّه الواحد ليوم الخلاص.

و سألوه عن الساعة متى هى فقال أنا لا اعلم متى ذلك و لا احد من البشر، و لا يعلم ذلك إلا اللّه وحده. و قال: ان اللّه عز و جل ما أكل و لا يأكل، و ما شرب و لا يشرب، و لم ينم و لا ينام، و ما ولد و لا يلد و لا يولد، و لا رآه احد، و لا يراه احد الا مات. و قال له رجل: يا أيها الخيّر علمنى، فقال له المسيح: لا تقل لى هذا، فانه لا خيّر الا اللّه. و قال له رجل: مر أخى يقاسمنى تركة ابى، فقال: و من جعلنى عليكم قاسما. و قال فى دعائه لما سأل ربه ان يحيى الرجل الميت الذى يقال له إيلا عازر، يا إيل «۲»: انا اشكرك و احمدك، انك تجيب دعائى فى هذا الوقت و فى كل وقت، فأسألك ان تحيى هذا الميت ليعلم بنو اسرائيل انك ارسلتنى و انك تجيب دعائى «۳». و قال فى دعائه و قد خاف الموت و لم يزل/ يواصل الصلاة و التضرع و الدعاء و البكاء، يا إيل: ان كان من مسرتك ان تصرف هذه الكأس المرأة عن احد فاصرفها

---

(۱) ورد حول هذا المعنى فى انجيل يوحنا عدد من العبارات منها: «انا لا اقدر ان افعل من نفسى شيئا، كما اسمع أو من، و دينونتى عادلة لأننى لا اطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى ارسلنى».

يوحنا، الاصحاح ۵/ ۳۰. و منها: «لأن الاعمال التى اعطانى الأب لأكملها، هذه الاعمال بعينها التى اعملها هى تشهد لى ان الأب قد ارسلنى، و الأب نفسه الذى ارسلنى يشهد لى. يوحنا ۵، ۳۶ و ۳۷.

(۲) إيل لفظة آرامية تعنى البطل، ثم اصبح يعنى بها بطل الابطال، ثم اصبحت تطلق بمعنى اللّه.

(۳) انظر تفصيل ذلك فى انجيل متى، الاصحاح ۸، و انجيل يوحنا، الاصحاح ۴

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۴

عنى، و ليس كما أريد انا بل كما تريد أنت. و كان يرمى من فمه كعلق الدم جزعا من الموت، و يعرق و يقلق «۱». و كان اذا ذكر البعث و القيامة و الحساب يكون منه البكاء و القلق و الجزع ما لا يكون من احد، و يكون من صلاته و صيامه و عبادته و خشوعه ما لا يكون من احد من زمانه.

و مثل هذا من أقواله و افعاله اكثر من ان يحصى، و هو معهم و فى أناجيلهم، حتى لقد احصى اهل المعرفة و العلم، فوجدوا المسيح عليه السلام له من الاقرار على نفسه بالعبودية و الضعف و الحاجة و الفقر و الفاقة، و للّه عز و جل بالغنى و الربوبية، ما لم يكادوا يجدونه لأحد من الأنبياء و الصالحين، ثم تقول فيه النصارى ما قد سمعت.

فإن قالوا: فقد حكى متى عنه فى انجيله انه قال لتلامذته: سيروا فى الارض و عمّدوا العباد باسم الأب و الابن [و] «۲» روح القدس. و حكوا عنه انه قال: انا كنت قبل ابراهيم، و ما اشبه ذلك.

قيل له: ليس المسيح اول من كذب عليه و انتم تعلمون ان مانى القس يدّعى التحقيق بالمسيح، و انه من اتباعه، و انه ليس احد على شريعته و وصاياه الا هو و اتباعه، و ان الانجيل الذى معه هو انجيله. و هو يذكر عنه انه كان يحرم على الناس كلهم و على نفسه النساء و ذبائح الحيوان و اكل اللحمان، و ان هذا ما حلّ قط و لا يحل، و يلعن كل من احلّه. و انه كان تبرأ/ من ابراهيم و موسى و هرون و يوشع و داود، و من كان يرى ذبح الحيوان و أذيته و اكل اللحمان و غير ذلك. و يستشهد على ذلك بمواضع من الاناجيل

---

(۱) انظر تفصيل ذلك فى انجيل متى، الاصحاح ۲۷، و انجيل لوقا، الاصحاح ۲۳، و انجيل يوحنا، الاصحاح ۱۹، و انجيل مرقس، الاصحاح ۱۵.

(۲) الواو إضافة على الاصل يقتضيها السياق.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۵

التى معكم، و عندكم انه قد كذب على المسيح و افترى و اخطأ فيما تأول، و ان تزكية المسيح لهؤلاء الأنبياء امر ظاهر لا ينصرف عنه التأويل.

قلنا: فهذه سبيلكم فى دعاويكم على المسيح و انتم فى هذا اشد فضيحة من المنانية، لأن تصديق المسيح للأنبياء و شهادته بما شهدوا به من توحيد اللّه و إفراده بالقدم و الربوبية و الحكمة أبين من كل بيّن و أوضح من كل واضح.

و العقلاء يردّون المجهول بالمعلوم، و ما التبس بما اتضح، و ما يحتمل بما لا يحتمل. و قد بلغ الجهل بالنصارى فى بدعهم هذه أنهم يقصدون الى ألفاظ فى التوراة و فى كتب الأنبياء متحملة، يحملونها على ظنونهم السيئة و بدعهم هذه الفاحشة، فيقولون: انما اراد ابراهيم و موسى و هارون و سائر الأنبياء و هو ما أردناه من ان اللّه ثالث ثلاثة، و أن الأرباب جماعة، و أن اللّه يصعد و ينزل و يولد و يقتل. فيقصدون الى ما فى التوراة من أن اللّه قال نريد ان نخلق بشرا على صورتنا و مثلنا «۱». فيقولون: هذا خطاب من جماعة، أ ما تسمعونه يقول: نريد، و لم يقل: أريد ان أخلق بشرا مثلى، لتعلموا أن الآلهة جماعة، و أنهم على صور و هيئات كهيئات الناس، و ما أشبه هذا من الألفاظ المحتملة.

حتى تعدّوا الى القرآن فقالوا: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، قالوا:

فهذا خطاب من جماعة لا- من واحد. و قالوا فى قوله عز و جل «فَلا- أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ» «۲» قالوا فهذا أحد الآلهة و الأرباب يقسم بالأرباب.

---

(۱) جاء فى التوراة فى سفر التكوين، الاصحاح الاول: «و قال اللّه نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا».

(۲) المعارج ۴۰

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۶

و قالوا فى قوله عز و جل: «وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ»/ «۱» قالوا: فإنما الإله يقسم بنفسه و ولده. فيقولون: محمد قد جاء بالنصرانية و بمذهبنا، و لكن اصحابه لم يفهموا عنه. و يقولون فى قوله عز و جل: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» «۲».

قالوا فهذا الذى نقوله نحن: أنه من جوهر أبيه، و لا نريد بقولنا منه أنه بعضه و لكنه من جنسه و مثله. فيقصدون الى أقوام كإبراهيم و الأنبياء صلوات اللّه عليهم و أمثالهم قد عرفت مذاهبهم و مقاصدهم فينصرفون عنها بالتأويلات و محتمل الألفاظ. و مذاهبهم قد تحصلت حصلا لا يحتمل التأويل، لأن العلم بأن المسيح كان فى توحيده على منهاج ابراهيم و موسى و هارون و داود و محمد صلى اللّه عليهم لا- يرتاب به من عرف أخبارهم و سيرهم و دعوتهم قبل العلم بنبوّتهم. فاعرف هذا فانه اصل كبير يعرفه من تأمل و أراد التبيّن و قد اعتفل فى مثله خلق كثير من العقلاء.

ثم هناك من الكذب على الأنبياء فضلا من التأول لما فى كتبهم، كقولهم ان الأنبياء قالوا قبل مجىء المسيح: ان اللّه سيجىء و تحبل به امرأة عذراء، و يؤخذ و يصلب و يقتل و يموت و يدفن. هذا مما هو اكثر من ان يحصى.

و يقال للنصارى لا فرق بين من ادّعى على المسيح انه ادّعى الربوبية و أن اللّه ولده و أنه ابنه على ما تعتقدون و تدّعون، و بين من ادّعى انه هو وضع تسبيحة الايمان و تسبيحة القربان، و أنه اتخذ البيعة، و جعل عيده يوم الاحد، و أخذ الناس فى زمانه بأن يقولوا: يسوع المسيح إله حق من إله حق من جوهر ابيه، و أنه كان يأخذهم بأن يقسموا بعبد يسوع و عبد المسيح، و أنه

---

(۱) البلد ۳

(۲) النساء ۱۷۱

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۷

أحلّ الخنزیر و أکله، و صلی الی المشرق، و عطّل الختان/ و الوضوء و الطهارة و غسل الجنابة، و أخذ اصحابه بصیام الخمسین، و شرع ذلک و دعا إلیه، و من بلغ هذا فقد تناهی فی المکابرة و المجاحدة، اللهم إلا ان لا یکون یعرف اخبار المسیح و النصاری فی زمانه، و النصاری بعد موته و مضیه، و لا عنی بذلک. فسبیل من ادعی علیه ما یدعی علیه هذه النصاری و ما تحکیه عنه و تتأوله علیه، کسبیل من ادّعی علیه الامور التی قدمنا ذکرها.

و فی النصاری قوم استبصروا و أسلموا و تتبعوا المواضع و الألفاظ التی تدّعیها النصاری علی المسیح، و قالوا لهم: ما نعلم المسیح قال ذلک، و لو قاله لما ضاق مجازة و تأویله، کقولهم انه قال: ابن البشر رب السبت، و أنی قبل ابراهیم و أنّی بأبی و أبی بی، و ما اشبه ذلک. فقالوا لهم: فی التوراة ان موسی إله فرعون و إله هرون، و أن هرون رسول موسی الی فرعون، و أن یوسف قال للمصریین: ان العزیز ربهم. و ذکروا لهم عن ابراهیم و لوط و داود و سلیمان و عن غیرهم من الأنبیاء شیئا کثیرا، و لا حاجة بک الی ذکره و معرفته، و لو عرفته لم یکن به بأس، و لکن ارجع ابدا الی اصل الدعوة و النحلة، و المعروف من قول النبی، ورد المجهول بالمعلوم، و قد استغنیت عن التأویل کما تقدم لک.

و مثل هذا ما یدعیه المنجمون علی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم انه کان یذهب الی ما یذهبون، لأنه قال فی کتابه: «فَنَظَرَ نَظْرَةً فِی النُّجُومِ فَقالَ: إِنِّی سَقِیمٌ «۱»» و أنه قال: «فِی یَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ «۲»» و «فِی أَیَّامٍ نَحِساتٍ «۳»»

---

(۱) الصافات ۸۸

(۲) القمر ۱۹

(۳) فصلت ۱۶

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۸

و غیر ذلک. فقال لهم اهل العلم: قبل کل شیء قد عرفنا من/ دعوة هذا الرجل و قصده قبل المعرفة بنبوته أن ما یکون فی غد لا یعلمه ملک معرّب و لا نبیّ مرسل، و لا یعلمه إلا الواحد المنفرد بالقدم، فلا وجه للتعلیق علیه بظواهر الألفاظ و بالتأویل، هذا لا یفعله عاقل و لا یذهب الغلط فیه علی محصّل، و إنما یخادع بهذا اهل الغافلة.

و کذا قالوا الباطنیة و من سلک سبیلهم: فی ان باطن الصلوات أشخاص و کذا العبادات، و ان لکل ظاهر باطنا، غیر ما علیه الفقهاء و العامة.

فقالوا لهم: ادّعیتم أنکم من المسلمین و قد علمنا من دعوة هذا النبی صلّی اللّه علیه و سلم قبل العلم بنبوته ان ما حرّمه من الزنا و اللّواط و الربا و الخمر و الخنزیر و الامهات و البنات و الأخوات و غیر ذلک محرم علی کل عاقل بلغته دعوته کائنا من کان، و انه علی ما علیه الفقهاء و العامة، و انه لا تأویل لذلک و لا باطن، و أن جمیع ما اوجبه من الطهارات و الصلوات و الصیام و العبادات لا تسقط عن عاقل کائنا من کان علی ما علیه الفقهاء و العامة لا تأویل لذلک و لا باطن، و ان من قال: لهذه الأشیاء باطن او تأویل، فقد کفر و أشرک و خرج من الاسلام خروجا ظاهرا.

و لا حاجة بنا الی ان نبیّن لکم تأویل الآیات التی سألتم عنها، فقد علمنا من قصده صلّی اللّه علیه و سلم ان مراده فی ذلک غیر مرادکم، و قصده غیر قصدکم. مثل هذا قالوا لمن قال من هشام بن الحکم «۱» و اتباعه حین قالوا: إن اللّه لا یعلم ما یکون قبل ان یکون، لأنه قال: «وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ حَتَّی نَعْلَمَ الْمُجاهِدِینَ مِنْکُمْ

(۱) هشام بن الحکم (۱۹۰ ه) کان شیخ الامامیة فی عصره، ولد بالکوفة و سکن بغداد و انقطع الی یحیی بن خالد البرمکی. له مؤلفات کثیرة. انظر: منهج المقال ۳۵۹، لسان المیزان ۶: ۱۹۴.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۱۹

وَ الصَّابِرِینَ «۱»» و أنه/ یفعل الجور و الظلم. و لمن قالوا: یأمر بالفسق لقوله:

«أَمَرْنا مُتْرَفِیها فَفَسَقُوا فِیها «۲»» فاعرف هذا فانه اصل کبیر.

ثم رجعنا الی قولنا فی النصاری.

فان قیل: کل هذا [الذی] «۳» حکیتموه عن المسیح موجود فی الکتب التی مع النصاری، فکیف جعلتم ما حکاه نبیکم عن المسیح و عنهم من معجزاته و آیاته؟ قلنا: قد فرغنا من هذا غیر مرة و بیّنا ان هذا النبی صلّی اللّه علیه و سلم ما قرأ الکتب و لا قرئت علیه، و لا اختلف الی اهلها و لا- اختلفوا إلیه، و لا- عرف ذلک إلا بوحی، و ان کان موجود فی کتبهم. کما انه لم یعرف قصة نوح و ابراهیم و یوسف و موسی و هرون إلا بالوحی، و ان کانت مذکورة فی کتبهم.

فإن قیل: لعمری إن من عرف دعوة المسیح یعلم ان دعوته الی توحید اللّه کدعوة موسی و هرون و محمد و أمثالهم من الأنبیاء صلوات اللّه علیهم اجمعین، و أنه بریء من دعوة هذه الطوائف من النصاری کبراءته من دعوة المنانیة، و کبراءة محمد و موسی و هرون من ذلک اجمع. و لکن قد جاء عنه انه کان یقول فی اللّه [أنه] «۴» ابوه، فیقول: ارسلنی ابی، و قال لی ابی، و مثل هذا کثیر، فما عندکم فیه؟

قیل له: إن کان قد قال هذا فلا حجة للنصاری فیه، لأنهم قد قالوا إنه قال لنا: أنا أذهب الی ابی و أبیکم، و ربی و ربکم فلم یجعل لنفسه مزیة علیهم، فإن وجب ان یکون هذا القول إلها و ربا و معبودا، وجب ان

(۱) محمد ۳۱

(۲) الاسراء ۱۶

(۳) إضافة علی الاصل یقتضیها السیاق.

(۴) إضافة علی الاصل یقتضیها السیاق.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۰

یکونوا هم کذلک، و قد قال بعض الناس: إن/ الابن فی اللغة العبرانیة التی هی لغة المسیح تقع علی العبد الصالح المطیع الولیّ المخلص، و ان الأب قد تقع علی السید المالک المدبر؟ قالوا: و قد قال فی التوراة: إن اسرائیل ابنی و بکری و أولاده ابنائی؛ و علی دعوی النصاری تجب لهم الإلهیة و قد قال ایشیعیا النبی علیه السلام فی کتابه: إن اللّه ابو جمیع العالم، و انتم معشر النصاری تذکرون ان متی حکی فی انجیله عن المسیح انه قال: طوبی لکم معشر المصلحین بین الناس فإنکم تسمون ابناء اللّه. و قال متی فی انجیله: ان المسیح قال للناس: ان اباکم السماوی واحد فرد. و قالوا: ان المسیح کان یقول فی صلاته التی کان یصلیها و یعلمها الناس: قولوا یا ابانا الذی فی السماء أنت قدوس اسمک، عزیز سلطانک، نافذ امرک فی السماوات و الأرض، لا یعجزک ما طلبت، و لا یمتنع منک ما أردت، فاغفر لنا ذنوبنا و خطایانا و لا تعذبنا بالنار «۱». فینبغی علی قول النصاری ان تکون هؤلاء کلها آلهة و أربابا، لتعلم ان اسم الأب یقع فی تلک اللغة علی السید و المالک.

و قال المسیح لبنی اسرائیل: لو کنتم ابناء ابراهیم لأجبتمونی فانی ابن ابراهیم. و قد علمنا ان بنی اسرائیل کلهم أولاد ابراهیم، و إنما اراد انکم لو کنتم اولیاء ابراهیم.

و أيضا فان النصارى تذكر عن بولص انه ذكر فى الرسالة فقال بأن الروح نفسها تشهد لأرواحنا انا ابناء اللّه. و هم يقولون فى الاشرار: انهم/ ابناء الشياطين و مثل هذا كثير فى لغتهم، و استعمالهم فى الابن بمعنى الوليّ المخلص، و فى الأب بمعنى السيد المالك الرفيع، و لهذا تقول النصارى فى الجاثليق ابونا،

---

(۱) انظر نص الصلاة فى انجيل متى، الاصحاح ۶، الفقرات من ۹- ۱۴.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۱

فهذا كله فى استعمالهم. و لكنهم لما اعتقدوا فى اللّه عز و جل انه رجل و انسان و شخص و ما هذه سبيله لم يرضوا «۱» ان يجعلوا له ابناء إلا بالحقيقة من طريق الولادة «۲» و التناسل كما تقدم بيان ذلك لك. و هم يقولون: ان اللّه الأب قال لابنه يسوع المسيح انى ولدتك قبل ان اخلق كوكب الصبح.

و ليس فى هذه الطوائف الثلاث من النصارى من يقول: إن المسيح ابن اللّه على طريق التشريف و المجاز، بل هو إله تام من إله بام، و إله حق من إله حق، من جوهر ابيه. فاعرف هذا.

باب آخر [ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسيح، و اختلاف النصارى حول الاناجيل، و تأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اخلاقهم]

من هذا الجنس، و هو ان هذه النصارى و اليهود جميعا يدعون فيلاطس الرومى ملك الروم اخذ المسيح يتظلم اليهود منه و سلمه إليهم، فحملوه على حمار و جعلوا وجهه الى عجز الحمار و جعلوا على رأسه اكليل شوك، و طوفوا به تنكيلا. و انهم كانوا يقفدونه «۳» من ورائه و يأتونه من تلقاء وجهه فيقولون له: يا ملك بنى اسرائيل من صنع هذا بك؟ سخرية منه «۴». و انه لما ناله من الكدّ و الشقاء عطش و استجدى و قال لهم: اسقونى ماء، فأخذوا الشجر المر و اعتصروه و جعلوا الخل فى ذلك العصير و أعطوه، فأخذه/ و هو

---

(۱) عبارة لم يرضوا مكررة فى الاصل.

(۲) فى الاصل: الولاد.

(۳) قفده: صفعه على قفاه بباطن كفه. انظر القاموس المحيط.

(۴) جاء فى انجيل متى، الاصحاح ۲۷: «فأخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية و جمعوا عليه كل الكتيبة و فروه و ألبسوه رداء قرمزيا و صنعوا اكليلا من شوك و وضعوه على رأسه و قصبته فى يمينه و كانوا يجثون قدامه و يستهزءون به قائلين: السلام يا ملك اليهود و بصقوا عليه و أخذوا القصبة و ضربوه على رأسه». و انظر ما يماثل هذا الصدد فى انجيل مرقس الاصحاح ۱۵ و انجيل يوحنا الاصحاح ۱۹.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۲

يظنه ماء فغبّ فيه فلما وجد مرارته مجه فسعطوه به و عذبوه يومه و ليلته «۱».

فلما كان من الغد و هو يوم الجمعة الذى يسمونه جمعة جشا سألوا فيلاطس ضربه بالسوط فضربه، ثم اخذوه و صلبوه و طعنوه بالرماح و ما زال يصيح و هو مصلوب على خشبة يا إلهى لم خذلتنى يا الهى لم تركتنى، الى ان مات و نزلوا به و دفنوه «۲». و ادعى اليهود و النصارى العلم بذلك و المعاينة و المشاهدة، و انهم قد تلقوا ذلك الجمهور «۳» عن الجمهور، و الامم عن الامم، و صار النصارى خاصة يسخرون من المسلمين اذا قالوا ما كان هذا من شىء، و يقولون: أى فائدة لصاحبكم فى مكابرة الأمم المجمعة على ذلك، و

قد سبقوه و كانوا قبله، و هم اهل هذا الرجل و اصحابه، و بينهم ولد، و معهم نشأ، و قد أجمع على ذلك عدوه من اليهود و وليه من النصارى، فأنكر نبيكم.

و هل هذا إلا كما قيل: رضى الخصمان و أبى القاضى. فنظر اهل العلم فى قوله صلّى اللّه عليه و سلم، فاذا هو قد اخبر انهم قد قالوا ذلك و هم لا- يعلمونه، و ما معهم علم به و لكنه ظن يظنونه، فاذا الامر كما قال و كما اخبر، و العلم بأن الاعتقاد هو علم او جهل او ظن لا يعلمه إلا من قد صحب المتكلمين و النظارين و انقطع الى صنعة الكلام و مهر فيها و كدّ، و هذا رجل متكلف، فيعلم انه ما علم هذا إلا بالوحى من قبل اللّه و هذا من آياته العجيبة.

---

(۱) جاء فى انجيل يوحنا الاصحاح ۱۹: «فلكى يتم الكتاب قال: انا عطشان، و كان اناء مملوءا خلا فجاءوا بسفنجة من الخل و وضعوها على زوفا و قدموها الى فمه».

(۲) جاء فى انجيل متى، الاصحاح ۲۷: «نحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا:

ايلى ايلى لما شبقتنى، اى الهى الهى لما ذا تركتنى». و فى انجيل مرقس الاصحاح ۱۵: «صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: الوى الوى لما شبقتنى، الذى تفسيره الهى الهى لما ذا تركتنى».

(۳) فى الاصل: عن الجمهور

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۳

و تأمل الى إقدامه/ على أمتين عظيمتين من اهل التحصيل و العقل، قد أجمعوا على امر و سبقوه فى الزمان، و هو اشد الناس حرصا على تالفهم و إجابتهم و استمالتهم، فأكذبهم و ردهم، و لو كان متقوّلا لتهيّب و لم يقدم على ذلك خوفا من ان يكون الامر كما قالوا و كما ادّعوا فيبين كذبه و يرجع عنه من قد تبعه، لأن الأنبياء يجوز ان يقتلوا و يصلبوا، بل قد قتل قوم منهم.

و أيضا، فليس فى قتل المسيح طعن عليه و لا قدح فى امره، و ما به حاجة الى مخالفتهم فى ذلك، بل قد كان ينبغى ان يكون الى تصديقهم فى ذلك أحوج، ليكون تشنيعه على النصارى اقوى، لأنهم قد اعتقدوا فيه انه إله و رب و قد رأوه أسيرا مقهورا فى يد عدوه و مصلوبا و مقتولا، و يزيد شناعته على اليهود لأنهم قد قتلوا نبيا آخر مضافا الى غيره من الأنبياء الذين قد قتلوهم قبل المسيح. فتجنب صلّى اللّه عليه و سلم هذا كله مع الحاجة إليه، و قال: قد ادعوا أنهم قد علموا ذلك و ليسوا به عالمين و لا متفقين، و ما معهم فيه الا الظن فقال:

«وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ. وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ. وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ. وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً» «۱» أى ليس ثمّ يقين و لا سكون نفس، تقول العرب فى الخبر المتيقن قتلته علما و قتلته يقينا. ثم قال: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» أى صانه و عظمه ان تناله يد عدوه بالقتل و الصلب، لأن الظن قد يصدق تارة، و قد تجتمع الجماعة الكبيرة فتصدق المخبر الواحد من طريق حسن الظن بخبره، و يكون قد صدق فيما أخبر، فيكونوا صادقين و إن لم يعلموا صدقه، و ان ظنوا ان اعتقادهم لذلك علم. فانظر الى ذلك كيف بيّنه من كل وجه.

---

(۱) النساء ۱۵۷

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۴

فإن قيل: و من ابن لكم ان الجماعات من اسلافهم ما شاهدوا ذلك و لا عاينوه كما ادّعوا؟ قيل له: من تأمل علم بعقله ان الامر كما قال صلّى اللّه عليه و سلم لا كما قالوا، لأن تلك الجماعات لو قد كانت شاهدت ذلك و علمته لكان من لقيهم و سمع منهم فى مثل حالهم فى العلم بذلك، فكان يكون كل من لقى النصارى و اليهود و سمع ذلك منهم عالما بذلك، فكنا نكون فى مثل حالهم فى

العلم بـذلک. أ لا ترى أنا لما اخبرناهم بقتل حمزة و جعفر و عمر و عثمان و علیّ رضـی اللّه عنهم شارکونا فی العلم بذلک و صارت حـالهم فی ذلـک مثل حالنا، فلما رجعنا الی انفسـنا فلم نجـدنا عالمین مع مخالطتنا لهم و کثرة سـماعنا منهم، علمنا انهم لیسوا بـذلک عـالمین، و أن اعتقادهم لـذلک لیس بعلم. فبهـذا الـدلیل علمنا صـحة دعواه صـلّی اللّه علیه و سـلم و کـذب دعواهم فی انهم بـذلک عالمین.

و بهذا الاعتبار تعلم رحمک اللّه بطلان دعوی من ادّعی من الیهود ان موسـی صلی اللّه علیه شافه اسلافه الذین کانوا معه و هم ستمائة ألف رجـل شاب سوی/ المشـیخة و النساء بأن شـریعته مؤیـدة الی أن تقوم الساعـة، و أنه لا یحل تغیر شـیء منها البتـة و أن من ادّعی خلاف ذلک فقـد کـذب و کفر. و ادعت الیهود انهم بـذلک عالمون، فقلنا: لو کنتم بـذلک عالمین، و کان اعتقادکم لذلک علما، و قد حجکم من لقیتم من اسلافکم لکنتم حجة علی اهل زمانکم، و کان یعلم ذلک بقولکم و أخبارکم کل من شرح ذلک منکم، فلما کنا بذلک غیر عالمین فإن اعتقادکم لذلک لیس بعلم. أ لا ترى أنّا و کل من یسـمع منکم یعلم ان موسـی علیه السـلام کان یدّعی انه رسول اللّه، و أن اللّه اصطفاه و أرسله، و أنه صلی اللّه علیه کان یحرم الأمهات و البنات و الأخوات و المیتة و الخنزیر و ذبائح الوثنیین، الی غیر ذلک مما حرمه، و أنه کان یقیم السبت.

فلو کان ما ادّعیتم من تأیید شریعته لکان علمنا به کعلمنا بما قدمنا، بل

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۵

کان یکون اقوی من العلم بذلک، فلما لم یکن کذلک علمنا و تیقنا ان موسـی علیه السـلام ما قال ذلک و لا دعا إلیه و لا فرضه و أن الامر لم یجر المجری الذی ادّعیتموه.

یزیدک وضوحا لذلک ان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلم لما عهد ان شـریعته مزیدة علم ذلک کل من سمع الاخبار ممن صدقه او کذبه، فلو کان الامر کما ادّعوا لعلمنا ذلک بأخبارهم کما علموا ذلک من شأن نبینا بإخبارنا ایاهم و بسماعهم ذلک منا.

و هـذا اصـل کبیر سبیلک ان تعنی به و تکبر مراعاتک له، فبه تعلم/ أیضا بطلان دعاوی النصاری فی ادّعائهم قیام المسـیح من قبره، و أنه علیه السلام أقام معهم بعد قیامه من قبره اربعین یوما ثم صعد الی السماء و هم یرونه.

و هم یؤکدون هذا الکذب بأن یجعلوا له عیدا فی یوم بعینه.

و بمثـل ذلـک تعلم بطلان دعواهم ان الخشـبة التی صـلب علیها المسـیح وضـعت علی میت فاذا هو حیّ یسـعی، و أن هـذا کان ببیت المقدس جهارا فی یوم شهدته النصاری و الیهود و الروم و أمم لم یحصها إلا اللّه لکثرتها. و لهذا نظائر من دعواهم.

و به تعرف بطلان دعاوی المجوس لزرادشت المعجزات.

و بمثـل هـذا تعلم بطلاـن دعاوی الرافضـة ان النبی صـلّی اللّه علیه و سـلم اسـتخلف امیر المؤمنین علیا علی امته، و فرض طاعته علیهم أجمعین من الأحرار و العبیـد و الرجال و النساء و جعله حجـة علیهم. و ادّعوا انهم قد علموا ذلک بإخبار جماعات اخبروهم بذلک، و أن اعتقادهم بذلک علم. فقلنا: لو کنتم بذلک عالمین و کان اعتقادکم لذلک علما، لساویناکم فی العلم بذلک لکثرة سماعنا

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۶

منکم و الخوض معکم فیه، فلما لم یکن کذلک، علمنا و تیقنا ان ذلک امر لا أصل له.

و العلم ببطلان دعاوی الرافضة فی ذلک أقوی و اظهر و الادلة علیه أکثر، لقرب عهده و کثرة الخوض فیه، و لأن الذی ادعی ذلک لم یکن یدعیه و لا یذهب إلیه، و لأمور کثیرة. و الأدلة علی ذلک اکثر من الأدلة علی/ غیره.

و الرافضـة تسـأل فی ذلـک عمـا تسـأل عنه الیهود و النصاری و المجوس فی الطعن علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلم و فی نبوته. فیقولون لمـا اعتقـدتم صـدق محمـد و نبوته فقال لکم: ان المسیح لم یصـلب و ان موسـی لم یقل ان شـریعته مؤبـدة و صار إقرارکم بذلک ناقضا لقولکم و مفسدا لدینکم، و مبطلا لأصولکم [ذهبتم عنه «۱»] و لم تعترفوا به.

قیل لهم: قد عرفناکم انا انما عرفنا بطلان هذه الدعاوی بذلک الاستدلال و الاعتبار الذی قدمنا و شرحنا قبل العلم بنبوته صلّی اللّه علیه و سلم و قبل المصیر الی قوله و قول اصحابه، حتی لو استدلت الملحدة کما استدللنا لعلمت من ذلک ما علمنا، و حتی لو لم یبعثه اللّه تبارک و تعالی حتی یعتبر معتبر و یستدل مستدل لعلم بطلان هذه الدعاوی کلها لأنا وجدنا أمما امثالنا و فی زماننا یدعون امورا و عهودا قد کانت فی العصور الخالیة التی قد سبقتنا ادعوا العلم بها، فرجعنا الی عقولنا و اختبرنا فدلت العقول علی ان اعتقادهم لذلک لیس بعلم، و ان خبرهم بذلک لیس بصدق، و انه لم یکن هناک شیء مما ادعوه ینقل إلیهم، و انما هم قوم شبّه لهم فاعتقدوا امورا تموهت علیهم فسموا اعتقادهم علما و خبرهم نقلا.

---

(۱) الکلمتان مکررتان فی الاصل.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۷

و أیضا، فلو کنا انما نعترف بذلک خوف الفضیحة فی بطلان دیننا فقد کان ینبغی ان نکون بذلک عالمین و ان لم نعترف، کما یعلم اللص انه سرق و ان لم یعترف خوف الفضیحة/.

و أیضا فان کان الناس قد علموا أنّا قد علمنا فجحدنا و کابرنا فقد تعجلنا الفضیحة و علم الناس جمیعا ببهتنا و مکابرتنا فما سلمنا من الفضیحة المعجّلة، و هذا لا یذهب فساده علی عاقل نظر و تدبر.

فان قالوا: فأنتم بذلک عالمون و ان لم تعترفوا، قیل لهم: إنا إذا رجعنا الی انفسنا علمنا کذبکم علی ضمائرنا، و کفی بذلک علما لنا بکذبکم علینا و بهتکم لنا، فانا لا نعلم ذلک بل لا نعتقده، فضلا ان نعلمه. بل نعتقد و نعلم بطلان ذلک، کما نعلم ان للعالم صانعا و انه واحد و ان محمدا صلّی اللّه علیه و سلم رسوله الی خلقه.

و أیضا، فان الجماعات الکبیرة لا تجوز ان تکتم ما قد رأته و سمعته و ان ضرها ذلک و ان ساءها، کما لم تجوز ان تفتعل ما لم یکن فتقول: قد کان و رأینا و سمعنا و ان کان ما رأت و لا سمعت و ان سرها ذلک و نفعها، و هذا فی الکتمان اقوی و اظهر و ابین، لأن الکتمان اثقل، و الصبر علیه اشد، و الحفظ له اصعب، و الناس الی القول اسرع، و هم علیه اخف، و لهم فیه فرح و استرواح، و علتهم فی الکتمان کالکرب و الألم، فیستروحون باذاعته و ینفرجون بالقائه، حتی انهم لیتحدثون بما فیه زوال نعمهم و سفک دمائهم، و حتی لقد ادعینا «۱» ان ینکتم ما بین السلطان و وزیره و امثال ذلک ممن یجوز علیهم الکتمان، فان الکتمان قد یجوز علی الواحد و الاثنین و النفر

---

(۱) کلمة مطموسة بالمداد، و القراءة اجتهادیة

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۸

الیسیر. و کذا الافتعال و ان کان الافتعال امکن من الکتمان. و لهذا/ یتواصی العقلاء بالصمت و الکتمان ما لا یتواصون بالقول، و یحذرون منه ما لا یحذرون من القول، حتی ان الصمت و الکتمان لا یجوز إلا فی عقلاء الرجال و فی افراد الناس، و هو فیهم أقل من القلیل.

فاعرف هذا فان هؤلاء الملحدة کأبی عیسی الوراق، و الحداد، و ابن الراوندی، لما لم یجدوا فی رسوله اللّه مطعنا ادعوا انه قد کانت له فضائح و اکاذیب و حیل وقف علیها اصحابه و اهله و کتموا ذلک لحبهم له و لئلا یفتضحوا باتباع کذاب. و انما یجوز ان ینکتم ما یکون بین اثنین من النفر الیسیر مدة ما ثم یظهر، فأما ما یکون بین الجماعة فانه لا ینکتم، و لا یطمع العاقل فی کتمانه و لا یحدث نفسه به و ان ضره و ان ساءه. أ لا ترى ان النبی صلّی اللّه علیه و سلم، جاء باکفار الیهود و النصاری و المجوس، و بالبراءة منهم، و سفک دمائهم، و سبی ذریتهم، و استباحة اموالهم، و یأخذ الجزیة من اهل عهدهم، الی غیر ذلک مما شرعه من مکارههم، و کل

ذلک قد ضرهم و ساءهم و ذهب برئاستهم و اسقط من اقدارهم، و قد ودوا أن ذلک لم یکن قط، و ان اللّه قد رفعه من قلوبهم و من قلوب الخلق اجمعین، و هذا علموه حین نطق به النبی صلّی اللّه علیه و سلم و قاله و شرعه و هو وحید ضعیف فقیر، و هم قد نقلوا ذلک و أذاعوه و نشروه و تحدثوا به مع ما علیهم فیه، و الدولة و العزّ و الغلبة إذ ذاک لهم لا له.

و هذا حال امیر المؤمنین مع معاویة و بنی أمیّة فإنهم قد کرهوا عقد أهل

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۲۹

المدینة له بعد عثمان، و کرهوا ما دعا إلیه من تضلیلهم، و ما/ فرضه من مجاهدتهم و قتالهم و ما بیّنه من نقضهم و تسفیههم، و ودّوا ان ذلک لم یکن، و ما طمعوا فی کتمان شیء من ذلک و لا فیما کان له من الفضائل، و انه صلی اللّه علیه من البدریین و السابقیین، و من الفقهاء و الزهاد و الاولیاء، و من العشرة و من اهل الشجرة و من اهل الشوری، و قد ساءهم کل هذا فما أمکنهم مع الملک و الدولة ان یدفعوه عن شیء منه مع محبتهم لدفعه عنهم و مع کراهتهم لکونه، و لا ان یدخلوا معاویة و هو سیدهم و رئیسهم فی المهاجرین و لا فی الانصار، و قد ودوا ان ذلک قد کان، و لا امکنهم ان یخرجوه من ان یکون من الطلقاء و أبناء الطلقاء.

و انظر الی الشعراء الذین هجوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم من قریش و من غیرهم، و من الکتب التی وضعها الملحدة و طبقات الزنادقة، کالحدّاد، و أبی عیسی الوراق، و ابن الراوندی، و الحصری، و آمالهم فی الطعن فی الربوبیة و شتم الأنبیاء صلوات اللّه علیهم و تکذیبهم، فإنهم وضعوها فی ایام بنی العباس و فی وسط الاسلام و سلطانه و المسلمون اکثر مما کانوا إذ ذاک و أشد ما کانوا و لهم القهر و الغلبة و العز، و الذین وضعوا هذه الکتب أذلّ ما کانوا، و انما کان الواحد بعد الواحد من هؤلاء یضع کتابه خفیا و هو خائف یترقب، و یخفی ذلک عن اهله و ولده، و لا یطلع علیه الا الواحد بعد الواحد ممن هو فی مثل حاله فی الخوف و الذل و القهر، ثم ینتشر ذلک فی ادنی مدة و یظهر حتی یباع فی اسواق المسلمین، و یعرفه خاصتهم و عامتهم، و یتحدثون به و یتقولونه و یذکرونه و قد غمّهم ذلک و ساءهم، و ودوا ان ذلک لم یکن.

و کذا ما کان/ بالبحرین من ابی سعید الحسن بن بهرام الجنابی «۱» و ولده،

---

(۱) کبیر القرامطة و معلن مذهبهم، کان دقاقا من اهل جنابة بفارس ثم انتقل الی البحرین-

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۰

و ما کان من ابی القاسم الحسن بن الفرح بن حوشب بن زاذان النجار الکوفی بجبال لاعة و عدن لاعة من ارض الیمن، و ما کان من ابی الحسین محمد بن الفضل «۱» بجیشان و الجند و المذیخرة من ارض الیمن، و ما کان لعبید المتسمی بعبید اللّه المهدی «۲» بأرض المغرب، و ما کان بمن بعده من هذه الطوائف فإنهم کلهم لما تمکنوا و قد کانوا فی اول امرهم یتسترون بالتشیع، فلما ظهروا و صاروا فی جماعات و عساکر أغاروا علی من جاورهم و قرب منهم، فشتموا الأنبیاء و استنجوا بالمصاحف، و سبوا المسلمات و العلویات، و غزوا مکة. و کان غزو مکة لقرامطة البحرین خاصة من ولد ابی سعید، و غدروا بالحجاج بعد ان امنوهم، و لهم فی قصد الاسلام و مکاره المسلمین ما هو معلوم و مکتوب. و کل ذلک مما قد ضرّ المسلمین و کرهوه، و ودوا ان ذلک لم یکن، ثم هم یذکرون ذلک و یتقوّلونه و یدونونه، فتعلم ان الدول و الممالک و القهر و الغلبة لا تغطّی علی الامور التی قد کانت و وقعت، و أن العقلاء لا یحدثون انفسهم بکتمان معایبهم التی قد کانت و تحصلت و علم بها الناس مرة واحدة، و لا یحدثون انفسهم بکتمان مناقب اعدائهم و إن ساءهم و غمهم.

- تاجرا، و جعل یدعو الی نحلته، ظفر علی عدة جیوش للخلفاء العباسیین ثم صالحه المقتدر.

استولی علی هجر و الاحساء و القطیف و سائر بلاد البحرین. قتله خادم له صقلبی سنة ۳۰۱ ه.

مرآت الجنان ۲: ۲۳۸ و الاعلام ۲: ۱۹۹.

(۱) انظر کیفیة اتصال احمد بن عبد اللّه القداح بمحمد بن الفضل هذا و تأثیره علیه و جلبه لصفه فی الکامل لابن الاثیر حوادث سنة ۲۹۶.

(۲) هو عبید اللّه بن محمد الملقب بالمهدی، مؤسس دولة العلویین فی المغرب و جدّ الفاطمیین فی مصر، فی نسبه خلاف کثیر. ولد بسلمیة، و کانت دعاة ابیه قد مهدوا له الامر بالمغرب، بویع بالقیروان سنة ۲۹۷ و توفی سنة ۳۲۲ ه. ابن الاثیر الجزء الثامن حوادث سنة ۲۹۶ و ما بعدها.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۱

یزیدک علما بذلک ان للفرس و الروم و الهند محاسن و مناقب لا یسترها أعداؤهم من المسلمین و لا یکتمونها و إن ساءتهم، و کذا ما للمسلمین و العرب من المحاسن و المناقب لا یدفعها أعداؤهم من هذه الامم، و لملوک بنی أمیّة مساوئ و هفوات کانت مذکورة متداولة فی ایامهم و فی سلطانهم، و کذا لملوک/ بنی العباس، و لملوک بنی أمیّة محاسن لا یدفعها اعداؤهم من ملوک بنی العباس.

فاعرف هذا الباب و أطل فکرک فیه لتعرف غلط الملحدة، و تعرف بطلان دعاوی الشیع ان الصدر الاول من المسلمین غیروا النصوص و القرآن، فبدّلوا و وضعوا ما لم یکن، و نسبوه الی النبی صلّی اللّه علیه و سلم، و أخذه عنهم التابعون، و صار فیمن بعدهم من العلماء و طبقات المتکلمین و الفقهاء فظنوه دینا و لیس کذلک. و أن هذه الحیلة قد تمت علی المعتزلة و الفقهاء و علی اصحاب الحدیث و المرجئة و الخوارج، و خفی علیهم موضع الحیلة فی ذلک، و أن سلطان ابی بکر و عمر و عثمان رضی اللّه عنهم غطّی ذلک و منع من ذکره، و أن علیّ ابن ابی طالب رضی اللّه عنه لما ملک سلک سبیل الخلفاء و قبله و ما امکنه إظهار تضلیلهم الی ان خرج من الدنیا، لأن اعوانه و جنده کانوا شیعة ابی بکر و عمر و عثمان رضی اللّه عنهم فلو أومی الی تضلیلهم لقتلوه و أبادوه، فالحجة فی بطلان دعاویهم هذه کالحجة علی الملحدة و جمیع اعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم. علی ان هذا الطعن علی السلف انما وضعه لهم الملحدة الذین قدمنا ذکرهم فلکلهم کتب فی نصرة دعاوی الرافضة علی المهاجرین و الانصار، و هم خدعوهم و لقنوهم هذه المطاعن لفرط عداوتهم لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فتمت حیلتهم علیهم و هم لا یشعرون. علی انهم لا ینفصلون عن مطاعن الملحدة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ما أقاموا علی بدعهم هذه، و الحجة علیهم اکثر

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۲

منها علی کل مبتدع، کما ان الحجة علی الشیع اکثر من هذا.

ثم عدت الی الیهود و النصاری فیما ادعوه من الصلب و غیره مما [قدمنا] «۱»/ فقیل لهم: إذا کان العلم بذلک قد شاع فی الامم و علمه العقلاء الذین سمعوا به [لکان] «۲» محمد صلّی اللّه علیه و سلم و من کان فی زمانه من الامم [الذین] «۳» صدّقوه و اعتقدوا نبوته قد علموا ذلک لا محالة فکیف ادعی ان ذلک لم یکن، و هل یفعل هذا عاقل کائنا من کان، فکیف بعاقل یدعی النبوة و الصدق و یرید من الامم کلها تصدیقه و اتباعه و هو اشد الناس حرصا علی اجابتهم. و کیف اتبعته تلک الجماعات من قریش و الأوس و الخزرج و الیهود و النصاری مع کثرتهم فی جزیرة العرب، و هم یسمعونه یکذب و یبهت و هو یعلم انهم یعلمون انه قد کذب فی ذلک، و هذا لا یکون مثله و لا یقع من العقلاء. و من تدبر الأمور یعلم جهل من ادعی علم الیهود و النصاری بما قدمنا بأدنی تأمل، و کیف لم یجر فی هذا قول معه فیقول له اعداؤه من قریش و غیرهم: ادعیت الصدق و النبوة ثم کذبت الکذب الظاهر و بهتّ الأمم البهت المکسوف، فقلت:

المسیح لم یقتل و لم یصلب، و هذه الامم کلها تعلم ذلک علما لا یرتاب به کما تعلم ان موسی و عیسی کانا فی الدنیا، و من کانت هذه سبیله لم یصدقه عاقل و لم یکن له رئاسة، و کیف لم یقولوا لمن اتبعه: یا هؤلاء، اکفرتم آباءکم، و ضللتم اسلافکم، و انفقتم اموالکم، و عادیتم ملوک الارض و جبابرتها و جمیع الامم، و سفکتم دماءکم فی طاعة کذاب قد عرفتم کذبه و بهته.

و قد قيل لبعض مجادلى اليهود و نظارهم ممن قد قرأ الكتب، و اكثر الاختلاف الى العلماء و كتب كتبهم، و ادعى انه يتقدم على/ علمائهم من اهل

---

(۱) زيادة منى يقتضيها السياق و إلا كانت العبارة ملتوية

(۲) زيادة منى يقتضيها السياق و إلا كانت العبارة ملتوية

(۳) زيادة منى يقتضيها السياق و إلا كانت العبارة ملتوية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۳

عصره: أ ليس انما يعرف الاخبار من تأخر عمن تقدم؟ فقال: بلى، قالوا له: أ ليس اليهود الذين كانوا مع محمد صلّى اللّه عليه و سلم و فى زمانه قد علموا ان موسى قد قال إن شريعته مؤبدة؟ فقال بلى: فقيل له: فلم لم يقولوا لمحمد أنت قد زكيت موسى و صدقته و و ثقته و هو قد قال و وصى بأن شريعته مؤبدة؟

و فى هذا كفاية فى كذبك و بطلان قولك، و هذا امر ظاهر بيّن يستدركه رعن النساء فضلا عن عقلاء الرجال، فأين كانوا عنه و قد خرجوا معه و فى عداوته الى شدائد الامور، من شتمه و هجوه و الغدر به و مساعدة قريش فى محاربته و بذل الاموال و المهج فى مكارهه؟ فقال: قد قالوا ذلك له و أقاموا الحجة به عليه، فقيل له: من اين لك العلم بهذه الدعوى؟ فقال: قد علمت ذلك، فقيل له: فلم لم يعلمه خصومك كما علمته؟ فقال: مجّته الاسماع، فقيل له: ما تزيد على الدعاوى: فإنك ادعيت ان ذلك قد كان، فقيل لك من اين لك العلم به و لم لا علمه خصومك؟ فادعيت ان الاسماع مجّته، فانتقلت من الدعوى الى دعوى، و قرنت الدعوى بدعوى، و لا فرق بين دعواك هذه و بين دعوى من ادعى ان اليهود حين قالوا هذا له أحيا اللّه موسى و هرون و أظهر على ايديهما الآيات و المعجزات فكاشفا محمدا و شافهاه و أقاما الحجة عليه بمشهد من اليهود و من اصحابه، و ان ذلك قد كان و علم و لكن مجّته الاسماع، فما اتى بشيء.

و اعلم ان اقوى حجج اليهود هو دعواهم ان موسى نص على ذلك و وصى به و قد مر/ لك الكلام عليه من غير وجه فما يحتاج فى الرد على اليهود اكثر منه.

فإن قيل: فأنتم قد طالبتم هذه الطوائف التى ادعت هذه الدعاوى و ادعت العلم بها، فقلتم لليهود و النصارى: لو كان علمكم بالصلب لهذا الشخص

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۴

قد حصل لكم بإخبار جماعات كثيرة شاهدت ذلك لعلمنا ذلك بخبركم و بسماعنا منكم كما علمتم بإخبارنا لكم قتل جعفر و حمزة و عمر و عثمان و على رضى اللّه عنهم، و قلتم: لو نصّ موسى النص الذى تدعونه و كنتم قد علمتم ذلك بإخبار الجماعات لكم لعلمنا ذلك بخبركم كما علمتم بإخبارنا اياكم عن نبينا ان شريعته مؤبدة. و قلتم للامامية و طبقات الرافضة: لو كان النبى نص على ما تدعون و وصى امته بذلك و فرضه عليهم، و كان اعتقادكم لذلك علما حصل لكم من قبل الجماعات التى اخبرتكم بذلك، لعلمنا ذلك باخباركم إيانا و سماعنا منكم كما علمتم و علمنا نص عمر على اهل الشورى، و كما علمتم و علمنا نص اهل المدينة على الامام على رضى اللّه عنه بالخلافة بعد عثمان، و كما علمتم و علمنا نص ابى بكر على عمر، و نصّ معاوية على يزيد، و نص عبد الملك على الوليد، و نص المنصور على المهدى، فلم لا علم اليهود و النصارى و الرافضة ان هذه الامور لم تكن كما علمتم.

قيل له: لو كانت، لجاءت مجيء امثالها مما ذكرناه و تحصّل العلم بها لنا كحصوله فى تلك الأمور، و إنما يعلم ان ذلك لم يكن بما يستدل به كما استدللنا، و من لم يستدل جاز ان يعتقد ان ذلك قد كان و إن لم يكن لتركه النظر و الاستدلال، و يكون اعتقاده لذلك ليس بعلم و خبره ليس بصدق و إن ظنه علما و صدقا.

و لسنا نـدّعی علی هـذه الطوائف انها کلها/ قـد علمت و کابرت، و هـذا یکون الاصل فیه ان یخبر به الواحـد و الاثنان او النفر القلیل، فیقولون:

أخذنا هذا عن جماعات کثیرة فیصدقهم من سمعهم و بحسن الظن بهم، و یأتی «۱» من بعد هؤلاء فیصدقهم، و یکثر من یعتقد ذلک، و یقول: من

---

(۱) فی الاصل: و یأت

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۵

قبلی قد اخذ هذا عن جماعات، فتکثر اهل هذه الدعاوی بعد ذلک و یغترون بکثرتهم.

و ربما کان اصل المقالـة تأویل آیـة من کتاب او من قول من یقتـدی به فیعتقـد التالی له انه نص فیقول: قـد نص موسـی او عیسـی او محمـد صـلی اللّه علیهم علی کـذا فی آیة کذا فی یوم کذا و یذکر ذلک القول. و ذاک القائل ما اراد بقوله ما أراده هذا المتأول و لا قصـد قصـده. مثـل مـا اولت القرامطـة فی قوله تبارک و تعالی «وَ مَنْ دَخَلَهُ کانَ آمِناً «۱»» قالوا: فقـد أخبر أن من دخل مکـة یأمن من القتل و الخوف و نحن نری الناس فیه یخافون و یقتلون، فقد ظهر کذبه، فإنا قد قتلنا المسلمین فیه، و لکن اتباع محمد صلّی اللّه علیه و سلم حمیر لا یعقلون «۲». و اللّه تبـارک و تعـالی ما اراد ما ظنوا، و لا هـذا خبر و إن کان لفظه لفظ الخبر، و إنما هو امر بأن من دخله فینبغی ان یؤمن و لا یخاف و لا یحل لأحد ان یخیفه. و هذا مثل قوله «وَ الْمُطَلَّقاتُ یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَ وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَ «۳»» و ما اشـبهه، فإن ظاهر هـذا الخبر و معناه الامر، أی یجب علی المطلقـة ان تتربص، و علی الوالـدة ان ترضع. و لکن الباطنیـة یقصـدون البوادی و العجم و من لم یشـتغل بالعلم فیخدعونه بأنواع الخدائع، و یحلفونهم علی کتمان ما یسـمعون، فیغترون بهم. و هم افسدوا من بـالبحرین، و کـان ابتـداء امرهم معهم التشیع، ثم رقوهم درجات الی ان جاءوهم و جاهروهم/ بتکـذیب الأنبیاء، فصار بتلک النواحی عداوة الاسلام مناکدة الی هذه الغایة.

و لإفراط جهل هؤلاء ما تم علیهم، و إلا ففی نصّ القرآن جواز القتل

---

(۱) آل عمران ۹۷

(۲) ان القاضی کعادته یستعرض أقوال الخصوم و افتراءاتهم مهما کان فیها من إیذاء للمسلمین لیردّ علیها بعد ذلک.

(۳) البقرة ۲۲۸

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۶

فی المسـجد الحرام. أ مـا تسـمع قوله عزّ و جل «وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْـدَ الْمَسْـجِدِ الْحَرامِ حَتَّی یُقاتِلُوکُمْ فِیهِ فَإِنْ قاتَلُوکُمْ فَاقْتُلُوهُمْ «۱» فأی شأن أبین من هذا.

و مثله قوله عز و جل: «یَسْـئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِیهِ قُلْ قِتالٌ فِیهِ کَبِیرٌ «۲» و قد قتل قوم ممن آمن بالنبی صـلّی اللّه علیه و سلم قبل الهجرة و قتل فیه منهم قبل الفتـح، و قد قتل هو صـلّی اللّه علیه و سـلم یوم الفتح فیه قوما، و الأمر فی ذلک ظاهر، و لا یذهب مثل هـذا إلاـ علی الغایـة فی الغافلـة. فإن کان الامر علی ما ظنه هؤلاء الجهال، فکیف لم تقل قریش و العرب و الیهود و النصاری و أعـداء رسول اللّه الذین کانوا معه و هم فی طلب عثرة تکون له مثل ما قاله هؤلاء الجهال و أنکروا علیه ذلک.

و ممـا قاله هؤلاء الزنادقـة أیضا: أن محمـدا قـد رجع عما کان یـدّعیه من الیقین فی امره و أظهر الشک بقوله فی کتابه: «وَ ما أَدْرِی ما یُفْعَلُ بِی وَ لا بِکُمْ» «۳» و قال: «فَإِنْ کُنْتَ فِی شَکٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ فَسْئَلِ الَّذِینَ یَقْرَؤُنَ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکَ» «۴».

فقیل لهم: إن کان أفاد بهذا الذی ظننتم، فلم لا کان أعداؤه من قریش و الأعراب و الیهود و النصاری انکروا ما انکرتم؟.

و كذا نقول لمن قال: إن اصحاب محمد صلى اللّه عليهم و سلم ارتد و ابعده، فقيل له: من أين لك هذا؟ قال من نصّ القرآن لأنه قال: «أَ فَإِنْ ماتَ

---

(۱) البقرة ۱۹۱

(۲) البقرة ۲۱۷

(۳) الاحقاف ۹

(۴) يونس ۹۴

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۷

أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ» «۱»، فيقال له: أنت اسوأ حالا فى هذا من اولئك، لأن هذا ليس بخبر و لا ظاهره الخبر، و انما ظاهره الاستفهام، و اللّه لا يستفهم لأنه بكل شىء عليم، و انما المراد به التثبيت و التنبيه كما قال:

«وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ» «۲» اى لا يخالدون و لا ينبغى/ لهم الخلود، و كذلك اولئك لا يرتدون و لا ينبغى لهم ان يرتدوا. و لما قال بعض المبتدعة بالتشبيه، و تأولوا النصوص قلنا لهم هذا.

و قد كثرت البدع و الكذب على الأنبياء بما لم يقولوه و لا أرادوه، و يدعون المبتدعة أن لهم سلفا امثالهم حتى يتصلوا بالانبياء فتغرهم كثرتهم و تغرهم زعماؤهم.

على ان النصارى لو رجعت الى أخبارها و الى ما فى أناجيلها الأربعة لعلمت أن المقتول المصلوب غير المسح، اذا كانت هذه الأناجيل معولهم.

لأنهم لما انتهوا الى ذكر المقتول المصلوب و الصلبوت قالوا: إن اليهود «۳» قصدوا فى خميس الفسح الى هيريدس صاحب فيلاطس ملك الروم، و قالوا:

هاهنا رجل منا قد أفسد أحداثنا و غرّهم و لنا عليك فى الشرط ان تمكننا ممن هذه سبيله لننفذ حكمنا فيه؛ فقال لأعوانه: اذهبوا مع هؤلاء فهاتوا خصمهم، فخرج الاعوان مع اليهود فصاروا بباب هذا السلطان، فأقبل اليهود على الأعوان فقالوا لهم: هل تعرفون خصمنا فقالوا: لا، فقال اليهود

---

(۱) آل عمران ۱۴۴

(۲) الأنبياء ۳۴

(۳) جاء فى الحاشية: «فى كيفية صلب اليهود رجلا على انه المسيح»

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۳۸

و لا نحن نعرفه، و لكن امشوا معنا فإنا لا نعدم من يدلنا عليه.

فمشوا، فلقيهم يهوذا سرخوطا و كان احد خواص المسيح و ثقاته و كبار اصحابه واحد الاثنى عشر، فقال لهم: أ تطلبون يسوع الناصرى قالوا:

نعم، قال: فمالى عليكم إن انا دللتكم عليه؟ فحلّ بعض اليهود عن دراهم كانت معه فعد ثلاثين درهما و سلمها إليه و قال: هذه لك.

فقال لهم: هو كما قد علمتم صديقى و أستحى ان اقول هذا هو، و لكن كونوا معى و انظروا الى الذى اصافحه و أقبّل رأسه، فاذا أرسلت يدى من يده فخذوه.

فساروا معه و قد كثر الناس ببيت المقدس و اجتمعوا إليه لإقامة هذا العيد من كل مكان فصافح يهوذا سرخوطا رجلا و قبّل رأسه/ و

أرسل یده من یده و غاص فی الناس، فأخذه الیهود و الاعوان، فقال المأخوذ: ما لکم ولی؟

و جزع جزعا شدیدا؛ فقالوا له: السلطان یریدک، فقال: مالی و للسلطان؟

فجاءوا به فأدخلوه علی هیریدس و قد طار عقله خوفا و جزعا و هو یبکی فما یملک نفسه، فرجمه هیریدس لما رأی به من الخوف، فقال لهم: خلوا عنه، و استدناه و اقعده و بسطه و سکّن منه و قال له: ما تقول فیما یدّعی هؤلاء علیک من انک المسیح ملک بنی اسرائیل، هل قلت هذا او دعوت إلیه؟

فأنکر ان یکون قال هذا او ادعاه و مع هذا فما یسکن قلقه، و هیریدس یسکّنه و یقول له: اذکر ما عندک [من حجة «۱»] إن کان لک، فلا یزید علی إنکاره و انه لا یقول ذلک، و انهم هم الذین یقولون ذلک لا هو، و انهم قد ظلموه بهذه الدعوی و تقوّلوا علیه، فقال هیریدس للیهود: ما أراه

---

(۱) فی الاصل: و حجة، و لعل الصواب ما اثبتناه

یوافقکم و لا یقول ما تدعونه و ما أراکم إلا متقولین علیه ظالمین له، هاتم الطست و الماء لأغسل یدی من دم هذا الرجل.

و وجه فیلاطس ملک الروم الکبیر الی هیریدس یقول له: بلغنی ان الیهود رفعوا إلیک خصما لهم فیه أرب و معرفة فأنفذه الی لأفاتحه و أنظر ما عنده، فأنفذه إلیه؛ فأدخل علی فیلاطس و هو فی حالة من الجزع و الخوف و الفلق، فسکّنه الملک و سأله عما ادعاه علیه الیهود من انه المسیح، فأنکر ان یکون قال ذلک و لم یزل یسائله و یباسطه لیذکر ما عنده و ما معه و لیسمع منه حکمة او یستفید منه أدبا او وصیة فما وجد عنده شیئا، و لا زاده علی القلق و الخوف و الجزع و البکاء و الانتحاب فرده الی هیریدس و قال له: ما وجدت فی هذا الرجل ما قیل فیه و ما عنده خیر، و نسبه الی النقص/ و الغباء، فقال هیریدس: الآن هو اللیل فاذهبوا به الی الحبس، فذهبوا به.

فلما کان من الغد بکر الیهود و أخذوه و شهروه تلک الشهرة، و عذّبوه و نالوه بأنواع العذاب، ثم ضربوه فی آخر النهار بالسوط، و جاءوا به الی مبطخة و مبقلة «۱» و صلبوه و طعنوه بالرماح لیموت بسرعة، و ما زال یصیح بأعلی صوته و هو مصلوب علی خشبة: یا إلهی اخذلتنی؟ یا إلهی لم ترکتنی؟

الی ان مات. و ان یهوذا سرخوطا لقی الیهود و قال لهم: ما ذا صنعتم بالرجل الذی اخذتموه امس؟ قالوا: صلبناه، فتعجب من هذا و استبعده، فقالوا له:

قد فعلنا، و إن اردت ان تعلم ذلک فصر الی المطبخة الفلانیة، فصار الی هناک، فلما رآه قال: هذا دم بریء، هذا دم زکیّ، و شتم الیهود، و أخرج الثلاثین درهما الذی اعطوه دلالة فرمی بها فی وجوههم و صار الی بیته

---

(۱) المبطخة مکان البطیخ، و المبقلة مکان البقل

فخنق نفسه «۱».

---

(۱) نثبت هنا ما جاء فی الاناجیل حول ما عرضه القاضی من تسلیم یهوذا للمسیح، و الاشارة التی اعطاها لهم لیتعرفوا علیه، و ما جری بعد ذلک من اخذه الی هیرودس و بیلاطس، و ما دار بین السید المسیح و هؤلاء من حدیث، و لا نرید ان نعلق علی ما نورده و انما سنکتفی بوضع هذا کله امام القارئ لیقارن و یتدبر. ما ورد حول تسلیم یهوذا للمسیح: «حینئذ ذهب واحد من الاثنی عشر (اصحاب المسیح) الذی یدعی یهوذا الاسخریوطی الی رؤساء الکهنة و قال:

ما تریدون ان تعطونی و أنا اسلمه إلیکم، فجعلوا له ثلاثین من الفضة، و من ذلک الوقت کان یطلب فرصة لیسلمه». متی، الاصحاح ۲۶، الفقرات ۱۴ و ۱۵ و ۱۶. «ثم ان یهوذا الاسخریوطی واحدا من الاثنی عشر مضی الی رؤساء الکهنة لیسلمه إلیهم، و لما سمعوا فرحوا و وعدوه ان یعطوه فضة» مرقس، الاصحاح ۱۴ الفقرات ۱۰ و ۱۱. و مثل ذلک فی انجیل لوقا، الاصحاح ۲۲ فقرات ۳ و ۶۵: «و کان یهوذا مسلمه یعرف الموضع لأن یسوع اجتمع هناک کثیرا مع تلامیذه. فأخذ یهوذا الجند و خداما من عند رؤساء الکهنة و الفریسین و جاء الی هناک بمشاعل و مصابیح و سلاح. فخرج یسوع و هو عالم بکل ما یأتی علیه و قال لهم: من تطلبون؟

اجابوه: یسوع الناصری. قال لهم یسوع: انا هو، و کان یهوذا مسلمه أیضا واقفا معهم. فلما قال لهم انی انا هو رجعوا الی الوراء و سقطوا علی الارض. فسألهم أیضا من تطلبون فقالوا:

یسوع الناصری، فأجاب یسوع: قد قلت لکم انی انا هو فان کنتم تطلبوننی فدعوا هؤلاء یذهبون» یوحنا، ۱۸: ۱- ۸. و أورد انجیل لوقا حادثة القبض علی المسیح علی النحو التالی:

«و بینما هو یتکلم اذا جمع و الذی یدعی یهوذا واحد من الاثنی عشر یتقدمهم فدنا من یسوع لیقبله فقال له یسوع: یا یهوذا بقبلة تسلم ابن الانسان. ثم قال یسوع لرؤساء الکهنة و قواد جند الهیکل و الشیوخ المقبلین علیه کأنه علی لص: خرجتم بسیوف و عصی. اذ کنت معکم کل یوم فی الهیکل لم تمدوا علی الایادی و لکن هذه ساعتکم و سلطان الظلمة». لوقا، الاصحاح ۲۲:

۴۷- ۵۳. مع بیلاطس و هیرودوس: «فقام کل جمهورهم و جاءوا به الی بیلاطس. و ابتدءوا یشتکون علیه قائلین: انا وجدنا هذا یفسد الامة و یمنع ان تعطی جزیة لقیصر قائلا انه هو مسیح ملک، فسأله بیلاطس: أنت ملک الیهود؟ فأجابه و قال: أنت تقول، فقال بیلاطس لرؤساء الکهنة و الجموع: انی لا أجد علة فی هذا الانسان، فکانوا یشددون قائلین: انه یهیج الشعب و هو یعلم فی کل الیهودیة مبتدئا من الجلیل الی هنا. فلما سمع بیلاطس ذکر الجلیل سأل: هل الرجل جلیلی؟ و حین علم انه من سلطنة هیرودوس ارسله الی هیرودوس اذ کان هو أیضا ملک الایام فی اورشلیم. و أما هیرودوس لما رأی یسوع فرح جدا لأنه کان یرید من زمان طویل ان یراه لسماعه عنه اشیاء کثیرة و ترجی ان یری آیة تصنع منه و سأله بکلام کثیر فلم یجبه بشیء، و وقف رؤساء الکهنة و الکتبة یشتکون علیه باشتداد فاحتقره هیرودوس مع عسکره و استهزأ به و ألبسه لباسا لامعا و رده الی بیلاطس ... فدعا بیلاطس رؤساء الکهنة و العظماء و الشعب-

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۱

فانظر کم فی هذا من عجب:

منها إقرار الیهود و الروم انهم ما عرفوه، و اخری ان الذی دلّ علیه لو کان ظاهر العدالة لما عرف بخبره و لا بشهادته شیء، و اخری جزعه و قلقه و إنکاره، و لو کان هو المسیح لأخبر بذلک و لقال: انا هو الذی بشّر بی الأنبیاء، و اننی کذا و کذا، سیما و الحاکم بینه و بین الیهود ملک الروم و هم اعداء الیهود، و کان قد اقام الحجة علیهم، هذا لو کان نبیا «۱»، فکیف و هو عند النصاری إله، فإن الأنبیاء یبدؤون الدعوی و الحجة عند من لم یسأل ذلک فکیف بمن یسأل و یرغب إلیهم.

و أخری ان یهوذا سرخوطا قال: هذا دم بریء، و بریء منهم ورد الدراهم و رجع الی بیته و قتل نفسه ندما علی ما کان منه. فقلنا للنصاری:

فکم فی هذا من دلالة علی ان المقتول المصلوب غیر المسیح، فأنتم لا- الی/ حجج العقول ترجعون، و لا- الی ما کتبتم و سطرتم تتدبرون، و لا علی ما نعلم تعولون، و لکنکم تمشون مکبّین علی وجوهکم.

و فی الانجیل معهم ان المسیح اخذ صندوقا یخزن فیه الذهب و الفضة و کان خازنه یهوذا سرخوطا الساعی به، و ان امرأة زانیة اهدت إلیه طیبا

- و قال لهم: قد قدمتم الی هذا الانسان کمن یفسد الشعب و ها انا قد فحصت قدامکم و لم أجد فی هذا الانسان علة مما تشتکون به

علیه و لا هیرودوس أیضا. لوقا، الاصحاح ۲۳: ۱- ۱۵.

«و فی الساعة التاسعة صرخ یسوع بصوت عظیم قائلا ألوی ألوی (و فی انجیل متی ایلی ایلی: ای الهی الهی) لم سبقتنی، الذی تفسیره الهی الهی لما ذا ترکتنی. فقال قوم من الحاضرین لما سمعوا:

هو ذا ینادی ایلیا (و فی انجیل یوحنا: انا عطشان) فرکض واحد و ملأ اسفنجة خلا و جعلها علی قصبة و سقاه» .. مرقس، ۱۵: ۳۳- ۳۵.

(۱) فی الاصل: نبی

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۲

قیمته ثلاثمائة دینار، و جعلت تمسح به قدمیه و تمسح شعرها بأسفل قدمیه، و ان شمعن جاء و أنکر ذلک علیه، و قال: هذا سرف و فساد، و کان ینبغی ان تتصدق بثمن هذا علی الفقراء «۱».

و لهذا ما قالت طائفة من الیهود ان یسوع «۲» بن مریم هذا الذی یعتقد المسلمون و النصاری ربوبیته الذی صلب و قتل هو ابن یوسف النجار، و هو رجل من الیهود برّ تقیّ صارت له رئاسة فی الیهود، فحسده بعضهم للرئاسة و سعی به و أذلّه الی ان قتل مصلوبا. و هو ما ادّعی ما یقوله النصاری و لا ما یقوله المسلمون من انه المسیح و انه نبی. قالوا أ لا ترون انه قد سئل عن ذلک عند هیریدس و عند فیلاطس و أنکر ذلک کله، و لو کان نبیا لاحتج بحجة و آیات، و البشارات به و أنه مولود من غیر ذکر.

قالوا: و مما یؤکد هذا، ان النصاری قد کتبت فی اناجیلهم ان یسوع هذا قال لأصحابه: ما یقول الناس فیّ؟ قالوا: منهم من یقول: إنک إلیّا و منهم من یقول: انک یوحنا الصائغ، قال: فأنتم اصحابی ما تقولون فیّ و من انا عندکم؟ قالوا: الذی عندنا انک المسیح، قال: لا تقولوا هذا.

قالت هذه الطائفة من الیهود: أ ما ترونه قد نهاهم ان یقولوا «۳» انه المسیح، فما الذی یبقی بعد هذا من البیان. قالوا: و قد خاصمه الیهود ثلاث سنین، و رفعوه الی الملوک فما حصل علیه إقرار انه ادّعی انه المسیح

---

(۱) انجیل متی الاصحاح السادس و العشرون.

(۲) ورد اسم المسیح علیه السلام علی اشکال متعددة، فقد رسم اسمه احیانا: ایسوع، و احیانا یشوع و احیانا اخری لیسوع، و قد اثبتناها جمیعا یسوع لشهرة هذا اللفظ.

(۳) فی الاصل: یقولون

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۳

و لا انه نبیّ، و لا شهد علیه بذلک ولیّه/ و لا عدوّه. و الآیات و المعجزات التی تدعیها النصاری له لا أصل لها ما ادعاها هو و لا احد من اصحابه فی زمانه و لا فی الفرق الذین یلونهم، و إنما ادعی له ذلک بعد مضیه و مضیّ أصحابه بالأزمان و الأحقاب، کما ادعت النصاری ذلک لبولص الیهودی «۱» و هو معروف الحال و الحیل و الکذب و السقوط، و کما ادّعوا ذلک لجورجس «۲» و الابامرقس «۳»، و کما یدّعونه فی کل زمان لرهبانهم و رواهبهم و کله لا أصل له. فاحفظ رحمک اللّه هذا فانه یؤکد الحال فی ان المسیح لم یصلب، و أن المصلوب غیره صلی اللّه علیه، و هو شدید علی النصاری من کل وجه.

و فی الانجیل ان المسیح کان قائما فی ناحیة فی موضع الصلب، و أن مریم أم المسیح جاءت الی الموضع فنظر إلیها المصلوب فقال لها و هو علی الخشبة:

هذا ابنک، و قال للمسیح: و هذه امک، و أن مریم اخذت بیده و مضت من بین الجماعة «۴».

و فی الانجیل أیضا ان المسیح مات من غیر ان یمسه شیء، و فیه ان امرأة سامریة قالت للمسیح: أنت رجل یهودی و نحن لا نسقی الیهود الماء، فقال

(۱) يقصد بولس، الشهير بالرسول فى تاريخ النصرانية و قد مر سابقا.

(۲) يقصد مار جرجس، الذى تنسب له النصرانية عددا من الخوارق، و تعتبره كنيسة انكلتره حاميا لها و كذلك تفعل كنيسة روسيا. و يظن انه ولد فى الرملة من فلسطين فى النصف الاخير من القرن الثالث للميلاد و يقال انه مات سنة ۳۰۳ م. دائرة معارف البستانى ۶: ۴۲۷

(۳) اسمه العبرانى يوحنا، و اسمه اليونانى مأخوذ عن الرومانى مرقس، يقال انه ابن اخت برنابا اللاوى القبرصى، و تقول كتابات الآباء المسيحيين انه كان مترجما لبطرس. انظر القول الصريح فى سيرة يسوع المسيح، ص ۱۳ جورج فورد.

(۴) جاء فى انجيل يوحنا الاصحاح ۱۹- ۲۶: «فلما رأى يسوع أمه و التلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لأمه: يا امرأة، هو ذا ابنك، ثم قال للتلميذ: هو ذا امك».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۴

لها: صدقت أيها المرأة فى جميع ما قلت.

و فيه أن المسيح قال لأصحابه: إن الكهنة و الربانيين جلسوا على كرسى موسى و هم يفتونكم فاقبلوا منهم فتياهم و لا تعملوا مثل أعمالهم، فإنهم يقولون و ما يعملون.

و فيه ان مريم المجدلانية و مريم الاخرى إنما امتنعتا من بعثة الطيب لسيدنا المسيح يوم السبت للسّنة فى حفظ السبت.

و فيه ان المسيح قال: شبهت جلوس هذه القبيلة السوء بصبيان جلوس فى السوق يناديهم اصحابهم: غنينا لكم فلم ترقصوا و نحنا لكم فلم تبكوا، اتاكم يحيى لا يأكل و لا يشرب/ فقلتم: لا يأكل و لا يشرب، و أتاكم من البشر اكول شروب فقلتم: اكول شروب يدخل بيوت الزناة و يجالس الخطائين.

و فيه انه مرّ «۱» على شمعون الصفا فقال له: يا شيطان.

و فيه أنه قال لبنى إسرائيل: يا حيّات، أولاد الافاعى، تقرءون الكتاب و لا تعقلون، تغسلون خارج الإناء و داخله مملوءة قذرا، تطلبون البر و البحر و السهل و الجبل صاحبا لكم، فلو أوجدتموه علّمتموه طرائقكم حتى يصير شرا منكم، فلا أنتم دخلتم ملكوت السماء، و لا تركتم الناس يدخلون ملكوت السماء اذ لم تدخلوا.

فإن قال قائل: لعمرى قد تبيّن ان النصارى قد قالت فى عيسى بن مريم عليه السلام: انه ليس بنبى و لا رسول للّه و لا بعبد صالح، و انه إله

(۱) فى الاصل مرة، و لعل الاصح ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۵

و رب و خالق و رازق، و ان اللّه ثالث ثلاثة، و انه قتل و صلب. و قد قال صاحبكم فى كتابكم: «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» «۱» فقالت النصارى: فهذا كذب، فانا و إن قلنا فيه انه إله فما قلنا فى أمه انها إله.

قيل له: ما خبر عنهم انهم قالوا ذلك، و ما هاهنا خبر فيقع فيه صدق او كذب، و إنما قال «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و ليس هذا خبرا، و لا من لا يعرف من العربية قليلا و لا كثيرا، و إنما ظاهر هذا القول الاستفهام و الاستعلام، و اللّه جل ثناؤه لا يجوز عليه ذلك، لأنه إنما يستعلم و يستفهم من لا يعلم ما استفهم و سأل عنه، و إنما معناه التقرير لاستخراج الجواب من المسئول. و هذا كقوله لموسى صلى اللّه عليه: «وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى» «۲» و هو عز و جل اعلم بذلك من موسى. و لقوله لإبليس: «ما مَنَعَكَ/ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» «۳» و اذ أمرك، و هو عز و جل اعلم من إبليس بالمانع له فقال للمسيح: هل قلت هذا فى نفسك او فى

امـك الوالـدة لك و هى اخص الناس بك و أوجبهم حقا عليك و أجلهم عنـدك، لتتبين براءة ساحته عليه السـلام من كل وجه. فقد بطل ما ظنه السائل من ان هذا خبر و هذا جواب شاف كاف.

و أيضا ففى النصارى من قـد قال بمعنى هـذا و ان لم يصـرح بلفظه، لأنهم قالوا إن مريم صـفت حين قبلت الجوهر الإلهى و ولـدته، و كل جوهر لا يقبل

---

(۱) المائدة ۱۱۶

(۲) طه ۱۷

(۳) الاعراف ۱۲، و قد اثبتت القراءتين: اذ امرتك و اذ امرك

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۶

إلا ما فى جوهره و سـنخه «۱» و لا يلـد إلا ما فى جوهره، و هـذا جواب ثان بين نيران فيهم من قـد صـرح بـذلك. و هذا بين فى كتب البيعـة الموجودة بكور الاهواز و غيرها من كور العراق بالقلم السـريانى، و قـد ترجم منه فى رسالـة كتبها عبـد يسوع بن بهرين اسـقف حران و الرقـة و المصـيّر بعـد ذلك مطرانا على الموصل و الجزيرة الى قس يعقوبى يقال له بادوس: أنت لا تنكر ان البتول الطاهرة إله كما تراه أنت، بل إنسان كما نراه نحن».

و هذا تصريح من هؤلاء بأن مريم إله و النسطورية تخالفهم فى ذلك و تجادلهم، و هذا بيّن و انما ينكره من لا يعرف أقاويل النصارى و حقيقة النصرانية.

و على ان هذه الطوائف الثلاث منهم من يقول فى مريم انها أم المسيح بن اللّه فى الحقيقة و والدته فى الحقيقة، لا أم لابن اللّه الالهى، و لا والـدة لابن اللّه غيرها، و لا أب لابنها إلا اللّه، و لا والـد لابنها إلا اللّه، و ان اللّه اختارها لنفسه و لولادة ولده و ابنه من سائر النساء، و لو كانت كسائر النساء/ لما ولـدت إلا عن وطء الرجال لها، و انما اختصت بهذا لأنها حبلت بابن اللّه و ولدت ابن اللّه الذى لا ابن له فى الحقيقـة إلا هو و لا ولـد له إلا هو، و أنها على العرش جالسـة عن يسار الرب والد ابنها، و ابنها عن يمينه. و هم يدعونها و يسألونها سعـة الرزق و صـحة البدن و طول العمر و غفران الذنوب، و ان تكون لهم عند ابنها و والد ابنها سورا و سـندا و ذخرا و شـفيعا و ركنا. فلو ان انسانا عظّم انسانا عشر هذا التعظيم و قال فيه عشر هذا القول لجاز فى

---

(۱) السنخ: الاصل، و من السن منبته، و من الحمى سورتها

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۷

لغـة العرب بل فى كل لغـة ان يقال قـد اتخـذه إلها. أ لا ترى الى قول اللّه تعالى «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ «۱»» و هم مـا صـاموا لهم و لاـ صـلوا و لكن قلـدوهم، فحرموا عليهم الحلال فحرموه، و أحلوا لهم الحرام فاسـتحلوه، و هـذا دون ما قالوه فى مريم.

و فى هذا المعنى قوله صـلّى اللّه عليه و سـلم: «تعس عبد الدنيا و تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة «۲»» لما غلب عليه حب ذلك و شـغفه به صار كالعبد له، فلو لم يكن معنا تلك النصوص فيمن قال منهم إنها إله فكان معنا خبر و نص أنهم ما قالوا انها إله لجاز مع هـذا التعظم ان يطلق، فكيف و مـا اخبر انهم مـا قـالوا انها إله، و لقـد عظموها و رفعوها على الملائكـة و الأنبياء و قالوا فيها ما يقال فى الإلـه، و سألوها ما يسأل الإله من العافيـة و الكفايـة فى الـدنيا و الآخرة كما قـد تقـدم لك ذلك حتى ان اليعقوبيـة لتقول فى مناجاتها لمريم عليه السلام:

يا مريم يا والدة المسيح كونى لنا سورا و سـندا و ذخرا و ركنا، و النسـطورية تقول: يا والدة المسـيح كونى لنا كذلك، و يأنون مسألة

اليعقوبية و يقولون لليعقوبية: لا تقولوا/ يا والدة اللّه و قولوا يا والدة المسيح، فتقول اليعقوبية لهم: فالمسيح عندنا و عندكم إله فى الحقيقة فأى فرق بيننا و بينكم فى معنى هذا، و لكنكم أردتم ان تمخرقوا عند من لا- يعرف هذا من قولنا و قولكم فتوهمونه انكم تتنزهون عن هذا و أنكم تقاربون المسلمين فى التوحيد.

و اعلم ان أفجاج النصارى يعتقدون ان اللّه اختار مريم لنفسه و لولده

---

(۱) التوبة ۳۱

(۲) حديث تعس عبد الديا نار، هداية البارى الى ترتيب احاديث البخارى ۱: ۳۱۴ فى كتاب الجهاد باب الحراسة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۸

و تحظّاها كما يختار الرجل المرأة و يتحظاها لشهوته لها، و قد حكاه النظّام و الجاحظ، و قال: إنما يفصحون بهذا عند من يثقون به. و قد قال ابن الإخشيد هذا عنهم فى «المعونة» و قال: إليه يشيرون، أ لا ترى انهم يقولون لو لم يكن والدا لكان عقيما و العقم آفة، و هذا قول جميعهم و الى البضاع يشيرون. و أنت تجد ذلك فى كتاب «المعونة» «۱» و فى كتاب الجاحظ على النصارى، و أظن ابا جعفر الإسكافى قد ذكر هذا فى كتابه على النصارى، و كل من خالط الرهبان و أرباب البيع و طاولهم و أنسهم عرف ذلك منهم.

فإن قال قائل: ادعيتم ان هذه الطوائف قد خالفت المسيح فى الأصول و الفروع و قد عرفنا بما ذكرتم مخالفتهم له فى الاصول فمن اين لكم انهم قد خالفوه فى الفروع؟ قيل له: كان المسيح يتدين بالطهارة، و بغسل الجنابة، و بوجوب غسل الحائض، و هذه الطوائف لا- تختلف بأن ذلك ليس بواجب، و ان للانسان ان يصلى و هو غير مطهر و غير مستنج، و يصلى و هو جنب، و لا يختلفون فى ان الجنابة و البول و الغائط و غير ذلك لا يقطع الصلاة، و ان المصلى له ان يصلى و هو يبول و هو يتغوط و هو يجامع و ان كان الجماع فى زنى، فما هذا شىء يقطع الصلاة و لا يفسدها/ بل الافضل عندهم ان يصلى و هو جنب و هو يتغوط و يبول و يضرط، لأن ذلك ابعد من صلاة المسلمين و اليهود، و كل هذا خلاف صلاة المسيح.

و كان المسيح يقرأ فى صلاته ما كان الأنبياء و بنو اسرائيل قبله و فى زمانه، و فى زمانه يقرءون من كلام اللّه و من قول اللّه من التوراة و من زبور داود،

---

(۱) المعونة: اسم كتاب لأبى الاخشيد و هو: احمد بن على، يتكلم على مذهب المعتزلة، و له آراء خاصة يخالف بها الكثيرين منهم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۴۹

و هذه الطوائف من النصارى انما تقول فى صلاتها كلاما قد لحنه لهم الذين يتقدمون و يصلون بهم، فجرى مجرى النوح و الأغانى فيقولون: هذا قداس فلان، ينسبونه الى الذين وضعوه.

و هم يصلّون الى المشرق و ما صلى المسيح الى ان توفاه اللّه إلا الى المغرب و بيت المقدس، و قبله داود و الأنبياء «۱» بنو اسرائيل، و قد اختتن المسيح و اوجب الختان كما اوجبه من قبله موسى و هارون و الأنبياء، و ما صام هو و اصحابه الى ان خرج من الدنيا الا اليوم الذى صامه بنو اسرائيل.

فأما هذه الخمسون يوما التى تصومها النصارى، و صوم نينوى، و صوم العذارى، فما صام شيئا منها قط، و لا اكل فى الصوم ما يأكلونه، و لا حرّم فيه ما يحرمونه، و لا اتخذ يوم الاحد عيدا قط، و لا بنى بيعة قط، و لا عطل يوم السبت ساعة واحدة، و لا اكل خنزيرا قط بل حرمه و لعن أكلته كما فعل الأنبياء قبله.

و النصارى تزعم انه رقى مريم المجدلانية فأخرج منها سبع شياطين، و ان الشياطين قالت له: اين نأوى؟ فقال لها: اسلكى هذه الدابة النجسة، يعنى الخنازير. و حرّم ذبائح من ليس من اهل الكتاب و حرم مناكحتهم، و سار فى المناكح و الطلاق و المواريث و الحدود

سیرة الأنبیاء قبله، و لیس عند هؤلاء النصاری علی من زنی او لاط او افتری او سکر حدّ البتة و لا عذاب فی الدنیا و لا فی الآخرة/.

و فی الجملة إن المسیح جاء لإحیاء التوراة و إقامتها، و قال: إنما جئتکم

---

(۱) فی الاصل: و بنی

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۰

لأعمل بالتوراة و بوصایا الأنبیاء قبلی، و ما جئت ناقضا بل متمما، و لأن تقع السماء علی الارض ایسر عند اللّه من ان تنقض شیئا من شریعة موسی، و من نقض شیئا من ذلک یدعی ناقصا فی ملکوت السماء. و ما زال هو و أصحابه کذلک الی ان خرج من الدنیا و قال لأصحابه اعملوا کما رأیتمونی اعمل و وصوا الناس بما وصیتکم به، و کونوا معهم کما کنت معکم، و کونوا لهم کما کنت لکم. و ما زال اصحابه بعده علی ذلک و کذلک، ثم الذین بعد القرن الاول من اصحابه، ثم من بعدهم بالدهر الطویل. ثم اخذوا فی التغییر و التبدیل، و البدع فی الدین، و طلب الرئاسة، و التقرب الی الناس بما یهوون، و مکایدة الیهود و شفاء الغیظ منهم و إن کان فیه ترک الدین. و هذا بین فی الاناجیل التی معهم و إلیها یرجعون، و فی کتابهم المعروف بکتاب افراسکس «۱»، فان فیه ان قوما من النصاری خرجوا من بیت المقدس و أتوا انطاکیة و غیرها من الشام؛ فدعوا الناس الی سنة التوراة، و الی تحریم ذبائح من لیس من أهلها، و الی الختان، و الی اقامة السبت، و الی تحریم الخنزیر، و الی ما حرمته التوراة. و ان ذلک شق علی الامم و استثقلوه، فاجتمع النصاری ببیت المقدس، و تشاوروا فیما یحتالون به علی الامم لیجیبونهم و یطیعونهم، فأوجب رأیهم مداخلة الامم و الترخص لهم و الانحطاط فی اهوائهم، و ترک مخالفتهم، و الاختلاط بهم، و الأکل من ذبائحهم، و التخلق بأخلاقهم، و تصویبهم فیما هم علیه. و أنشئوا فی ذلک کتابا. و قد قال بولس فی الکتاب الذی یسمونه السلیح: انا قلت لهم الی کم تهودون الناس؟

و قال فی السلیحین: کنت مع الیهودی یهودیا و مع الرومی رومیا،

---

(۱) ای کتاب الحواریین، انظر الفهرست ص ۴۱

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۱

و مع الارمائی ارمائیا «۱». و بولس هذا عندهم اجلّ من موسی و هارون و داود و جمیع الأنبیاء، و إذا قرئت رسائله و کلامه فی البیعة قاموا قیاما اعظاما و اجلالا له و لکلامه؛ و لا یفعلون ذلک بالتوراة التی هی عندهم کلام المسیح و هو کتبها لموسی و أرسله الی خلقه و خلق له البحر و قلب له العصا حیة، و لا فی الاناجیل و فیها کلام المسیح. و هو یقول للیهود: التوراة سنة حسنة لمن عمل بها، و یقول للروم و غیرهم من اعداء موسی و الأنبیاء:

التوراة مهجنة للبشر، و إذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد کمل بر اللّه و تمّ فضله، هذا کله مع النصاری و أعظم منه و أفحش. و قد عملوا عمل المسیح بالتوراة و وصیته الناس بالعمل بها.

انظر کیف ینسلخ الناس من العمل بشرائع الأنبیاء الذین یدعون انهم علیها و یخرجون منها، و اعتبر و کن علی حذر، فقد بدت هذه السیرة فی هذه الأمة، فکم فیهم ممن قد عطل وصایا النبی صلّی اللّه علیه و سلم و نبذ سنته و هجر کتابه لأنه زعم انه مغیر مبدل، و آخر یقول له باطن غیر ما علیه الفقهاء و العلماء، الی غیر ذلک من انواع البدع التی قد نشأت فی الاسلام و غلب اهلها بالکثرة اهل الحق فیبدعونهم و یسبونهم و ینفروا عنهم، و هکذا تتغیّر ملل الأنبیاء علیهم السلام و یموت العلم، کما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: إن اللّه لا یقبض العلم انتزاعا من صدور الرجال، و لکن یموت العلم بموت العلماء، فاذا ماتوا اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغیر علم فضلوا و أضلوا» «۲»./ ثم

---

(۱) على هامش الصفحة كتب: «الأرمائى من يعبد الكواكب و الأوثان» بخط مختلف عن خط الاصل، و يظهر انه خط ناسخه، او المعلق عليه.

(۲) كتب الناسخ على هامش الصفحة: «قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: ان اللّه لا ينتزع العلم انتزاعا من صدور الرجال الى آخره» و الحديث فى الجامع الصغير (شرح المناوى) ۳: ۲۷۲ رواه الامام احمد فى سنده و البخارى و مسلم و الترمذى و ابن باجه عن ابن عمرو باسناد صحيح.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۲

المستأكلة و من تكسب بالدين، و قد قال اللّه عز و جل: «يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار و الرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل اللّه» فهؤلاء العباد و هؤلاء العلماء و قد عرفك اللّه حال كثير منهم، فكيف بمن ليس بعالم و لا عابد. فاحذر كما حذرك اللّه، و اقبل وصية رسول اللّه عليه السلام.

و اعلم ان دين المسيح و ديانات الرسل عليهم السلام لم تتغير و لم تتبدل جملة واحدة و لكن شيئا بعد شىء، و فى كل عصر و فى كل حين حتى تكامل تغيرها، و ما زال اهل الحق فيها يقلون و أهل الباطل يكثرون حتى غلبوا و مات بهم الحق. فكان اصحاب المسيح بعده مع اليهود و بنى اسرائيل فى كنائسهم يقيمون صلاتهم و أعيادهم فى مكان واحد و بينهم الخلاف فى شأن المسيح، و كانت الروم تملكهم، و كانت النصارى تشكو اليهود الى ملوك الروم، و تبدى لهم الضعف الذى فيهم و تسترحمهم فيرحمونهم، و كثر هذا فكانت الروم تقول لهم:

بيننا و بين اليهود عهد ان لا نغير اديانهم، فلو خرجتم من أديانهم و فارقتموهم و صليتم الى المشرق كما نصلى و أكلتم ما نأكل و استبحتم مما نبيح نصرناكم و أعززناكم، و لم يكن لليهود عليكم سبيل بل صرتم اعز منهم.

قالوا: نفعل. قالوا فاذهبوا فهاتوا اصحابكم و هاتوا كتابكم. فجاءوا بأصحابهم فأخبروهم بما كان بينهم و بين الروم، و قالوا لهم هاتوا الانجيل و قوموا حتى نصير إليهم، فقال اولئك لهم: بئس ما صنعتم و لا يحل لنا ان نمكن الروم الانجاس من الانجيل و قد خرجتم انتم من الدين/ بإجابتكم الروم، و لا يحل لنا مخالطتكم، بل وجبت البراءة منكم و منعكم من الانجيل و الوصول إليه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۳

فوقع بينهم الخلاف الشديد. و عادوا اولئك الى الروم و قالوا لهم: أعدونا «۱» على اصحابنا هؤلاء قبل اليهود، و خذوا لنا منهم كتابنا، فاستتر اولئك من الروم و فروا فى البلاد. فكتب الروم فيهم الى عمالهم بنواحى الموصل و بجزيرة العرب. فطلبوا، فوقع منهم قوم فأحرقوا و قوم فقتلوا، و اجتمع الذين أجابوا الروم و تشاوروا فيما يعتاضون عن الانجيل إذ قد فاتهم، فتقرر رأيهم على أن ينشئو انجيلا. و قالوا إنما التوراة موالد الأنبياء و تواريخ اعمارهم فنبنى الانجيل على ذلك، و يذكر كل واحد منا ما حفظه من ألفاظ الانجيل و مما تحدث به النصارى عن المسيح. فكتب قوم انجيلا. ثم أتى من بعدهم قوم و كتبوا انجيلا، و كتبوا عدة أناجيل، و سقط عنهم الكثير مما فى الأصل. و كان فيهم الواحد بعد الواحد ممن يعرف امورا كثيرة فى الانجيل الصحيح فأمسكوا عنها لتتم رئاستهم، و لم يكن فى ذاك ذكر الصليب و لا الصلبوت، و هم يزعمون انها كانت ثمانين انجيلا، فلم تزل تقل و تختصر حتى بقى منها اربعة اناجيل لأربعة نفر عمل كل واحد فى عصره انجيلا، و جاء من بعده فرآه مقصرا فعمل انجيلا هو عنده أصح من انجيل غيره و اقرب الى الصحة. ثم ليس فيها انجيل بلغة المسيح التى كان يتكلم بها هو و أصحابه و هى العبرانية لغة ابراهيم الخليل و سائر الأنبياء، بها تكلموا و بها نزلت كتب اللّه على هؤلاء و غيرهم من بنى اسرائيل، و بها خاطبهم اللّه، فتركها هؤلاء. و قد قالت العلماء لهم: عدو لكم معشر النصارى عن اللغة العبرانية و هى لغة المسيح و الأنبياء قبله عليهم السلام/ الى صائر اللغات حتى

---

(۱) هكذا فى الاصل، لعلها: ساعدونا

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۴

ما من نصرانی یتلو هذه الأناجیل فی فرض من فروضه بلغة العبرانی حیلة و مکیدة و فرارا من الفضیحة. فقال الناس لهم: انما وقع العدول عنها لما قصده أصحابکم الأولون من الادّغال فی المقالات، و احتیالا فی تدلیس ما وضعوه من الأکاذیب و سترا لما احتالوا طلبا للرئاسة، و ذلک ان العبرانیة هم کانوا اهل الکتاب و اهل العلم فی ذلک الزمان، فغیّر هؤلاء النفر اللغة بل عدلوا عنها کلها لئلا یفهم اهل العلم مذهبهم و قصدهم لسترها فیفتضحوا قبل تمکن مذهبهم و لا یتم لهم. فعدلوا الی لغات کثیرة ما تکلم المسیح و أصحابه بها، و لیس اهلها من اهل الکتاب، و لا لهم علم بکتب اللّه و شرائعه، کالروم و السریانیین و الفرس و الهند و الارمن و غیرهم من الأعاجم، و تلبیسا و احتیالا لستر العورة و تمام البغیة فی طلب الرئاسة من اولئک القوم القلیل الذین طلبوها بالدین. و لو لا دلک للزموا لغة ابراهیم و ولده و المسیح الذین بهم قامت البیّنة، و علیهم أنزلت الکتب، و کان ذلک أولی بإثبات الحجة علی بنی اسرائیل و کفرة الیهود اذا ادعوا بلسانهم، و نوظروا بلغتهم التی لا یمکنهم دفعها. فاعرف هذا فانه اصل کبیر.

و اعلم رحمک اللّه، ان هذه الطوائف الثلاث من النصاری لا تعتقد ان اللّه أنزل علی المسیح انجیلا و لا کتابا بوجه من الوجوه، بل عندهم ان المسیح خلق الأنبیاء و أنزل علیهم الکتب، و ارسل إلیهم الملائکة. و انما معهم اربعة أناجیل لأربعة نفر، کتب کل واحد منهم انجیله فی زمانه، و جاء من بعده فما رضی انجیل غیره، و کان انجیله أولی. و هم یتفقون فی مواضع و یختلفون/ فی مواضع، و فی بعضها ما لیس فی بعض، و هی حکایات قوم رجال و نساء من الیهود و الروم و غیرهم انهم قالوا کذا، و فعلوا کذا، و فیها من المحال و الباطل و السخف و الکذب الظاهر و التناقض البیّن شیء کثیر. و قد تتبعه

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۵

الناس و أفردوه، و اذا قرأه المتأمل عرف ذلک. و فیها شیء من کلام المسیح و وصایاه و أخباره قلیل. فإنجیل منها عمله یوحنا، و انجیل منها عمله متی، ثم جاء بعدهما مرقس فما رضی بانجیلیهما، ثم جاء بعدهم لوقا فما رضی بتلک الاناجیل فعمل انجیلا آخر، و کان عند کل واحد من هؤلاء ان صاحبه الذی تقدم و عمل انجیلا أنه قد ضبط أشیاء و أخل بأشیاء، و غیره اعرف و اضبط.

و لو کان من قبله قد ضبط و اصاب لما احتاج ان یعمل هو انجیلا آخر غیر انجیل صاحبه، و لیس احد هذه الاناجیل شرحا للآخر، کما یشرح من تأخر کتاب من تقدم فیحکی کلامه علی وجهه ثم یشرحه. فاعرف هذا و انما وضعه لأن غیره قد قصر.

و عند هؤلاء الطوائف من النصاری ان هؤلاء الاربعة اصحاب المسیح و تلامیذه، و هم لا یعلمون و لا یدرون من هم و لا معهم فی ذلک إلا الدعوی فقط، بل قد ذکر لوقا فی انجیله انه ما رأی المسیح، فقال لوقا مخاطبا للذی عمل له انجیله و هو آخر من عمل من الاربعة: «عرفت رغبتک فی الخیر و العلم و الأدب فعملت هذا الانجیل لمعرفتی و لأنی کنت قریبا الی الذین خدموا الکلمة و رأوها» «۱». فهو قبل کل شیء قد أفصح بأنه ما رأی الکلمة- یعنون بالکلمة المسیح- ثم ادعی انه رأی من رأی المسیح، و لیس هاهنا إلا دعوی بأنه رآهم و لو کان ثقة لما علم بخبره شیء، و مع هذا فقد ذکر ان انجیله أولی من انجیل غیره/. فلو تأمل النصاری لعلموا انهم لیسوا علی شیء من هذه الأناجیل التی معهم، و لا معهم علم مما یدعیه اربابها

---

(۱) کتب الناسخ فی الهامش: الاناجیل الاربعة

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۶

و الواضعون لها، و ان الامر فی ذلک علی ما ذکرنا. و هو معلوم مذکور فی انصرافهم عن ملة المسیح الی مذاهب الروم و تغریرهم و تعجلهم المنافع بسلطانهم و اموالهم.

و قد کان بولص هذا یهودیا خبیثا شریرا، ساعیا فی الشر، و معینا للأشرار، و ثائرا فی الفتن، طالبا للرئاسة و الدولة، محتالا فیها بکل وجه، و کان یقال له و هو یهودی: شاءول، و کان یعین علی النصاری. ثم خرج عن بیت المقدس و غاب غیبة طویلة، و عاد الی بیت

المقدس و أخذ يعين النصارى على اليهود و يقول لهم: قولوا كذا، و اصنعوا كذا، و فارقوهم و قاربوا الامم التى تعادى اليهود. فقال له اليهود: كيف صرت نصرانيا و ما الذى دعاك الى هنا؟ فقال: اللّه تبارك و تعالى دعانى الى ذلك، و كان من قصتى انى خرجت من بيت المقدس أريد دمشق، فأدركنى الليل بظلمته و هبّت ريح عظيمة و ذهب بصرى، و نادانى الرب و قال لى: يا شاءول أ تلاطم الأشقاء تؤذى اصحاب ابنى؟ فقلت: يا رب قد تبت، فقال لى:

ان كان كما تقول فاذهب الى حاييم اليهودى الكاهن ليرد إليك بصرك، فذهبت إليه و خبرته، فمسح يده على بصرى فسقط منه مثل قشور البيض و فلوس السمك، و أبصرت كما كنت، و ان اللّه استدعانى إليه الى السماء، فأقمت عنده فى السماء اربعة عشر يوما، و وصانى بأشياء كثيرة، و قال لى: فيكم أمورا قبيحة لا اقولها لكم «۱».

فسخر منه اليهود و تعجبوا من حمقه و قحته، و صاروا به الى صاحب

---

(۱) جاء فى انجيل لوقا: «اذ كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة فى الامور المتبقية عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين و خداما للكلمة، رأيت انا أيضا اذ قد تتبعت كل شىء من الاول بتدقيق، ان اكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به» الاصحاح الاول ۱- ۵

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۷

قيصر ملك الروم عليهم، و كانوا إذ ذاك/ مغلوبين مع الروم. فقالوا له:

أ ما تعرف شاءول هذا؟ فقال: بلى، اعرفه بالشر و هو يجيئنا فى السعايات بالناس. فقالوا له: انه قد ادعى كذا و كذا، و ذكروا له ما قال. فاغتاظ الرومى منه و أمر به فبطح ليضرب، فقال له: أ تضرب روميّا؟ فقال:

أو رومى أنت؟ قال: نعم، انا على دين قيصر ملك الروم و برىء من اليهودية، فكف عنه لدخوله فى دين الملك، و قال له: هاهنا مركب يأخذ الى القسطنطينية و أنت رومى و على دين الروم، فكن هناك ان كنت كما تقول، فقال: افعل، أنفذنى الى بلاد الروم. فصار الى القسطنطينية، و تردد الى الروم، و لزم باب الملك و أغرى الروم باليهود، و ذكرهم عداوتهم لهم، و ما صنع بنو اسرائيل بهم، و من قتلوا منهم، و خوّفهم شر اليهود، و انهم لا يأمنون دولتهم و الكرّة عليهم، و ذكر لهم كثرة اموالهم.

و من عادة الروم لا تحتجب نساؤهم عن الرجال، و تركب امرأة الملك فى موكب الملك مكشوفة الوجه، و تخاطب الناس، و تأمر و تنهى، فتقرب بولس هذا إليها و خاطبها فى شأن اليهود. و من عادة الروم أن لا يحل للرجل ان يتزوج بأكثر من امرأة واحدة ثم لا يفرق بينهما طلاق و لا هرم و لا عيب من العيوب بوجه و لا سبب، و لا يحل له غيرها الى ان تموت.

و نساء الروم تبغضن ديانات الأنبياء من بنى اسرائيل لما فيها من إباحة الطلاق و أن للرجل ان يتزوج ما أطاق المئونة.

فقيل الشاؤول: أنت من امة هذا سبيلها، فقال: لا، و ما يحل للرجل اكثر من امرأة واحدة على احكام الروم، فنفق على النساء بهذا. و قرب من امرأة الملك فخاطبت الملك فى غزو بين اسرائيل، و ذكرت له ما يقول شاءول، و سألته ان يسمع منه ففعل. و تقرب إليهم/ بأن تسمى بولص و هو

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۸

من اسماء الروم، و الروم تكره الختان شديدا فى الرجال و النساء، و تبعض الامم الذى تفعله. فقالوا لبولص فى ذلك، فقال: نعم، هو ما ترون، و ما يجب عليكم ختان، و إنما يجب على بنى اسرائيل فانها امة قلفتها فى قلوبها.

و الروم تأكل الخنزير، فقال: ما هو حرام و ما يحرم على الانسان شىء يدخل جوفه و إنما يحرم عليه الكذب الذى يخرج منه، و بنو اسرائيل لا تأكل ذبائح الوثنيين و من ليس من اهل الكتاب و الروم ليس كذلك، فصوّبهم بولص فى هذا و نفق عندهم بكل شىء و ما خالفهم فى شىء، و كانت ديانات الروم اذ ذاك منتشرة أكثرهم يعظم الكواكب و يعتقد فيها انها تحيى و تميت و تنفع و تضر و

لهم عندها هياكل و قرابين، و منهم من كان على دين اليونانين من ان هذه الكواكب حية ناطقة رازقة و هى الأرباب، و يعتقدون صحة السحر، بالجملة إن دياناتهم كلها باطلة ضعيفة فاسدة. و كان بولص يذكر لهم فضل المسيح و زهده و انه كان مجاب الدعوة و كان يحيى الموتى، فكانوا يجتمعون إليه و يستمعون منه، و كان محتالا لا خبيثا، و كان الروم تصلى الى مشرق الشمس و لا ترى وجوب الوضوء و لا غسل الجنابة و لا الحائض و لا التوقى من البول و الغائط و الدم و لا تراه فحشا، و ان الروم تزوج الوننيين و سائر الامم و بنو اسرائيل لا تفعل ذلك، فقالت الروم لبولص فى ذلك، فقال: تزوج المؤمنة بالكافر فانها تطهره و لا ينجسها و الولد بينهما طاهر. و قال: هذا انما تحرمه التوراة، و التوراة شر كلها و اذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد كمل برّ اللّه و تم فضله. فاختلع بولص من ديانات المسيح/ و صار الى ديانات الروم. فاذا تبينت الامر وجدت النصارى تروموا و رجعوا الى ديانات الروم و لم تجد الروم تنصروا.

ثم قبل الملوك سعايات بولص باليهود و اخذ برأيه فيهم، فصار إليهم و قتل

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۵۹

منهم القتل العظيم و اخذ اموالهم و استصفاهم و عاد من عندهم بالرغائب، فقامت سوق بولص فيهم و ازدادوا له حبا، و هذا الملك الذى غزا بنى اسرائيل يقال له ططّس «۱». و قد كان للروم ملك يقال له بيلاطس خرج الى الشام بعد المسيح عليه السلام و بعد اصحابه بالمدد الطويلة، و كانت له امرأة ببلاد الروم فماتت، فأراد ان يتزوج امرأة مكانها، و من عادة الروم ان يعترض الرجل المرأة اذا اراد التزويج و يقلبها و يستقصى تفتيشها فإن صلحت له تزوجها، و ان لم تصلح تركها. فوصف لبيلاطس امرأة بحران يقال لها هيلانة «۲» تكون فى فندق بحرّان- و الفندق هو الخان- فأشخصها و قلبها و ارتضاها و تزوجها- و كانت نصرانية- فحظيت عنده، و سألته إعزاز النصارى و الاحسان إليهم، فقال لها: إن اليهود يزعمون ان اصحابك هؤلاء اصحاب حيل و طلاب دنيا و رئاسة، فقالت: كذبوا، و انما اجيئك بهم لتراهم. فانتهت بجماعة من الرهبان و قالت له: انظر إليهم و الى مسكنتهم و ضعفهم لتعلم كذب اليهود عليهم. فرحمهم و رقّ لهم و ظن الجميل بهم، فأعزهم و صانهم و مكّن لهم فى ممالكه بالشام و بلاد الروم، و احسن إليهم، فانبسطوا و كثروا و استطالوا على اليهود/. و كان لهذا الملك أولاد من المرأة التى كانت قبل هيلانة، و ولد له من هيلانة هذه ابن يقال له قسطنطينوس.

و قد كان امر بولص عظم ببلاد الروم مع العامة و الغوغاء و استهواهم بما يجرى مجرى الرقى و الطب و الشعبذة و السحر، و الروم الارمن تصدق بهذا كله و هى امة مفرطة الجهل بعيدة مما يستدرك بالفكر و النظر، يغلب عليها

---

(۱) و قد ارسل بولس الى تيطس رسالته المشهورة حوالى سنة ۶۵ م

(۲) فى الاصل: هيلانية

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۰

الفدامة و البلادة سيما فى العامة فهى لا تعرف إلا المهن و الصنائع، و ان كانت ملوكها تتقدم فى ظاهر الحياة الدنيا و تدبير الملك. ففطن بعض ملوكهم لبولص و تصفح احواله و حصّله و علم انه محتال ممخرق طالب دنيا و رئاسة، فأحضره و سأله عن الختان فذمه و ذم اهله و من يفعله فسأله عن المسيح هل اختتن؟ و هل كان مختونا؟ و هل كان اصحابه من الحواريين كذلك؟ قال:

نعم ثم كشف عنه فإذا هو مختون، و وجده قد ساعد الروم فى دياناتها و هى خلاف ديانات المسيح و اصحابه و انها كفر و ضلال عند المسيح و اصحابه، و قد كان اصحاب بولص فى رجله داء الفيل و هو يدعى انه يطبّ و يبرئ فأمر الملك به فصفع و حلقت لحيته و صلب. فقال لهم: لا تصلبونى طولا كما صلب ربنا المسيح، و لكن اصلبونى عرضا. و الملك الذى صنع هذا ببولص يقال له بيرن، ففترت النصرانية ببلاد الروم و انكسروا. و ملك أولاد بيلاطس بعده، و انتهى الملك الى ابنه قسطنطينوس، و كان ظاهره على ديانات الروم غير ان والدته هيلانة هذه قد/ غذته بحب الصليب، و عودته عادة النصارى و ما يقولونه فى المسيح، و ظهر فى جسمه برص و كانت الروم لا تملّك عليها من به برص، بل كان محرما عندها تمليك البرص. فغمّه ذلك و أهمه و كتمه و انطوى على قمع الروم و

صرفها عن هذا الرأی فی کراهة تملیک البرص، و کانت تغزوهم امم فاتفق غزو السرجان و البربر إیاهم فعبّا عساکره علی هیاکل الکواکب، و قصد الی مشیخة الروم و الراسخین فی دیانات الروم و انفذهم الی العدو، و لم یستظهر لهم علی عدوهم بالمکاید و الجواسیس کما یفعل الملوک و من یدبر العساکر فتم علیهم ما یکرهون من القتل و انهزام من بقی فکان یظهر الحزن و الکابة و یقول: قد استظهرنا و عبّأنا علی هیاکل الکواکب التی تعظمها و قد عظمتها آباؤنا قبلنا، و قربنا لها القرابین، و ما نراها تنفعنا

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۱

و لا تغنی عنا، و ما زال یدبرهم بهذا التدبیر و یقول هذا القول، و انه ما ینبغی ان یعبد احد ما لا ینفعه، و هذا وقت الحاجة و اوان الشدة فما تدفع هذه الکواکب عنا، فینبغی ان یستبصر الانسان و یعبد ما ینفعه و یدفع عنه. ثم قال: هاهنا امرأة رأت فی منامها قائلا یقول لها استنصروا بهذا، و اخرج إلیهم صلیبا. و اتفق موت امیر الجند الذی غزاهم فانصرفوا عنهم، فقال هو و من کان علی رأیه و هواه هذا ببرکة الصلیب. و کانت عادة الروم ان تجعل علی راباتها الأهلة و ما هو علی صورة الهلال تبرکا بالقمر و النجوم و لأن القمر/ اخف الکواکب سیرا، فحطوها و جعلوا مکانها الصلبان فهم علی هذا الی هذه الغایة.

ثم ابتدأ فی التدبیر فی نقل الروم عن تعظیم الکواکب الی تعظیم الصلبان، و کان الفلاسفة فی بلدهم کثیرین، و کانوا یعظمون الکواکب، و یدعون انها حیة ناطقة، و یستطیلون علی الناس، و یدلون علی الملوک، و یدعون انهم أخص الخاصة، و لا یتکسبون، و یعتادون البطالة، و یعولون علی اموال الناس، و یفسدون الأحداث و من یصغی إلیهم من ملک او سوقة، و یدعون العزائم و الطلسمات و انهم ینفعون بها و یضرون، و انهم یدرکون علم المغیبات بصنعة النجوم، و یهولون بالهندسة و الأشکال. و کان قسطنطینوس هذا خبیثا مفکرا صبورا متصفحا امر هؤلاء الفلاسفة و ما یدعونه فی النجوم و الطلسمات فوجده باطلا کله، وجد القوم محتالین ممخرقین و مفسدین، فابتدأ فی قتلهم علی طبقاتهم، و فی احراق کتبهم و ابطال هیاکلهم. فمکث علی ذلک حتی خلت أبنیته منهم، و کانت مدینة الفلاسفة فما بقی منها إلا- حرّاث و دبّاغ و صبّاغ، و جعل الهیاکل التی کانت للکواکب بیعا، و أسکنها الرهبان و قال: هؤلاء المساکین أرجی من اولئک الجهال الممخرقین الکذابین، و سلط

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۲

الرهبان و العامة علیهم فی کل مکان، لا- یظهرون بکتاب طب و لا هندسة إلا أحرق و بادر علی من کان علی رأی الفلاسفة فتبرأ منهم، و أعان علیهم، و انبسطت أمه هیلانة فی ذلک، و بسطت الرهبان و النصاری/ و استعدتهم «۱» من کل مکان فجعلتهم اصحاب اخبار لابنها و أعوانا، و استظهرت بهم، و اظهر هو تعظیم المسیح و الصلیب، و أقام دیانات الروم علی حالها کما کانت من الصلاة الی المشرق و غیرها مما تقدم ذکره، فما أزال إلا عبادة الکواکب و ما زاد إلا تعظیم المسیح و القول بربوبیته، و تعظیم الصلیب. و لم یکن هذا بالبعید عن الروم لأن من اعتقد فی الکواکب و هی جماد موات أنها أرباب و تنفع و تضر لم یبعد عنهم ان یقولوا فی انسان حی عاقل ممیز قد قیل لهم انه کان یحیی الموتی، و انه إله، و انه و ابوه و زوجته خلقوا الکواکب. و کان هذا سهلا علی اهل المغرب، أ لا تری ان القبط و من بمصر کانوا یعتقدون إلهیة فرعون و انه لا- إله لهم غیره. و سار قسطنطینوس هذا الی الجزیرة فقصد حرّان و أعمالها و کانوا فی تعظیم الکواکب أشدّ مما کان بأثینیة و بلاد الروم، فوضع فیهم السیف حتی أبادهم، و هرب من هرب منهم فی الجبال فطلبهم بنفسه، و کانوا یعیبون البرص فکان له فیهم فضل حرص، فقال له قواده: لا تبعث فی طلبهم فان الثلج الذی فی هذه الجبال سیهلکهم، فان بقیت منهم بقیة جعلناهم حجامین للروم و جمیع النصاری و اصحاب الصوامع و الرهبان لیعرف منهم حقیقة النصرانیة و ما ینبغی ان یقرر مما یؤخذ الناس به فلا یتجاوزونهم، و ان من تجاوزه قتل. فاجتمع عنده نحو ألفین من رؤسائهم و قرّر أشیاء

---

(۱) استعداه: استغاثه. انظر القاموس المحیط.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۳

من تسبیحة الإیمان، و کان فیهم من یخالف اولئک و یقول: کلمة اللّه/ مخلوقة و ان المسیح کلمة اللّه و کان هناک إیرلس و مقدنیوس، و أونامس، و أولوفریانوس و اصحابهم، ممن یقول: الکلمة مخلوقة و کلام اللّه و قوله خلق من خلقه، فشغبوا علیهم و وقف الأمر و بطل ذلک التقریر.

ثم اجتمع بعد ذلک ثلاثمائة و ثمانیة عشر رجلا بنیقیة من بلاد الروم و عملوا تسبیحة ایمانهم التی قد ذکرت، فأتوا بها قسطنطینوس فأخذها و عمل علیها و أخذ الناس بها فمن لم یقبلها قتله. فاحتاج اولئک ان یظهروا قبولها خوف السیف، و أبطل ما سواها عن التقریر، و حصل من کان علی دین المسیح فی کل مکروه، و اخذوا بتعظیم الصلیب و أکل الخنزیر و دیانات الروم، و کان من لا یأکله یقتل.

و کان فی الصابئین من اهل حران من لا یأکل الباقلاء و یزعم انه عدو للفلک لأنه مکعّب و الفلک کروی، فکان یطبخ الباقلاء فی ابواب البیع و یجمع الناس إلیها و یقال لهم: اخرجوا و لا یبقی منکم احد إلا اکل الباقلاء و من لم یأکله قتل و رمی برأسه، و هناک سیّافة قد جردوا سیوفهم فمن لم یأکله قتلوه.

و لم یزل قسطنطینوس فی الملک خمسین سنة مشغولا بقتل من لم یعظم الصلیب و لم یقل بربوبیة المسیح حتی تأکد ذلک و تمکن، و اوصی الملوک بعده بذلک و أکد علیهم و عهد فیه إلیهم و قال: هو أولی من تعظیم الکواکب و آراء الفلاسفة، و أوثق هذا العهد علی اولاده و قواده و اولیائه و جعل الملک فی اولاده. و الروم یصفونه بالحزم و الشهامة/ و انه فیهم کأردشیر بن بابل «۱»

---

(۱) ذکر الطبری ملکین من ملوک فارس بهذا الاسم، احدهما: اردشیر بن بابک بن ساسان-

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۴

ملک فارس فی الفرس. و قام اولاده بعده فی الملک فأکدوا عهوده و قرروا فی کل حین شیئا بعد شیء فی النصرانیة الی ان جاء ملک منهم فرأی ان یجعل یوم الأحد عیدا لهم یجتمعون فیه کما لیهود یوم السبت، و کان هذا بعد قسطنطینوس بالدهر الطویل. و عملوا لذلک سنهودس، و کان للروم و الیونان عیدا یسمونه میلاد الزمان و هو عند رجوع الشمس فی کانون، فجعلوه میلاد المسیح و زادوا و نقصوا، و هو عید لهم عظیم و هو الذی یقیمه النصاری و یسمونه المیلاد و لیلة المیلاد و هذا سببه و أصله، و ما کانت النصاری فی زمن المسیح و اصحابه من بعده یعرفون هذا العید و لا- یقیمونه. و کان للروم و الصابئین ایام یصومونها تجری مجری التقرب الی الکواکب یمسکون فیها عن اکل اللحم، فلما صاروا الی القول بإلهیة المسیح أقاموها ثم زادوا فیها من اشیاء و نقصوا، و هم الیوم یصومونها خمسین یوما الی زوال الشمس ثم یفطرون فی بعض الأیام، هکذا یصومون ببلاد الروم.

و الروم هم الأصل فی هذه الطوائف الثلاثة من النصاری، ثم تفرعت منهم الیعقوبیة أصحاب یعقوب، ثم من بعد الیعقوبیة النسطوریة و هم اصحاب نسطورس و هم یختلفون فی الصیام، فإن هؤلاء الذین بالعراق لا یصومون فی کل یوم نصفه کما تصوم الروم، و لهم ایام، أعنی الذین ببلاد الاسلام، ینظرون فیها بعد صلاة العصر یتحسون الخمر فی البیعة و هو القربان عندهم، و قد قال بولص: إن دم هذا الشراب هو دم الربّ و هذا/ البرشان هو لحم الرب فمن

- ابن عم دارا بن دارا و المطالب بدمه و هو من ملوک فارس الاوائل و الموصوفین بالشدة و الشجاعة.

و ثانیهما اردشیر بن هرمز بن نرسی بن بهرام بن هرمز بن ساسوبو بن اردشیر بن بابک و هو احد احفاد اردشیر الاول، و قد وصف بالبطش و الشجاعة أیضا. و الاول اکثر شدة و لعله هو المقصود هنا.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۵

ارتاب فی ان هذا لحم الرب و دمه فلا یأخذه و لا یذقه و ان ذلک لا یحلّ له.

و البرشان «۱» هی اقراص تخبز و تحمل الی البیعة و تثرد فی الخمر و تؤکل تقربا.

و المسیح علیه السلام ما صام هو و أصحابه إلا الصوم الذی صامه بنو اسرائیل.

قالت هذه الطوائف من النصاری: إن کان المسیح ما صام هذه الایام الخمسین فقد صام حین اسره الشیطان اربعین یوما بلیالیها فجعلناها نحن خمسین یوما، قلنا: هبنا صدقناکم فی ذلک فمن این وجب علیکم مثل ذلک و انتم تقولون ان موسی صام ثمانین یوما بلیالیها فلم یطعم فیها شیئا البتة و کان ذلک فی دفعتین، و زعمتم ان ایلیا «۲» صام اربعین یوما بلیالیها فما وجب علی قوم موسی الصیام الذی صامه موسی و لا علیکم صیام ذلک. و بعد، فقد عاد المسیح إلیکم حین اطلقه الشیطان و بقی معکم فما صام صومکم هذا و لا امرکم به و لا صام هو و اصحابه إلا صوم بنی اسرائیل، فعطلتم الصوم الذی تعلمونه یقینا و صمتم صوما ما صامه و لا امرکم به.

و فی انجیلهم ان الشیطان اسر المسیح و حصره اربعین یوما لیمتحنه، و ان المسیح امسک عن الأکل و الشرب خوفا من ان تتم علیه حیلة الشیطان، و انه قال له و هو معه و فی یده: إن کنت ابن اللّه فقل لهذه الصخور تصیر خبزا، فقال له المسیح مجیبا: أن مکتوب أنّ حیاة الانسان لا تکون بالخبز بل بکل کلمة تخرج من اللّه. ثم ساقه الشیطان الی مدینة بیت المقدس فأقامه

---

(۱) کتب فی الاصل فی الحاشیة: البرشان

(۲) فی الاصل: إلیا

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۶

علی قرنة الهیکل و قال له: إن کنت ابن اللّه فارم نفسک/ من هاهنا فانه مکتوب ان الملائکة توکل بک فلا تعثر رجلک بالحجر، قال المسیح:

و مکتوب لا تجرب اللّه إلهک. ثم ساقه الی جبل عال فأراه جمیع ممالک الدنیا و زخرفتها و قال له: إن خررت علی وجهک لی ساجدا جعلت هذه الدنیا کلها لک کما جعلتها لمن قبلک، فقال له المسیح: اغرب أیها الشیطان فانه مکتوب اسجد للرب إلهک. ثم بعث اللّه ملکا اقتلع الشیطان من مکانه و رماه الی البحر و أطلق السبیل للمسیح «۱». فهذا من الجهل الذی خبرتک انه مکتوب فی اناجیلهم و هو زعموا حجتهم فی صومهم، فهل سمعت بشیطان یأسر إلهه و یحصره و ینقله من مکان الی مکان و یطمع فی إلهه ان یستعبده و الشیطان لا یقدر ان یأخذ حمار الیهودی، و عند النصاری انه قد اخذ ربه الی ان جاء الملک فخلصه و فک اسره. و عند النصاری ان المسیح لما ظهر ربط الشیطان عن الخلق و أطفأ ثائرته و أزال اذاه و شرّه، و هاهنا یقولون اشد ما کان قوة علیه و تسلطا علیه و هو ربه و إلهه، ففکر و اعجب.

و کان للروم و الصابئین دخن و بخورات فی الهیاکل للکواکب و الأصنام،

---

(۱) جاء فی انجیل متی: «ثم اصعد یسوع الی البریة من الروح لیجرب من ابلیس، فبعد ما صام اربعین نهارا و اربعین لیلة جاع اخیرا. فتقدم إلیه المجرب و قال له: ان کنت ابن اللّه فقل ان تصیر هذه الحجارة خبزا، فأجاب و قال: مکتوب لیس بالخبز وحده یحیا الانسان بل بکل کلمة تخرج من فم اللّه. ثم اخذه ابلیس الی المدینة المقدسة و اوقفه علی جناح الهیکل و قال له: ان کنت ابن اللّه فاطرح نفسک الی اسفل لأنه مکتوب انه یوصی ملائکته بک فعلی ایادیهم یحملونک لکی لا تصدم بحجر رجلک، قال له یسوع: مکتوب أیضا لا تجرب الرب إلهک. ثم اخذه أیضا ابلیس الی جبل عال جدا و أراه جمیع ممالک العالم و مجدها و قال له: اعطیک هذه جمیعها ان خررت و سجدت لی، حینئذ قال له یسوع: اذهب یا شیطان لأنه مکتوب للرب إلهک تسجد و ایاه وحده تعبد» الاصحاح الرابع من انجیل متی.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۷

و هى قائمة عند النصارى ما عطلوها، و هى فى البيع يسمونها دخنة مريم و بخور مريم، و ما عرفته مريم و لا المسيح ساعة قط و لا اصحابه، و لا استعملوا ذلك، فجعلوا هذا بخور مريم كما جعلوا صومهم للمسيح، و كما جعلوا الخمر و القربان لحمه و دمه.

و كانت الروم مع عبادتها الكواكب تعظم الأصنام و تصورها فى الهياكل، فبقيت على ذلك/ بعد اجابتها الى تعظيم الصليب، و ما كان منهم فى ذلك قصور، و المسيح و أمه و أصحابه عوضا من تلك الأصنام. ثم تركوها شيئا شيئا على الايام و الدهور.

و هم كانوا يستبيحون الزنا و لا- يمتنعون منه فبقوا على ذلك بعد تعظيم المسيح فهو مبثوث بينهم و فى مدنهم و أسواقهم منتشر، يقولون: المرأة اذا لم يكن لها زوج و لم تختر الزواج و آثرت الزنا فهى املك بنفسها و لها ان تفعل ذلك، و الملك يسعر ذلك، و يقيم له الحكام و الولاة فلكل إنزالة تكون من الرجل فلس واحد، و كل اربعة افلس قيمتها دانق فضة. و للقحاب فى بلدانهم اسواق كثيرة، و لهن دكاكين، تفتح حانوتها و تتزين و تجلس على بابه بارزة مكشوفة. و ليس عندهم فى كشف السوءة و العورة من الرجال و النساء تحريم و لا خطر، بل المرأة الحرة منهم تزف الى زوجها راكبة فتمر بالناس فى الاسواق مكشوفة الوجه و الرأس، و قد ارسلت ضفائرها و تجدلت بها، و أبدت محاسنها كلها لينظر كل احد إليها، و يقال ان الغالب على ذوات الازواج العفاف، فأما من ليست بزوج فحالها كما وصفنا، و ربما كانت تزنى فى بيت ابويها، و من جاء من هؤلاء الزوانى بولد حملته الى البيعة ان شاءت و سلمته الى البطرك و المطران و القس، و قالت: قد وهبت هذا للمسيح ليكون خادما له و قيّما فى البيعة، فيجزونها خيرا و يقولون لها: قديسة

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۸

طاهرة مباركة، هنيئا لك رضى المسيح و ثوابه و يدعو الناس لها و يهنئوها بالثواب، و هناك من المرضعات و الكاملات لمثل أولاد «۱» الزنا هؤلاء جماعة.

و هم يأبون الختان،/ و يخصون الاطفال، و إذا سبوا المسلمين نظروا الى اطفالهم فخصوا منهم القطعان الكبيرة و ألقوهم، فيموت منهم الكثير. و هم يدعون الرأفة و الرحمة و كانوا فى اول الاسلام يحترزون على الاسارى لقوة الاسلام و ضعفهم ليفادوا بهم، فلما ساءت سيرة ملوك الاسلام و قلت مبالاتهم به، و صار يغزوهم مثل على بن حمدان «۲» سيف الدولة، و من بمصر اعداء المسلمين يقبضون اوقاف الثغور، هان المسلمون على الروم، و هم يقولون دولة الاسلام قد زالت منذ نحو ثمانين سنة، و أنت اليوم فى نحو سنة خمس و ثمانين و ثلاثمائة.

ثم عدت الى ذكر سيرة النصارى، و ليس الخصاء من شريعة التوراة و لا إباحة الزنا لتعلم ان الروم ما تنصرت و لا اجابت المسيح، بل النصارى تروّمت و ارتدّت عن دين المسيح و عطلت اصوله و فروعه و صارت الى ديانات اعدائه و هو ما عليه هذه الطوائف الثلاث من النصارى، فعلوا هذا طلبا للرئاسة و عاجل الدنيا كما قد وجدته فى كتبهم و فى إقرارهم مما تقدم ذكره لك.

---

(۱) فى الاصل: هؤلاء أولاد

(۲) على بن حمدان سيف الدولة: يقصد على بن عبد اللّه بن حمدان التغلبى، ابو الحسن، سيف الدولة الحمدانى، كان شجاعا مهذبا عالى الهمة، اجتمع على بابه عدد كبير من شيوخ العلم و الادب و كان له مع الروم وقائع كثيرة. و يظهر ان حملة القاضى عليه لأنه كان على خلاف مع البويهيين الذين كانوا يحكمون مقر الخلافة العباسية و المشرق الاسلامى و كانت له معهم وقائع و حروب أيضا، فالقاضى هنا ينتصر لحكومته و سلطانه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۶۹

و هذا التثليث الذى للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه من ان العقل و العاقل و المعقول تصير شيئا واحدا، و يقولون: هو من المثلث، و هو من فيلسوف قديم «۱». و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة «۲»» و قال كعب بن مالك الانصارى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول:

«ما ذئبان جائعان ارسلا فی زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء علی المال و الشرف لدينه» و قال ابن عمر: قال/ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلم: ما ذئبان ضاريان فی خظيرة وثيقة يأكلان و يفريان «۳» بأسرع هلاكا من حب الشرف و المال فی دين المرء المسلم «۴»».

و مثل صنيع بولص مع الروم فی مساعدتهم علی دينهم و مفارقة دين المسيح صنع مانی القس، و هو رئيس المنانية «۵»، و هذا كان بعد بولص بالدهر الطويل، و كانت له الرئاسة، و صار مطرانا علی النصاری بالعراق فی مملكة الفرس بعد ان كان قسّا، و اختلط بالفرس، و مدح الانوار و ذم الظلام علی ما يذهب إليه المجوس، و مدح زرادشت نبیّ المجوس، و قال: النور اختاره و أرسله

---

(۱) يقصد هرمس المثلث، و كان كتاب الطبقات المسلمون يذكرون ثلاثة اشخاص بهذا الاسم: اولهم هرمس الذی كان قبل الطوفان، و هو اول من تكلم فی الاشياء العلوية من الحركات النجومية و ينسبون له امورا كثيرة، ثم هرمس الثانی: من اهل بابل و كان بارعا فی علم الطب و الفلسفة و طبائع الاعداد و تلميذ فيثاغورس الأرثماطيقی. و أخيرا هرمس الثالث و يسمی أيضا هرمس المثلث الحكمة، و كان فيلسوفا طبيبا و يظهر ان هذا هو المقصود هنا. انظر طبقات الاطباء لابن جلجل ۵- ۱۰، و طبقات الحكماء لابن القفطی ۳۴۶- ۳۴۹، و الفهرست لابن النديم ۵۰۸ تجارية.

(۲) من حديث انس رضی اللّه عنه، اخرجه رزين. انظر تيسير الوصول ۱۱۰

(۳) يفری: يهلك

(۴) رواه الامام احمد بن مسند و الترمذی عن كعب بن مالك باسناد صحيح. المنادی علی الجامع الصغير ۵: ۴۴۵

(۵) سبق التعريف بمانی و المنانية

تثبيت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۰

الی المشرق، و أرسل المسيح الی الغرب. و ذم ابراهيم و إسماعيل و الأنبياء الذين صدقهم المسيح، و كانت الفرس تبرأ منهم، فساعدهم مانی و تقرب إليهم بذمهم و قال: الشيطان ارسلهم، و كان من يكتب: من مانی عبد اليسوع كما كان بولص يكتب، و كان يتشبه به و يقفو اثره. و أخذ الآبستاق و هو كتاب زرادشت نبیّ المجوس «۱»، و هو كتاب ليس بلغة الفرس و لا بلغة من اللغات البتة، و لا يدری احد ما هو و هو الزمرمة، و إنما يحكون لفظه و إن كانوا لا يدرون ما هو. فادعی مانی القس انه قد وقف عليه و علم ما هو، و ادعی مانی انه رسول النور، فوضع لهم جهالات، و قال: هذا تفسير الآبستاق، و استهووا العامة و قامت سوقه فيهم و أطاعوه، و ادعوا له بالمعجزات و الآيات.

فأخذه بعض ملوك الفرس ليمتحنه، و فتش عن احواله، فاذا هو كذاب و ممرق طالب رئاسة يتقرب الی الفرس/ و المجوس بما يهوونه لينفق عليهم مما ليس هو من دين المسيح، فقتله كما فعل ذلك الملك ببولص. و بقی اصحاب مانی بعده يدّعون نبوته و يقررون رسائله و إنجيله، و لعل رسائله تزيد علی السليحين و رسائل بولص، و كثير من هذه الطوائف الثلاث يعتقد مذهبه و ما يكاد يظهره خوفا من النصاری و من المسلمين ممن منهم فی بلاد الاسلام، لأنه لا ذمة المنانية عند المسلمين «۲».

و من سيرتهم ان النساء الديرانيات العابدات و من انقطع الی البيع و العبادة،

---

(۱) فی الاصل علی هامش الصفحة كتب احد قراء التثبيت «الآبستاق كتاب زرادشت»، و قد سبق التعريف بالمجوس و عقيدتهم.

(۲) فی الاصل علی هامش الصفحة كتب احد قراء التثبيت «لا ذمة للمنانية عند المسلمين»، و قد سبق التعريف بهذه النحلة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۱

يطفن علی العزّاب و الرهبان، و يخرجن الی الحصون التی فيها الرجال العزاب يبيحون لهن انفسهن ابتغاء وجه اللّه و الدار الآخرة و الرحمة بالعزاب، و من فعل هذا منهن كان عندهن مشكورا محمودا علی هذا الفعل و يدعا له، و يقال لها: لا ينسی لك المسيح هذه

الرأفة و الرحمة.

و عندهم انه لا يحل للرجل اكثر من امرأة واحدة، و لا يحل له أن يتسرى و لا بطأ بملك اليمين، فإن صادق امرأة أو خادمة لم يكن بذلك بأس و لا عار، و هذا مشهور ببلاد الروم كشهرة الزنا.

و لقد تحدث مصبح الطائى، و أبو عبد اللّه الحسين بن الصقر، و عبد الرحمن صاحب ابن الزيات و غيرهم من الغزاة، و ممن اقام بالقسطنطينية السنين الكثيرة فى الأسر و غير الأسر، فإنهم لطول الشقاء و عدم من بعثت المسلمين فى فداء او غزو، اظهروا النصرانية تقية، و انتشروا بينهم، و اختلطوا بهم.

فحدث من حدث منهم بعض من تنصر من الشجعان بعد الشدة و طول الشقاء، قال: فأعطانى الملك و أجزل و قال لخدمه و أعوانه:/ انظروا لهؤلاء المتنصرة نساء من ذوى اليسار يتزوجون بهن لتحسن احوالهم، فقال رجل منهم:

فلانة قد مات ابوها، و لها ضيعة و مواش و أموال كثيرة نزوجها بهذا، و أشار إلىّ، فزوجونى بها. فاذا هناك جمال و مال كثير فأقمت معها مسرورا ثم ضرب الملك بعثا على جماعة انا منهم ليخرج الى مكان فيه زرع مستحصد يخاف عليه العدو أن يمنعهم منه، و يكون مقامنا اربعين يوما، ثم يأتى بعدنا عسكر يقوم مقامنا و نرجع الى اهلنا. فخرجنا، و أقمنا هذه المدة، ثم جاء العسكر فسألت بعض الواردين عن اهلى و منزلى، فقال لى: قد تزوجت امرأتك بعد خروجك، فاستثبتّ ذلك جيدا ممن ورد فأخبرت بهذا،

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۲

فأخذنى ما اقامنى و أقعدنى؛ فلما رجعت الى البلد عدلت عن منزلى و نزلت سوق الدواب، فسأل اهلى عن الواردين من اهل عسكرنا فأخبروهم بسلامتى و ورودى، فتعرفوا مكانى فإذا أم امرأتى قد جاءتنى و معها موكب عظيم من نساء الجيران عليهن البزة الفاخرة و الحلى، فقالت لى حماتى: ما لك عدلت عن منزلك و أهلك و نزلت هاهنا و نحن نتعرف أخبارك و نشتاقك، فقلت: تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ج۱ ۱۷۲ باب آخر ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسيح، و اختلاف النصارى حول الاناجيل، و تأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اخلاقهم ..... ص : ۱۲۱

ما اصنع بامرأة غبت عنها فتزوجت بعدى، أنا علىّ أن ادخل على الملك و اكسر بحضرته سيفى و أقطع زنارى و أعرفه ما جرى علىّ. فقالت «۱» لى اخطأ من قال هذا، ما تزوجت امرأتك و كيف تتزوج رومية بزوجين، إنما ذلك صديقها، لما غبت جاء و نزل عندها. فلما علمنا بقدومك حمل فراشه و انصرف، و استشهدت بأولئك النسوة و الجيران، فشهدن انه ليس بزوج و إنما هو صديقها، و إذا ليس/ عندهم ان بهذا بأسا و لا عارا. ثم اقبلت حماتى تقول: لى قم الى بيتك فانظر الى المكنوز و النبيذ و ما خلفته تجده لم ينقص بل هو محفوظ موفر، و إذا هى تبشرنى [فيما إذا] «۲» أن صديق امرأتى قد كفانى مؤونتها فى غيبتى و تسرنى بهذا أوتمن به علىّ. و قال اولئك النساء و هن حليلات و أزواج كبار الناس، قم عافاك اللّه الى بيتك، فما هاهنا شىء يكره و لا ينكر، فقمت و حملت اثقالى و صرت الى منزلى و أنا مقيم على امرأتى، و ما اجد شيئا، و زالت الغيرة. ثم قال يا ابا الفتح: ما يدخل احد بلاد الروم إلا و قد طابت نفسه باتخاذ امرأته الأصدقاء، و زال عما كان عليه و امحت الغيرة من قلبه، و زال عن الحمية و ما كان عليه و هو مسلم.

---

(۱) فى الاصل: فقال لى

(۲) هكذا وردت العبارة فى الاصل

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۳

فإن قالوا: مبتدع فى دين النصرانية كما مثل ذلك مبتدع فى الاسلام، قيل له: إن الروم قد كانت قبل التنصر تأكل الخنزير، و تستعمل الخصاء، و تغزو الامم، و تسبى و تقتل و تسترقّ، و ترى فى الزنا ما قد ذكرنا، و تسير السيرة التى وصفنا. و لما تنصرت دامت على تلك السيرة فما زايلتها و لا زالت عنها، فمتى كان هذا الابتداع. و لا فرق بين من ادّعى هذا، و ادعى ان الروم كانت على خلافه و

رجعت إليه لما تنصرت، و من انتهى الى هذا فقد جحد و كابر و ليس مع المكابرة مناظرة.

و مما يحتج به النصارى و هو اكبر شبههم فى دينهم، و أجل ما يلجئون إليه، و هو عمدة الخواص و العوام منهم، ان يقولوا: النصرانية دين صعب ضيق، قد أجابت إليه الأمم الكبيرة و الملوك بلا إكراه و لا سيف و لا قهر و لا غلبة، و ما كانوا ليجيبوا الى ذلك إلا بالآيات و المعجزات التى ظهرت على أيدى/ الدعاة إليها من الرهبان و الرواهب.

قيل له: قد بيّنا و عرف تبديل النصارى لدين المسيح و ميلهم الى ملوك الروم، و قد شرحنا ذلك و عرفناه، فلا نجد إلا النصارى ترومت و لم تتنصر الروم. و أصل طوائفكم هم الروم، فهذا شاف كاف. و لو لم نعلم هذا و كيف الحيلة فيه من اوله الى آخره لما كان يشكل علينا أيضا بطلان هذا الاحتجاج و فساده، و أن اهل هذا الدين لا يظهر اللّه على ايديهم معجزة، و لا ينقض على يد احد منهم عادة؛ كيف و المعجزات لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام و فى زمانهم.

ثم يقال للنصارى: إنكم ادّعيتم الصحة لدينكم بالكثرة و الملوك الذين تدينوا بدينكم، و الكثرة لا تكون دلالة فى صحة الديانة، و إنما يدل على

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۴

صحة الديانة الحجة و البرهان لا غير ذلك، سواء كان اهل ذلك الدين قليلا او كثيرا. و قد كان المسيح و من اتبعه قليلا و الروم و اليهود هم الاكثر و أصحاب الملك، فيدل هذا على قياسكم انه لم يكن له معجزة. ثم يقال لهم:

انتم تدّعون المعجزات و الآيات لرهبانكم و رواهبكم و رؤسائكم فى كل زمان و أنها لا تنقطع و لا ترتفع، و ها انتم قد أجبتم الى هذه الديانة و لم تروا معجزة و لا آية، فكذا من قبلكم قد أجاب على هذه الصفة و فى هذا أتم كفاية لمن أراد الحق.

و هم فى كل حين يجتمعون اذا ارادوا امر تحليل شىء او تحريمه، و يكون لهم فيه سنهودس «۱»، و تفسيره الاجتماع للتقرير، فيفعلون ذلك، فاذا تقادم عهده، قالوا: هذا ما حرّمته تلك الجماعة إلا بظهور آية او معجزة/، أ لا ترى ان الجثلقة و المطرنة «۲» قد كانت جائزة عندهم فيمن له الأهل و الولد، فصار الجثالقة و الرؤساء يجعلون الرئاسة فى اولادهم و يوصون بها فى ذريتهم، فاجتمع النصارى و عقدوا تحريمها فيمن له اهل و ولد و عرف التزويج، فصار ذلك دينا لهم فاجتمعوا عليه و عملوا به من غير آية و لا معجزة.

و قد كان تزويج الأختين بالأخوين مباحا عندهم، فجرى من أختين كانتا عند اخوين عداوة ادت الى معاداة بين الأخوين، فاجتمعوا و حرموا ذلك، و صار لهم دينا يعملون به و ان لم يروا فيه آية و لا معجزة. و قد كان تزويج بنت الأخ عندهم مباحا فجرى فيه نسب استنصر به بعضهم، فاجتمعوا

---

(۱) كتب فى الحاشية: تفسير سنهودس

(۲) الجاثليق بفتح الفاء: رئيس النصارى يكون تحت يد بطريق انطاكية، ثم المطران تحت يده، ثم الاسقف، ثم القسيس، ثم الشماس.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۵

و حرموا ذلك، فصار لهم دينا بغير آية و لا معجزة. و هذا منه ما فعلوه قريبا و فى الاسلام فى دولة بنى العباس. و مثل ما فعل مطران سمرقند فانه حرم على اهلها الفراخ و زعم ان روح القدس تنزل فى هذه الحمامة، فقبلوا ذلك منه و صيروه دينا.

و اذا اختلطت بهم و فتشتهم و دخلت بينهم و لا بست الجثالقة و الرهبان وجدت هناك من الكذب و الجهل و الحرص على الدنيا و طلب الرئاسة و الجمع و المنع أمورا كثيرة، فان الواحد منهم يترهب و ما معه شىء و يصير كلا على غيره، و ما تمر الأيام حتى صار ذا مال كثير حتى ربما مات عن عشرات ألوف، ثم يقال لهم: انتم طوائف كثيرة و بينكم خلاف كبير فى اصل الديانة، تضلل فيه الملكية اليعقوبية، و كذا النسطورية لا ترضى مذاهب الملكية و اليعقوبية، و كل هذه الطوائف تدعى لرهبانها/ و رواهبها و رؤسائها المعجزات و الآيات، و كذا المنانية، فعلى قياسهم الحق فى طائفة واحدة و الباقية كذبت فيما تدعيه لهم.

و قد قال بعض الحكماء هاهنا ديانات و مقالات تعرف كذب اهلها بأدنى تأمل:

منها: النصرانية، فانهم يدعون الآيات لكبرائهم، و انها لا تنقطع فى زمان من الأزمنة، و ان الذين اجابوا الى النصرانية انما اجابوا بالمعجزات، فيقال لهم: أنتم اجبتم إليها و لم تروا آية و لا معجزة.

و منها، اصحاب النجوم، فانهم يمخرقون و يدعون بالاصابات لأوائلهم، فيقولون: حكم جانان لكسرى بالدول و انتقالها، و للملوك فى مواليدها، فما أخطأ فى حرف واحد، و كذا كنكه منجم الهند لملوك الهند، و كذا

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۶

ذوروثيوس لملوك الروم، و بطليموس لملوك القبط «۱». و ربما عملوا بذلك كتبا، و قصدوا الى دول و ممالك قد كانت، و وجدت، و عرفت الحوادث فيها و أعمار ملوكها الخاصة و العامة، فيذكرون الجمل منها و لا يفصحون بأسماء ملوكها، لئلا يعرف فيه كذبهم. فيقرأ هذه الكتب و الدفاتر الغرّ الغافل عن احتيال المحتالين او تقرأ عليه، فيظن ان هذا قد ذكره المنجمون فى سالف العصر قبل ان يكون، فيعتقد فى أحكام النجوم الصدق، و ان اهلها قد تكلموا بعلم. فيقال لهم: إن الكواكب و السماء ما ارتفعت و لا زالت و لا انتقضت، و هى كما كانت، فهاتوا و اخبرونا عما سيكون، او عما قد كان و وجد مما تشاهدونه بعيونكم، و تلمسونه بأيديكم، فإنا نعمد الى دفتر ضخم مكتوب فيه فنقول لحذاقكم: خذوا طوالعكم و أخبرونا/ كم ورقة هو، و كم سطر فى كل ورقة فإنا نجد كذبكم فيه عيانا و حسا، و ما تحتاجون الى الإخبار عن نجم يطلع بعد سنة او عشرين سنة، و تخبرونا عن تلك الحوادث، فإنا قد قربنا الأمر عليكم لتعلموا ان هذه الدعاوى كذب و مخاريق و حيل على الناس، و لتعلموا بكذب أولكم و آخركم.

فإن قالوا: لم تقتصرون منا على العلم بورق هذا الدفتر دون الأسطر و الحروف التى فيه؟ قلنا: إن مثل هذا و أكبر منه قد يصيب فيه الصبيان و الجهال الذين يلعبون بالخاتم و الزوج و الفرد بالاتفاق، فهاتوا ما يتجاوز اصابات الصبيان و الجهال و المجانين ان كنتم صادقين، و ان كان صنعتكم حقا؛ و هذا ما لا سبيل لكم إليه، و فضيحتكم فيه كفضيحة النصارى.

فان قالوا: قد يكون لنا اصابات فى مواليد و مسائل؟ قلنا: قد يكون

---

(۱) انظر ترجمة كنكه الهندى فى الفهرست لابن النديم ص ۳۹۲، و ترجمة ذوروثيوس (فى الاصل ذروسيس) فى الفهرست ص ۳۸۹، و كذا ترجمة بطليموس ص ۳۸۸

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۷

ذلك فى قليل من كثير تخطئون فيه، و فى جمل دون تفصيل، و الذى يأتى به الأنبياء فلا يخطئون فى شىء منه مع كثرته، و الذى يتفق لكم من ذلك كما يتفق للّعّاب الذين ذكرنا، و كما يتفق لأصحاب الفأل و لمن يضرب بالحصا و البعير بالنظر فى الكفّ و بزجر الطائر، و ما يتفق لهؤلاء من الإصابة أكثر من الذى يتفق لكم، و هم فيه أسرع، و أحوالهم فيه أكشف، و كما يتفق لبعض من يلقى الثعلب من السعادة، و لمن يلقى البوم من المحنة، و كما يتفق فى رقى الهند و النصارى و المعزّمين من العافية و الإفاقة، فيدعى اولئك ان هذا انما كان عن رقاهم و عزائمهم، و ان ما هم عليه حقّ، و انهم قد نطقوا/ بعلم.

و منها، اصحاب الطلسمات «۱»، فانهم يمخرقون و يقولون: إن الاسكندر شكا الى أرسطوطاليس بعد الماء عنه و عن عسكره عند لقاء عدوه، فعمل له طلسما سار الماء بمسيره و وقف بوقوفه، و انه قال له و قد ورد على بحر إن تشاغل بعبوره أبطأ عليه وفاته إدراك عدوه، فقال له: أيما احب إليك أيها الملك، ان اعمل طلسما تسير بعسكرك على وجه الماء كما تسير على وجه الارض، او اجمع بين الشيطين لتعبره، فقال: تجمع بين الشطين فانه أقرب فى المسافة، فجمع له بين الشطين فعبر.

و أن غير واحد قد عمل طلسما للقطعان من البقر و الغنم و أمثالها من الحيوان، فتبعته و سارت بمسيره. و أنهم يعملون الطلسمات للبق و العقارب

(۱) الطلسم و الطلسم فی علم السحر: خطوط و اعداد یزعم کاتبها انه یربط بها روحانیات الکواکب العلویة بالطبائع السفلیة لجلب محبوب او دفع أذی، و هو لفظ یونانی، و قد یقصد به الغامض المبهم من الامر.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۸

و الجراد و غیر ذلک، فیصرفونها عن بلد بلد؛ و أن من عرف صنعة النجوم تأتی له ذلک.

فقیل لهم: هذه کلها مخاریق، و إذا اردتم ان تعرفوا کذب اوائلکم فاعرفوه بکذبکم فی زمانکم، فإن الکواکب ما بقیت و لا زالت، فهانوا شیئا من هذا، و فی تعذره علیکم دلالة علی کذبکم و کذب اوائلکم.

فإن قالوا: بلاد حمص لا یکون بها عقرب، و إن دخلت إلیها عقرب ماتت و انما هذا طلسم عمل لها، قلنا: قد بیّنا کذبکم حسا کما بیّنا کذب النصاری و المنجمین، فإن کانت حمص لا یعیش بها عقرب فان هذا من فعل اللّه تبارک و تعالی، قد یمیت بعض الحیوان إذا صار فی بعض الأماکن لتدبیر له عز و جل هو اعلم به، و لمصلحة فیه. أ لا تری ان بلاد الروم لا تکاد تبقی بها الجمال مع حرصهم فی بقائها، حتی قال من لا یعلم: ان هذا لشدة البرد، فقیل له: فبلاد الترک/ أشدّ بردا و بها الجمال، و الأتراک بالری «۱» إذا قطنوا بها فما یکادون یبقون بل یتماوتون، و الاصفهانی إذا أراد السفر الی الری اوصی. و ما هذا الطلسم، و أرض مصر و غیرها من مواضع شتی لا یکاد یکون بها مطر. و ما ذاک الطلسم، و أرض العراق مع کرمها و طیب مائها لا ینبت بها الفلفل، و لا الدار فلفل، و لا العود و لا الزنجبیل و لا الدارصینی، و لا الزعفران، و لا سنبل الطیب، و لا یکون فی انهارهم العنبر.

(۱) الری: بلدة عظیمة فی ذلک الوقت، فتحها المسلمون فی خلافة عمر رضی اللّه عنه، و اصبحت حاضرة اسلامیة فی القرن الرابع الهجری حتی لقد فاقت بغداد نفسها فی کثیر من الاحیان. انظر: ابن الاثیر الکامل ۹: ۲۳۵، السمعانی الانساب ۲۳۲، احسن التقاسیم للمقدسی ۳۸۵- ۳۹۰

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۷۹

او تری هذه الطلسمات وضعت بالعراق و إناث البغال لا تکاد تحمل بل لا تکاد تهیج. أ فتری هذا الطلسم و أودیة العراق لا یکون فیها التمساح، و هو بمصر کثیر. أ فتری هذا الطلسم وضع بالعراق لئلا یکون فیه هذا، او وضع بمصر حتی لا یفارقها. و هذا التمساح فی نیل مصر، و هو فی بعض المواضع بها دون بعض، و بأرض الکوفة و البصرة و واسط و بغداد و سر من رأی و مصر و القیروان، و هذه کلها أمصار اسلامیة، و وضعت فی الاسلام، و خطت فی الاسلام، فحدثت امور کثیرة فی احوال الحیوان ابدع مما یدعونه لحمص و غیرها بلا طلسم.

و المجوس تدّعی ان لهم منتظرا حیا باقیا مهدیا من ولد بشتاسف بن بهراسف یقال له أبشا وثن «۱»، و انه فی حصن عظیم من خراسان و الصین، و معه کثیر، کلهم ثقات امناء اخیار، لا یکذبون و لا یعصون اللّه، و لا یقع منهم خطیئة صغیرة و لا کبیرة، و أن دعوتهم مجابة «۲»، و لهم دلالات و آیات و معجزات، و انهم صاروا الی ذلک المکان عند زمن زرادشت الذی تدعی نبوته، و انهم انوار ساطعة، و انهم من الجمال و الحسن و النظارة علی امر عظیم، و أنهم لا یبکون و لا/ یهرمون و لا یموتون، و أن أبشا وثن لا یحتاج الی اکل و لا الی شرب، و لا یکون منه بول و لا غائط و لا شیء من الأذی. هذا الذی أتیقنه مما قد ذکره أذرباذ بن أمید الموبذ فی وصفه أبشا وثن، انه لا یأکل و لا یشرب و لا یبول و لا یتغوط، فأما اصحابه

(۱) فی الهامش کتب الناسخ ما یلی: «المجوس ینتظرون رجلا من ولد بشتاسف یقال له أبشا وثن.

(۲) نشأت فی ایران فکرة کان لها اثرها فی کثیر من الدیانات هی فکرة المخلص او المهدی الذی سیعود یوما الی العالم لیزیل الشرور

و یحل العدل محل الجور و ینقذ البشر.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۰

فلست اتیقن انه وصفهم بأنهم لا یأکلون و لا یشربون، و یغلب علی ظنی انه قد وصفهم بذلک، فأما العصمة و ان اصحابه بمثابته، فما اشک فیه.

فقیل للمجوس: اذا شئتم ان تعرفوا اول امرکم فاعتبروه بآخره تجدون بطلانه واضحا بینا، کما یجدونه النصاری و المنجمون «۱» و أصحاب الطلسمات.

فإنکم تدّعون ان قوما فی زماننا هذه صفاتهم و أحکامهم، و علیکم فی هذا فضل مزیة فی الباطل، فإنکم امم کبیرة قدیمة تخبرون بکون هؤلاء فی الدنیا معنا و فی زماننا، و انهم یخرجون مع ابشاوثن هذا فیکلمون الارض کلها، و یعیدون المجوسیة و دیانات الفرس و ملکها الذی أزاله الاسلام کما کانت. فقد کان ینبغی إن کان هذا فی الدنیا هاهنا قوم یدعونه ان نعلمه بخبرکم، و فی عدم العلم بذلک دلیل علی انه امر لا اصل له، و ما فی الدنیا انسان یدعی هذا، و لکنه شیء وضعه لکم الواحد و الاثنان و النفر الیسیر، فصدقتموه و احسنتم الظن بهم، و انتشر فیکم، و هو کذب و انتم لا تعلمون انه کذب، کما اصاب النصاری و غیرهم ممن کانت هذه سبیله.

و کذا لمن ادعی ان معنا و فی زماننا إماما معصوما قد أقیم لنا و هو الحجة علینا و علی اهل الارض بأسرهم، قیل لهم: انتم امم کثیرة عظیمة بالعراق و بالشام و بفارس و بمصر و المغرب و الحجاز و الیمن و البحرین و کور الأهواز/ و بالجبال و الدیلم و خراسان و کلکم یخبرنا بأن فی الدنیا رجل هذه سبیله، و یدعو الی نفسه، و کلکم اصحابه و ینتظره و یدعو إلیه. و تصنیف الکتب فی ذلک قد ملأت الدنیا، و نخاصم فی ذلک، فلو کان فی الدنیا انسان هذه

---

(۱) فی الاصل: المنجمین

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۱

سبیله لعلمنا ذلک بخبرکم و بما نسمعه منکم و ان لم نصدقه فیما ادعی، و لم نقبل قوله و لم نر شخصه، و ان لم نسمع کلامه. أ لا تری ان نبینا محمدا «۱» صلّی اللّه علیه و سلم لما ادعی انه رسول اللّه الی الخلق اجمعین و انه الحجة علیهم علم ذلک من دعواه کل من بلغه خبره ممن صدقه او کذبه، و من رآه و من لم یره، و کذا العلم بمسیلمة و ما ادعاه و ان کذبه الناس کلهم. بل لو اخبر جماعة عن امرأة من وراء حجاب بصلاح او طلاح لعلم الناس ذلک بخبرهم اذا کانوا عالمین بما أخبروا، فکیف و انتم امم کثیرة عظیمة قد «۲» طبقت الارض و البر و البحر و السهل و الجبل، تعتقدون ذلک، و تخبرون به، و تدعون إلیه، و تزعمون انکم اصحاب هذا الرجل و اتباعه، فلا یزداد من تأمل و نظر و اعتبر إلا علما بأن لیس فی الدنیا انسان یدعی ذلک و لا یدعو إلیه. فلو نظرتم و انصفتم لعلمتم ان اول امرکم مثل آخره فی الباطل، و ان النبی صلّی اللّه علیه و سلم ما تدین بما تدعون و لا دعا إلیه. لا هو و لا احد من اصحابه.

فإن قیل: فلو قال لکم قائل و أنتم أیضا اول امرکم مثل آخره، إذ لیس فی زمانکم من معه معجزة و لا آیة، فأولکم هذه سبیله ما کان یکون جوابکم؟

قیل له: لا سؤال علینا فی هذا، لأنا نمنع ان یکون مع احد بعد نبینا آیة او معجزة، و ما ندعی انه آیة و معجزة فهو ما علمه کل من سمع الاخبار، و هو هذا القرآن و ما جاء مجیء القرآن، و نقول:/ لا حجة علی الخلق إلا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم وحده، فعرفت الفصل بیننا و بین من ذکرنا.

---

(۱) فی الاصل: محمد

(۲) فی الاصل: فقد

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۲

و جواب آخر، و هو ان کل من سمع اخبار النبی علیه السلام فمن صدقه او کذبه یعلم باضطرار انه کان یدعی النبوة، و یدّعی ان معه آیات و دلالات و معجزات. فان قالت النصاری: نحن اولنا المسیح و هو سلفنا، و أنتم تقرون ان معه آیات و معجزات، فکیف قلتم ان اولنا مثل آخرنا؟

قیل لهم: و من سلم لکم ان المسیح علیه السلام سلفکم، و نحن فقد دفعناکم عن هذا، و بیّنا انکم قد خالفتم المسیح علیه السلام فی أصوله و فروعه، و نقضتم عهوده، و عطلتم وصایاه بیانا لا یمکنکم دفعه، و نحن فما علمنا ان المسیح نبیّ و انه قد کان معه آیات و معجزات بقولکم، و لا بنقلکم، و لا بدعواکم، و انما علمنا ذلک بقول نبینا صلی اللّه علیه، و لکن ادعیتم ان هذه الأمم ما اجابت الی النصرانیة إلا بالآیات و المعجزات التی ظهرت علی بولص و جورجس و أبا مرقس و أمثالهم، و دونتم ذلک فی کتبکم کما دونته المنانیة و المجوس و غیرهم، و ادّعیتم ذلک فی کل زمان، و الناس معکم و یشاهدونکم فلا یرون لذلک اصلا و لا اثرا، و لا یرون إلا السیف و القهر و العسف و ان اول هذا الامر ما کان إلا بالسیف و القهر کما قد بیّنا، و هو قائم باق ما زال و لا حال بل زاد، و نحن فقد وجدناکم نزلتم علی اهل المصیّصة، و عین ذربة، و جزیرة اقریطش، و جزیرة قبرس «۱»، و جزیرة أرواد، و الثغور

---

(۱) فی الاصل: قفرس، اما عین ذربه فقد اثبتها یاقوت بالالف المقصورة ذربی و قال:

بلد بالثغر من نواحی المصصیة، و المصصیة و طرسوس من ثغور الشام بین انطاکیة و بلاد الروم.

اما أقریطش (کریت) فهی جزیرة بالبحر المتوسط، اول من غزاها من المسلمین معاویة ثم فتح قسما منها الولید بن عبد الملک و تم فتحها بأمر المأمون الخلیفة العباسی. و ارواد جزیرة صغیرة فی البحر المتوسط مقابل طرطوس من سوریا. و سمیطاط او سمیساط مدینة علی شاطئ الفرات فی طرف بلاد الروم علی غربی الفرات. و حصن منصور من اعمال دیار مضر غربی الفرات قرب سمیساط. و سیمون او سیمان نهر کبیر بالثغر من نواحی المصصیة قرب انطاکیة.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۳

الشامیة، و الثغور الجزیریة، و ثغور ارمینیة، و أذربیجان، و ما یکثر احصاؤه/، و ما قد قدره اهل الخبرة الی هذه الغایة، و مقداره الف فرسخ منائر، و عمارته متصلة و مقدار السبی و الأسر نحو عشرین الف الف انسان، لا یقرون علی الاسلام، بل یدخلون فی النصرانیة کرها، بالرهبة و الرغبة، و کذا من دخل فی ذلک من البرغر و البرجان کله بالإکراه و السیف، و إن طالت مدته، و تناسی الناس کیف جری ذلک.

و ادّعیتم أن هؤلاء انما دخلوا فی النصرانیة بالآیات و المعجزات، و أن البطرک وافی من بلاد الروم، فنزل و جنده و علیه الجوذبا و الکتین و الودار و علی رأسه القبع و فی یده الکرار، فأقام موتاهم من المقابر، فقاموا بأسرهم من تلقاء انفسهم و صاروا الی بلاد الروم. و وافی میخائیل الراهب الی اهل المصیصة فقلب سیحون زیتا، و جعل اغنامهم کلها خیلا فقاموا کلهم من تلقاء انفسهم فقبّلوا الصلیب، و صاروا الی بلاد الروم. و کذا اهل سمیصاط و حصن منصور، فلیس عندهم فی الکذب و البهت شیء، و هم قوم یکذب لهم رؤساؤهم فیقبلون ذلک الکذب عنهم، و قلّ مصر من هذه الأمصار و ثغر من هذه الثغور إلا و قد ترددت إلیه ملوک الروم السنین الکثیرة، و نزلوا علیه الأعوام المتوالیة، و رعوا زروعهم و حصروهم و منعوهم الأقوات، حتی اکلوا الکلاب و السنانیر و المیتة، و قتلوهم جوعا و عطشا، و قتلوا مقاتلتهم، و سبوا ذریتهم، و قادوهم بالسلاسل و الحبال، و أنزلوا بهم من المکاره ما یطول شرحه، و کذا امرهم من اوله الی آخره. و لیس/ سیف حمل بباطل فی جمیع الأزمان مثل سیف النصرانیة کما قد بیّنا ذلک، و حیث لا یکون لهم ملک و لا سیف فإن من أسلم منهم یمنعونه اهله، و یبطلون دیونه، و یذمونه بکل فاحشة، و یسعون فی کل ما یقدرون علیه

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۴

من مکارهه و اضراره، و هذا أیضا ضرب من الاکراه.

ثم یقال لهم: هذه المنانیة قد غلبت علی المشرق، و لیس معهم سیف و لا مال، و یدّعون ان دینهم اضیق الادیان و أصعبها، و أنهم لا یأکلون اللحوم و لا یؤذون شیئا من الحیوان، و لا یأکلون إلا ما انبتته الارض. و عبادتهم من الصوم و الصلاة کثیرة عظیمة، و لا یدخرون الأموال، و یدّعون ان المعجزات اضطرتهم الی هذا الدین، و هم یدّعون ان المستبصرین من رهبانکم و رؤسائکم منهم، و یدعون هرابذة المجوس «۱». قالوا: و لکن لیس لنا عند المسلمین ذمة کما للیهود و النصاری و المجوس، و متی أظهرنا لهؤلاء دیننا قتلونا، قالوا: و کذا یصنع بنا ملوک الروم. و یذکرون من آیات مانی و معجزاته انه کان نورا خالصا کله و أنه لم یکن له فی الشمس ظل، و أن الملائکة کانت تأتیه و تحتمله حتی تصعد به الی الشمس فیصیر فیها، و أصحابه یشاهدونه، و أنهم نقلوا ذلک الجمهور عن الجمهور، و الجماعات عن الجماعات، و یدّعون لأتباعه المعجزات، و یدّعون مع ذلک انهم اصحاب المسیح و علی دین المسیح، و أن الانجیل الذی معهم هو الحق دون ما معکم، فینبغی ان یکونوا علی قیاسکم محقین، و أن ذلک انما تم لهم بآیات و معجزات کما ادّعیتم ذلک، و لهم کتب مدونة فی آیاته و معجزاته، و لعلها/ اکثر من السلیحین الذی لکم، و من الآیات التی تضیفونها الی جمیع من دعا الی النصرانیة، مذ کانت النصرانیة.

و هذه الهند، و هی امم عظیمة لعلها تزید علی امم النصاری «۲»، و لهم

---

(۱) کتب المعلق علی هامش الکتاب: هرابذة المجوس.

(۲) فی الاصل: للنصاری

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۵

العقول و الحکم التی لا تکاد تدانیها عقول الارمن و الروم، یعبدون البددة قبل تنصر الروم بالدهور الکثیرة، و لیس یدعون الناس باتباعهم لا بسیف و لا برغبة و لا بالرهبة، و من دخل فیه لم یمنعوه، و هم یدّعون ان اصنامهم تکلمهم و تأمرهم و تنهاهم، و تبدرهم بالأمور قبل کونها، و تأتیهم بالأمطار و ما یسألونها من الرخاء و النعم، و تدفع عنهم السوء، و تشفی مرضاهم، و یحملون زمناهم علی الجنائز الی سوق الاصنام فینقهون و یرجعون علی اقدامهم، و یدّعون انها تحیی الموتی، و لهم رقی یدعون انها تشفی و تحیی، فینبغی ان یکون هؤلاء محقین صادقین.

و المجوس تدعی لزرادشت من المعجزات و الآیات اکثر مما یدعیه النصاری لمن دعاهم الی النصرانیة، و یقولون: نحن لا نکره احدا علی الدخول فی دیننا و لا نرغبه فیه، و هو دین خصنا اللّه به، فمن دخل فیه لم نمنعه، و إنما نقاتل و نحمل السیف علی الامم لتأدیة الخراج و الدخول فی الطاعة فقط، فأما لأجل الدین فلا نحارب. و عقول الفرس و حکمتها و تحصیلها قد عرفه الناس، و کثرة وسع ممالکها فوق ممالک الروم بطبقات، فینبغی علی قیاسکم ان یکونوا محقین و صادقین.

فان قلتم لهم: لکم ملوک عتاة جبابرة هم ادخلوکم بالقهر و السیف و الرغبة و الرهبة فی هذا الدین، قالوا لکم: أما الدین فما تعرضوا لإدخال الناس فیه و لا/ اشتغلوا به، و إنما کان أخذهم للناس بالسمع و الطاعة و الخضوع للملک، و هذا معروف.

و العیان و الموجود من دین النصرانیة و ما علیه هذه الطوائف لهم القهر و الغلبة و السیف مذ کانت الی هذه الغایة، و ما هاهنا سیف حمل بباطل إلا

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۶

سیف النصرانیة من اول امرها الی هذه الغایة.

و قد دعا واحد من الیهود الخزر و هم امم کثیرة فأجابوه و دخلوا فی دینه عن قرب، و فی ایام بنی العباس و دولتهم، و لو أراد مرید ان

يدعى انهم إنما اجابوا إلا بالآيات و المعجزات كما يدعى النصارى لمن تنصر لأمكنه ذلك و كان اولى بالشغب من النصارى، فإن هذا رجل واحد قصد الى ملك عظيم الشأن، و الى قوم اولى بأس شديد، فأجابوه بلا غلبة و لا سيف، و تحملوا ما فى شريعة التوراة من الشدة بالختان و الوضوء و غسل الجنابة و تحريم الأعمال فى السبت و الأعياد، و تحريم ما فى هذه الشريعة من الحيوان، الى غير ذلك.

و لعل اليهود تدعى لهذا الداعى الآيات و المعجزات، فمنهم من يجيزها للصالحين منهم و هذا اولى بالشبه مما تدعيه النصارى، و لكن النصارى اكذب و أشد جرأة على ادعاء ما لم يكن.

ثم يقال للنصارى: ادعيتم لدينكم الضيق و الصعوبة، و قلتم: هذا أحد الادلة على صحته و على ان الامم لم تقبله و لم تدخل فيه إلا بالآيات، فقد عرفنا من قولهم فى الآيات، و لو كان ضيقا صعبا شديدا لما دل ذلك على صحته فإن دعواهم هذه كدعواهم المعجزات./ و ليس يدل على صحة الدين ضيقه و صعوبته، بل ربما احتال الممخرق و المبطل على صحة ما يدعو إليه بالتصوف و التقشف و كثرة العبادة و المضايقة فيما يدعو إليه الى ان يتمكن، ثم يظهر مساوئه، و يكون ذلك له شبهة على من يرى ذلك و يسمعه، و النفوس ترحم المتصوف و المتقشف المواصل الصلاة و الصيام و إن كان مبطلا، و يحسن ظنهم فيه، و يسرعون الى القبول منه قبل النظر فى حاله، و يكتفون بما يظهر منه عن البحث عن حاله، و فى النظر و البحث شدة و مشقة، و تنفر نفوسهم عن

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۷

حامل السيف و إن كان محقا.

و على ان ديانات المنانيّة اضيق من ديانات النصرانية لأنهم يحرمون اكل جميع الحيوان و ركوبه و أذيته بكل وجه، حتى انهم يحرمون قتل السباع و الحيات و العقارب و يصبرون على أذيتها و يحرمون ادخار الاموال، و يوجبون من الصوم و الصلاة اكثر مما توجبه النصارى، و يحرمون المناكح كلها و لذات النفوس، فينبغى ان يكون دين هؤلاء هو اصح من النصرانية بألف طبقة.

و الهند لها عبادات كثيرة و زهد عظيم، لا يدانيه ما يفعله أزهد رهبان النصارى. [و الهند لها عبادات كثيرة] «۱» و توجب فى دينها قتل انفسها، و تحرق انفسها بالنيران و هم احياء، و اذا مات رئيسهم احرقوه و احرقوا معه احبابه و اصدقاءه و خاصته و زوجته، يفعل ذلك بها ابوها و امها و اهلها، و ليس فى دين النصرانية شىء من هذا، فينبغى ان يكون دين المنانية هذا «۲» اصح من مذاهب هذه الطوائف النصرانية/.

على انا لا نعرف دينا اوسع و لا ارخص و لا أسهل من دين النصارى، إذ ليس فيه زاجر مخوف كالحدود المكتوبة، و لا النار، و لا عذاب الآخرة، و ان اشد العذاب فى الآخرة ان المعاند الذى قد عرف الحق و تركه، يلحقه غمّ مدة ثم ينجلى و ينقضى، فأما من لم يعاند، و ان اخطأ، و ان كان مع اعتقاده مخالفا لدين النصارى فليس عليه خوف و لا عقاب، اذا كانت نيته سليمة و اعتقد الشىء على انه حق و ان كان باطلا. و اما النصارى فليس

---

(۱) لعل العبارة مكررة من الناسخ

(۲) فى الاصل: و هذا، و لعل السياق يقتضى حذف الواو.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۸

عليهم خوف، و لا يؤخذون بذنب من الذنوب، و قالوا لأن الرب الذى هو الأب «۱» انما ارسل ابنه ليصلب و يقتل ليحمل خطايانا و يغفر ذنوبنا. فليس دين يغرى بالقبيح، و يبعث على ارتكاب الفواحش، و يهيج على الفساد اكثر من دين النصرانية، و هم يدعون فيه الضيق قحة منهم و مباهتة، و هو كما ترى، و انما يدّعون لأهله و لمن دعا إليه المعجزات لأنه ليس فيه حجة و لا على صحته دلالة.

ثم نقول للنصارى: أ عندكم ان من حمل السيف كان مبطلا؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: فالمسيح اول المبطلين، لأنه «۲» عندكم ارسل موسى

عليه السلام و غيره من الأنبياء بالسيف و قتل الرجال و النساء المخالفين له، و احلّ له فى بعض الحروب قتل الرجال و كل امرأة ضاجعت رجلا- و استبقاء الأبكار، و احل له الغنائم و اخذ الاموال و دفعها الى بنى اسرائيل، و كذا سائر الأنبياء الذين تتولونهم و تقولون إنهم على الحق، الى ان جاء المسيح و ظهر للناس/، و قال: ما جئت مخالفا لموسى و لا للتوراة و انما جئت متمما، و لأن تسقط السماء على الارض ايسر عند اللّه من ان يحلّ شيء مما عقده موسى، و من حل و لوالدى هو، و اخذ من ناموس موسى يدعى ناقصا فى ملكوت السماء «۳».

ثم ليس عند هؤلاء اخذ الجزية ممن ملكوه و قدروا عليه و لا إقراره على

---

(۱) فى الاصل: الابن

(۲) فى الاصل: لأنهم

(۳) جاء فى انجيل متى الاصحاح الخامس فقرة ۱۷ و ما بعدها: «لا- تظنوا انى جئت لأنقض الناموس او الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فانى الحق أقول لكم الى ان تزول السماء و الارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى و علم الناس هكذا يدعى اصغر فى ملكوت السماء».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۸۹

دينه، و ليس إلا الإجابة الى الدين او القتل، و هذا اعظم و أشد و أغلظ من دين الاسلام و شريعته.

و نراكم تدعون للمسيح الرأفة و الرحمة، و تنزيهه عن فعل الألم و الشدائد و المضار و الهموم، و هو عندكم قد شرع التوراة و احكامها و حدودها، و غرق اهل الارض فى طوفان نوح، و عندكم ان هذا الموت و الجذام و البرص و العمى و الصمم و إنزال الجرب و الاسقام و انواع الألم بالبهائم التى ما عصت من فعله، ثم اباح ذبحها و اكل لحومها و إيلامها بالكد و الركوب و الحمل عليها الى غير ذلك مما قد فعلوه، فأين الرأفة و الرحمة، و أين هذا ما أباحه نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلم من قتل من كفر باللّه و افسد فى الارض، هذا و لو «۱» كنتم ترون المسيح نبيا مرسلا لما وجب ان تعيبوا حمله السيف لأنه قد جاء و صوب حمل الأنبياء قبله للسيف، و اباحة الحيوان، و ان الامراض و الاسقام من اللّه و من قبل اللّه، فكيف و انتم [تدعون ان الفاعل لذلك جميعه هو المسيح] «۲» فما سمع بقوم هم اجهل و أوقح و أبهت من النصارى، إذ هذا قولهم و هم يعيبون حمل محمد صلّى اللّه عليه و سلم السيف على من كفر باللّه و عبد الاوثان و الكواكب و النيران من دون اللّه و كذب بهم/ و بهتهم اكثر من هذا. فإن قالوا: إن هؤلاء الأنبياء حملوا السيف بأمر اللّه، قيل لهم: فقد بطل ان يكون حمل السيف باطلا من كل وجه على ما ذهبتم إليه، و وجب ان يراعى حامله، فإن كان قد حمله بحجة كان محقا. فينبغى ان ينظروا فى اعلام محمد صلّى اللّه عليه و سلم و معجزاته و آياته،

---

(۱) فى الاصل: لو، و قد أضفنا الواو لما يتطلبه سياق الكلام.

(۲) وردت هذه العبارة فى الاصل على النحو التالى: «تدعون انه هو الفاعل لذلك جميعه المسيح له».

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۰

و يعلموا «۱» انه مثل من تقدمه من الأنبياء.

و تدعون التصوف و التقشف و طول الصيام و الصلاة، و النهى عن حمل السيف. و ليس فى دين النصارى و المنانية و الديصانية و اشباههم حجة، فهم يخدعون الناس بلبس الصوف و إظهار الزهد.

و مثل هذا من جهلهم و مخاريقهم انهم يعيبون محمدا صلّى اللّه عليه و سلم باتخاذه النساء، و هم يعلمون ان آدم و نوحا و ابراهيم و لوطا و إسحاق و يعقوب و الأسباط و موسى و هرون و داود و يوشع و غيرهم ممن يقولون بنبوته و يشهدون بصواب مذهبه، قد

اتخذوا من الازواج و السرارى مثل ما اتخذ هؤلاء، بل فيهم من قد اتخذ فى ذلك اضعافا مضاعفة كما كان لداود و أمثاله. و الروم هم اصل النصرانية و لكنهم لم يجدوا فى رسول صلّى اللّه عليه و سلم مغمزا فعابوه بحمل السيف و اتخاذ الأزواج، و هم يعيبون هذا منه صلى اللّه عليه و يدعون ان اللّه قد اتخذ مريم اما لولده و اتخذ الولد لنفسه و ان لم يسموا «۲» مريم زوجة.

و من عجيب ديانتهم، ان المذنب منهم يقول للقس و الراهب: اعمل لى مغفرة و توبة و تحمل ذنوبى، و يجعل له على ذلك جعالة على مقداره فى الغنى و الفقر، فيبسط القس كساءه و يأخذ الجعالة ثم يقول للمذنب: هات الآن و اذكر لى ذنوبك/ ذنبا ذنبا حتى اعرفها و أتحملها. فيبتدئ ذلك المذنب رجلا كان او امرأة ملكا او سوقة فيذكر ما قد فعله شيئا شيئا، حتى يقول: هذه هى كلها، فيقول له القس: انها عظيمة و لكن قد تحملتها

---

(۱) فى الاصل: و يعلمون

(۲) فى الاصل: يسمون

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۱

و غفرت لك، فأبشر. و ربما جمع الكساء من اطرافه و وضعه على ظهره و قال: ما اثقل ما فى هذا الكساء من الذنوب.

و من المأثور عنهم و الشائع عليهم ان المرأة تقرّ عند القس بذنوبها، فتقول: أصابنى رجل فى يوم كذا فيستفهمها كم مرة فتقول: كذا و كذا، فيقول لها: اخبرينى هذا الرجل نصرانى او مسلم، فربما قالت: مسلم، فيستعظم هذا، و يستزيدها فى الجعالة، فان زادته، و إلا غضب و انطلق و هو يقول: قد زنى بها المسلمون و تريد ان اغفر لها و إنما اعطتنى كذا و كذا، فتردّه و تزيده و ترضيه.

هذا من دينهم الذى يدعون ضيقه، و يدعون انه على دين المسيح، و هذا لا يجوز ان يكون دينا له صلى اللّه عليه.

و قد قيل لبعض قسوسهم ما هذا من التوبة؟ فقال: و ما وجه تركنا لهم لا نسألهم عن ذنوبهم و نطعمهم فى غفرانها، فإنا لو لم نفعل ذلك و نأخذ المال منهم لافتقرت البيع.

و قلّ ما تجد منهم من يخاف عذاب الآخرة، لأنهم يعتقدون ان المسيح إنما قتل نفسه ليقيهم من الذنوب و العذاب، و أنه جالس على يمين ابيه، و أمه جالسة مما يلى يساره فهى تتلقى الذنوب اذا طلعت و تقول لابنها: سل يا بنىّ أباك الرب غفرانها، فهو عندهم يغفرها و يسأل أباه غفرانها.

و الملوك بمصر و الشام و العراق و الجزيرة و فارس و ما و الى ذلك يعوّلون على النصارى فى الكتابة و الوزارة و الجهبذة. فلهم الرئاسة على المسلمين، يجبون اموالهم و يأخذونها منهم بالضرائب/ الموضوعة على كل شىء مما لم ينزل اللّه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۲

به سلطانا، فيذلون بها الاسلام، و ينفقونها فى مكاره المسلمين.

و للفرس أيضا مثل هذه الفضائح التى تقدمت للنصارى، و هو ان زرادشت قد شرع لهم تطهير الحائض و النفساء و التى قد مات جنينها فى بطنها ببول البقر «۱» يتولى ذلك منها الهربذ بعد ان يجردها و يعريها، و يباشر ذلك منها بيده و رأى عينيه، فيبركها و يغسل ذلك المكان بيده، و ربما جزعها منه جزعا و اخذ على ذلك الجعالة على مقدارها. و اول ما يأخذ الخلعة التى عليها اذا جردها للتطهير، و اقل ما يأخذ على افقر فقير اربعة مثاقل فضة. و زعم الفرس و المجوس انه كان يرتفع لموبذان موبذ فى ايام ملكهم من هذا الوجه اربعة ألف ألف دينار ينفقها على الهرابذة، و شرع لهم بالإنجاب على زوج المرأة اذا غاب عن امرأته او عجز عن بضاعها، ان يوكل فى نيكها من يختاره من أصدقائه و ثقاته و رفقائه.

و لم نكن فى الرد على المجوس و لا النصارى، إنما قصدنا البيان انهم مخالفون للمسيح و دينه فى الأصول و الفروع.

فهذا يرحمك اللّه اصل مذهب النصرانية، و مذهب القراء و الزهاد منهم.

فأما اهل الجدل و النظر و من يتجرد فی نصرة النصرانية و يضيف الكتب فی ذلك فكلهم ملحدة و زنادقة، و يكذبون المسيح و جميع الأنبياء عليهم السلام، و يستجهل الشرائع و من يعمل بها فلا تكاد تجد فيهم إلا من هذه سبيله، مثل: قسطا بن لوقا، و حنين بن إسحاق، و ابنه إسحاق، و قويری، و متی الجرمقانی و هو المكنی ابو بشر بن يونس الذی فسر كتب الملحدة،

---

(۱) كتب المعلق فی الهامش: «تطهير الحائض و النفساء ببول البقر فی شرع المجوس».

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۳

و هلك فی سنّی نيف و عشرين و ثلاثمائة، و بعده يحيی بن عدی، و عنه اخذ هؤلاء الملحدة «۱»/ الذين فی زمانك، و مذهبهم لا يقوم بالجدل.

و اذا قيل لهم: قالوا: حجتنا فی ذلك علی لسان أرسطاطالس و من قوله و من أصوله، و أرسطاطالس لا يؤمن بكتاب و لا نبی و لا شريعة، و ينكر فلق البحار، و انقلاب العصا حية، و إحياء الموتی، و ولادة مريم من غير ذكر.

و يری ان التصديق بذلك جهل و حمق و قلة عقل. فانظر من أولی بقلة العقل، هو او من يجعله حجه لدينه و يأخذ عنه، فما بعد هذا فی فضيحتهم شیء.

فاعرف هذا من طريقتهم، فقد تبين لك ان ديانات هؤلاء النصاری خلاف ديانات المسيح و وصاياه و عهوده، و علمت علم محمد صلّی اللّه عليه و سلم بذلك، و ان علمه به من قبل اللّه، و انه من معجزاته.

و النصاری تقول: لعمری إن المسيح ما عمل طول حياته بشیء مما نحن عليه، و كذا تلاميذه من بعده فما لزموا شريعة التوراة و لكن من أتی بعدهم نقلونا و قالوا لنا قد قال المسيح: اعملوا بعدی بما ترون، قلنا: قد صدقتموهم فی دعاويهم و هم قد جاءوا بالرئاسة عليكم و التحكم فيكم و فی أموالكم.

فإن قالوا: إننا لم نقبل منهم إلا بالمعجزات، فقد فرغنا منها و بيّنا كيف كان الأصل من قسطنطينوس بين هيلانة «۲» و بيّنا ان المسيح و صاهم بشريعة

---

(۱) كتب المعلق فی الحاشية: «الذين يكذبون المسيح و جميع الأنبياء عليهم السلام، و يستجهلون الشرائع مثل قسطا بن لوقا».

(۲) فی الاصل رسمت هيلانية، اما قسطنطينوس فقد رسمت فی الاصل علی النحو التالی:

قسطنيطوس.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۴

موسی عليه السلام، و ان يعملوا بما رأوه يعمل طول حياته بما قدمناه؛ من تجريد التوحيد، و تنزيه اللّه عز و جل، و بإقامة الشريعة كما بينا.

و حديث انتقالهم فی كتابهم المعروف بأفراسكس و فی السنهودس الذی لهم، و انما هم ينهون من لا يعرف، و يقولون: نحن علی شريعة المسيح، فإذا وافقهم العارف بذلك، قالوا: قد انتقلنا بالآيات و المعجزات، فإذا/ عرفهم حال قسطنطينوس بن هيلانة و ما فعله و جميع هذا الذی بيناه، قالوا:

نهينا عن الجدل و البحث و التفتيش.

و من عجيب أمورهم ان معهم و فيما حفظوه عن المسيح انه عليه السلام قال لهم: انكم تأتونی يوم القيامة، و ليحشرنّ إلیّ سكان الارض فيقومون عن يمينی و شمالی، فأقول لأبناء الشمال: لقد كنت جائعا فما أطعمتمونی، و عريانا فما كسوتمونی، و مريضا فما عدتمونی و لا داويتمونی، و محبوسا فما زرتمونی، فيكون من جوابهم ان يقولوا لی: متی كنت يا سيدنا مريضا او عريانا او جائعا او

محبوسا؟ أ لم نكن باسمك نتنبأ، و باسمك نشفى المرضى و نقيم الزمنى، و باسمك نطعم الجياع، و نكسو العراة، و نداوى المرضى، و باسمك نأكل و نشرب؟ فأقول لهم: قد كنتم تذكرون اسمى و لا تشهدون علىّ بالحق، ابعدوا عنى يا عاملى الإثم. ثم اقول لأبناء اليمين: هلمّ أيها الصالحون الى رحمة اللّه و الى الحياة الدائمة، و ليس هاهنا من يطعم و يكسو او يداوى المرضى و يأكل و يشرب باسم المسيح و يفعل ذلك للمسيح إلا هؤلاء الطوائف من النصارى. فهذا نصّ واضح ببراءته منهم، و عداوته لهم.

و الروم تأكل الخنزير و جميع الحيوان و ذبائح الناس كلهم، فتبعوا الروم فى هذا كما تبعوهم فى غيره. فاذا قيل لهم فى ذلك، قالوا: إن شمعون الصفا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۵

رأى فى المنام، و اذا ثوب مربوط بأربعة اطرافه و هو ينزل من السماء الى الارض، فيه كل الدواب ذوات الاربع القوائم و زخارف الارض، و طير السماء، و حيوان الماء. و سمع صوتا يقول: قم يا شمعون، قم اذبح و كل، فقال شمعون: حاشا لى يا رب، فإنى منذ قط لم آكل شيئا نجسا، فعاد الصوت/ المرة الثانية يقول له: لا تنجس ما طهره اللّه. و هذا عندهم رآه شمعون بعد موت المسيح و رفعه.

قلنا: فقد شهد شمعون ان هذا مما حرمه المسيح و نجسه، فقد اكد فضيحتكم اذ هو ما جاء الا بالتمام لا بالتغيير و النسخ.

و العجب ان معهم فى أشعيا النبى «۱»، أن شر الأمم و أنجس الأمم و أخبث الأمم، هذه الأمة ذات القلفة، الآكلة للخنزير، و كل البهائم. و هذا هو صفتهم.

و فى النصارى من يزيد فى الكذب و المخرقة و يقول: انما قتل اليهود المسيح لأنه أحيا الموتى و أقام الزمنى «۲» فى يوم السبت، و هذا دليل على انه أحل السبت، و نسخ ما فى التوراة.

قلنا: قد بينا ما فى الأناجيل و فى أفراسكس من وصايا المسيح بالتوراة، و ما عمله، مما فيه بطلان هذه الدعاوى.

---

(۱) فى الاصل: شعيا بدون ألف

(۲) جمع زمين: و هو المريض الميئوس من شفائه.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۶

و مما يزيد فى البيان عن كذبهم قول متى فى انجيله: «ان المسيح كان يتمشى بين الزروع يوم السبت، و كان تلامذته قد جاعوا، فجعلوا يفركون السنبل و يأكلون، فلما رأى الأحبار ذلك قالوا له: إن تلاميذك هو ذا يفعلون ما لا يحل لهم فعله فى السبت، فقال المسيح: فما قرأتم ما صنع داود إذ جاع، كيف دخل بيت اللّه و أكل من خبز مائدة الرب الذى لم يكن يحل له أكله، ما خلا الكهنة فقط.

و قال لهم أيضا: «و ما قرأتم فى التوراة ان الكهنة فى الهيكل يحلّون الهيكل و ليس عليهم لوم». فانظر كيف بيّن ان هؤلاء ما حلّوا «۱» السبت و لا ما فى التوراة، و أنهم انما عملوا بما يحل فى التوراة، و لكنكم انتم جهلتم، فلو كان قد نسخها لقال/ لهم: انما فركوا السنبل فى السبت لأن اللّه قد نسخ ذلك على يدى، و لم يحتج الى تبيين حال الاضطرار.

و ذكر متى فى انجيله ان المسيح لما أبرأ الرجل الأمثال قالت له اليهود:

هل يحل الإبراء فى السبت؟ فقال لهم: اذا وقع لأحدكم كبش فى البئر أ ما تستخرجونه، فالانسان أفضل من الكبش، و أنه قد يجوز أن يفعل الفعل الجميل فى السبت، فلو كان حل السبت لقال ذلك و أظهره و لم يحتج، و قد قال لوقا فى انجيله: ان المسيح كان يعلّم فى يوم السبت فى بعض الكنائس، و كان هناك امرأة بها مرض منذ ثمانية عشر سنة، و كانت منحنية، و لم تك تستطيع ان تبسط قامتها، فلما رآها المسيح قال لها: ايتها المرأة قد أطلقت من مرضك، فعوفيت من ساعتها. فقال رئيس اليهود: إن الايام التى يجوز فيها العمل ستة ايام ففيها تعالجون لا فى السبت، فقال له المسيح: أ ما يطلق

(۱) هکذا فی الاصل، و لعلها أحلوا.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۷

احدکم ثوره او حماره عن المعلف فی یوم السبت و یذهب به و یسقیه الماء، فهذه التی هی بنت ابراهیم علیه السلام، و قد ربطها للشیطان منذ ثمانیة عشر سنة لا یجب ان تطلق عن الأسر. فلو کان کما قال هذا الکذاب، لقال:

السبت منسوخ، و کل الاعمال فیه جائزة مباحة.

و ذکر متی فی انجیله: ان المسیح خبّر ببلاء ینزل بأصحابه و جلاء، ثم قال لهم: صلّوا للّه و ارغبوا إلیه ان لا یکون هربکم و جلاؤکم فی یوم السبت و لا فی الشتاء. و هذا قاله لهم عند فراقه إیاهم و وداعه لهم، لتعلم تأکیده لإقامة السبت من بعده و التمسک بشرائع التوراة، و انما امرهم مسألة/ اللّه ألا یکون هربهم فی یوم السبت، لأنه لا یحل لهم ان یحملوا فی یوم السبت شیئا من امتعتهم و أموالهم، و انما یحل النجاة بالنفس لا غیر. و کل هذا بیّن رفض النصاری لدین المسیح.

و اذا قیل لهم: لم تصلّون الی المشرق و قد علمتم ان المسیح لم یزل یصلی الی بیت المقدس الی ان خرج من الدنیا، و انما المشرق قبلة الروم؟ قالوا:

لأن اللّه خاطب الأنبیاء من قبل المشرق، و بعضهم یقول: ان المسیح لما صلب أمال وجهه الی المشرق فلهذا صلینا الی المشرق، فقیل لهم: فمن أعلم بالمصالح أنتم أم المسیح، و قد علمتم و تیقنتم انه ما صلی الی المشرق، و لکنکم صرتم الی دیانات الروم و فارقتم دین المسیح.

و فی الانجیل سألته السامریة: اری انک نبیّ أنت، آباؤنا انما سجدوا فی هذا الجبل، و أنتم تقولون: إن الموضع الذی یجب السجود فیه انما هو اورشلیم قال لها یسوع: ایتها المرأة «۱» صدقت «۲»، أما [إن] «۳» بین اتباعه [من] «۴» لا

(۱) فی الاصل: الامرأة

(۲) فی الاصل: صدقتی

(۳) زیادة علی الاصل یقتضیها السیاق

(۴) زیادة علی الاصل یقتضیها السیاق

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۸

یسجدون للرب لا فی هذا الجبل و لا فی اورشلیم.

فانظر الی الافصاح و البیان فی هذا، ان المسیح إنما کان یصلّی الی اورشلیم و هو بیت المقدس، لیعلم انهم خالفوا ما کان علیه.

و قد ذکرت لک انه ما قصدنا بیان فساد النصرانیة، إنما قصدنا البیان عن مفارقتهم لدین المسیح و مخالفتهم له فی الاصول و الفروع جمیعا مع شدة تحققهم به، و أن علم محمد صلّی اللّه علیه و سلم بذلک انما هو من قبل اللّه عز و جل، و أن ذلک من معجزاته و آیاته و إن کان قد اتفق من حکایات اقوالهم و الرد علیهم ما لا یکاد یوجد فی کتاب، سیما حکایة تسابیحهم و أقاویل رؤسائهم.

فاحتفظ بذلک فانک لا تکاد تجده/ فی کتاب، و بک الی حفظه امس الحاجة.

فأما المسألة لهم و الرد علیهم فکثیر.

فمن ذلک، کتاب الجاحظ، و کتاب آخر له یعرف بالرسالة العسلیة، و لأبی جعفر الاسکافی، و لأبی بکر احمد بن علی بن الإخشید قطعة حسنة فی کتاب المعونة. و لأبی عیسی الوراق کتاب علیهم، و لأبی علی کتاب علیهم، و لأبی هاشم مسألة فی البغدادیات، و فی أصول ابن خلاد و فی شرحه، و فی الایضاح لأبی عبد اللّه البصری، رحمة اللّه علیهم اجمعین، کلام علیهم «۱».

(۱) ابو بکر الاخشید احد رجال الفکر الذین أیدوا المعتزلة فی بعض أقوالهم و خالفوهم فی بعضها توفی سنة ۳۲۰ ه. اما ابو علی و ابو هاشم فهما من کبار رجال الاعتزال و قد سبق التعریف بهما، اما ابو عبد اللّه البصری فهو الحسین بن علی اکبر أساتذة القاضی عبد الجبار و من کبار رجال المعتزلة توفی سنة ۳۶۷ ه او ۳۶۹. و اما ابو علی بن خلاد فهو أیضا احد کبار رجال الاعتزال و هو صاحب کتاب الاصول و الشرح فی علم الکلام و هو احد أساتذة القاضی و قد عده فی الطبقة العاشرة، اما ابو جعفر محمد بن عبد اللّه الاسکافی فقد کان احد أئمة الاعتزال، خلف حوالی سبعین کتابا فی الکلام، توفی سنة ۲۴۰ ه.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۱۹۹

و لیس عندهم ان المسیح تکلم فی المهد، و لا اتی ببراءة ساحة أمه، و أکثر ما عندهم ان مریم علیها السلام کانت مملکة بابن عم لها یقال له یوسف و یعقوب النجار، و أنها کانت عنده، و أن الناس کانوا یرون ان المسیح ابن یوسف، الی ان عمّده یوحنا فی الاردن، و جاء الصوت من السماء: هذا ابنی الذی سررت به نفسی. قالوا: فعلمنا انه ابن اللّه تعالی اللّه لا ابن یوسف النجار. قالوا: و کان هذا بعد ان اتی علی المسیح ثلاثون سنة، و کان الناس لا یشکون انه ابن النجار الی ان جاء هذا الصوت بزعم النصاری، فأی سخف و ضعة و طعن فی حکمة اللّه اعظم من هذا، و هو عندهم رب العالمین، و قد خلّی عباده یقذفون أمه.

و فریق منهم و هم الخاصة یذهبون الی ان ربهم یهودی بن یهودی، مولود من یهودیة، و ان أمه امرأة یهودیة، و قال متی فی انجیله: لما ظهر الحمل بالمسیح بمریم البتول هم یوسف النجار بطلاقها، فأتاه الملک فی المنام فقال له:

یا یوسف النجار لا ترتب بحلیلتک مریم فإن الحالّ فیها من روح القدس، فأمسک عن طلاقها.

فانظر کیف یشهد بأنها حلیلة یوسف النجار و زوجته،/ و انه هم بطلاقها و اتهمها بالزنی و أراد طلاقها فرارا من العار.

و بعضهم یذکر فی ترجمة انجیله: هذا میلاد یسوع «۱» بن یوسف النجار، و متیّ یقول فی انجیله: هذا میلاد یسوع «۲» المسیح. و قال: یعقوب والد یوسف رجل مریم التی منها ولد یسوع المسمی مسیحا، فانظر کیف یحققون ان یوسف زوجها.

(۱) فی الاصل: یاشوع.

(۲) فی الاصل: یاشوع.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۰

و فی الانجیل ان المسیح لما ولد ختن بعد ثمانیة ایام، و ان یوسف النجار اخذه مع أمه و خرج بهما الی مصر فأقام اثنی عشر سنة، ثم اخذهما و ردهما الی بیت المقدس.

و فیه ان یوسف دخل بیته فقال لمریم: این الصبی، یعنی عیسی المسیح، فقالت له: ظننته معک، فقال: و أنا ظننته فی البیت عندک و معک، فقلقا لذلک و خافا علیه الضیاع، فخرجا جمیعا فی طلبه، فقال یوسف النجار:

لمریم خذی أنت طریقا و آخذ انا طریقا آخر، فلعل واحدا منا یجده.

فمشیا متحرقین، فلقیته مریم أمه فقالت: یا بنی، این تکون؟ ظننتک مع ابیک و ظنک ابوک عندی فلما لم یرک قلقنا فأخذ ابوک فی طریق و أخذت انا هذا الطریق، فأین کنت، و مع من کنت و ابوک متحرق علیک؟

فقال: کنت فی بیت المقدس اتعلم.

و ذکر متی فی انجیله: ان المسیح اجتمع مع الیهود و ضرب لهم الامثال، فلما فرغ المسیح من هذه الامثال تحول فدخل مدینته، و کان یعلم فی کنائسهم فکانوا یتعجبون و یقولون: من این لهذا هذه الحکمة، أ لیس هذا ابن یوسف النجار، أ لیس أمه التی تسمی مریم و اخوته یعقوب و شمعون و یهوذا و اخواته کلهن أ لیس هن عندنا، من این لهذا هذا کله، و جعلوا یحتقرونه و یأثمون فیه/ و یقذفونه، و

المسیح یقول لهم: لیس من نبیّ إلا و یحتقر فی مدینته.

و النصاری توافق المسلمین فی ان المسیح ولد من غیر ذکر، ثم یقولون فی اناجیلهم: إن یوسف النجار زوج مریم أم المسیح، و رجل مریم، و ابو المسیح، و انه کان یدعی بذلک و یعرف به غیر متناکر بینهم، و أنه کان له إخوة و أخوات.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۱

و فی أناجیلهم و أخبارهم انه لما طلب جاءته أمه مریم و معها أولادها یعقوب و شمعون و یهوذا، فوقفوا حذاءه، فقال لها و هو علی الخشبة: خذی أولادک و انصرفی، فما الذی بعد هذا فی البیان ان مریم ولدت بعد المسیح من یوسف النجار هؤلاء الجماعة و کانوا إخوة المسیح من أمه، فأی فضیحة تکون أبشع من هذا.

و من عجیب امر النصاری، ان اصحاب الأناجیل الاربعة قد قصدوا الی ذکر نسب یوسف النجار خاصة، و لیس فی ذلک نسب للمسیح اذ کان مولودا من غیر ذکر، و انما یتصل نسبه الی سلیمان بن داود علیهما السلام من قبل أمه لا من قبل احد من الرجال، و هذا تخلیط بیّن و جهل ظاهر، و لذلک وجد الیهود السبیل الی الطعن فی المسیح.

و لتعلم رحمک اللّه، ان هذه الطوائف من النصاری أجهل عالم اللّه بالمسیح و اخباره و أخبار أمه، و ان کل واحد من اصحاب هذه الأناجیل إنما تلفظ ما کتبه بعد المسیح بالدهر الطویل، و بعد مضی اصحابه عمن لا یعرف و لا یحصل، و فیها من الاختلاف و التناقض لما هم علیه ما یطول شرحه.

و فی أناجیلهم ان المسیح أتاه قوم من الیهود یسألونه آیة فقذفهم و قال مجیبا لهم: إن القبیلة الخبیثة الفاجرة تطلب آیة و لن تعطی آیة خلا آیة یونان النبی، هذا علی قولهم یدل انه ما معه آیة بهذا الإفصاح، و أنه ما ادعی ذلک عند/ الحاجة إلیه.

و النصاری لا تعرف الربوبیة و لا تفرق بینهما و بین الانسانیة و لا یقوم علی احد حجة بنقلهم و ادعائهم إلا بآیات للمسیح، و لو لا شهادة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم للمسیح علیه السلام بالنبوة لما عرف احد ذلک.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۲

و من أکبر کید رؤساء النصاری، ادعاء المعجزات لأنفسهم و لأمثالهم ممن سلف من رؤسائهم، و النصاری تقبل ذلک منهم بغیر برهان و لا حجة، فاذا مات ذلک الرئیس من راهب او قس او مطران او جاثلیق قعد راهب و قال:

أنا کنت أخدمه فرأیت منه العجائب، فترحموا علیه معشر النصاری، و توسلوا الی اللّه به فانه شاهد، فاشهدوا قبره و أکثروا زیارته.

فیقول النصاری له:

یا ربانی «۱» حدثنا بما رأیت منه فیمتنع و یقول: أعفونی من الشرح، و کلما تمنع لجّوا فی مطالبته، فیقیم علی الامتناع فیزدادون حرصا فی استخباره، فیقول: إنه فی حیاته ما تحدث به فما أحبّ أنا ان أتحدث به بعده، و إنما ذکرت لکم فضله لتتوسلوا الی اللّه به، فان صدقتمونی فافعلوا و إلا فدعوا فما یضرنی و لیس هی أعجوبة و آیة لی و انما هی له، فیزدادون حرصا، فیقول:

قد کان انقطع بنا الزیت فی البیعة، و کان لا یطلب الزیت من احد و لا یدعنی أطلبه، فاذا کان اللیل أشعل القندیل و قام الی جرة له فیها خل فیصبه فی القندیل فیصیر من ساعته زیتا فیصطبح به کذا و کذا شهرا و قد کان فی الجرة أکثر من خمسین رطلا خلا و هو فی الجرة نأکله عند الافطار، و فی اللیل/ اذا قلبه فی القندیل صار زیتا.

و یتحدث آخر عن راهب صحبه، یقال له أبا مرقس، و انه کان کثیر العبادة، و أنه توکل علی اللّه و ألقی نفسه فی البحر، و قال: یفعل اللّه بی ما شاء، إن شاء غرقنی و ان شاء نجانی و القانی حیث شاء من ارضه. قال: فما جسرت ان افعل مثل ما فعله، و أقمت بمکانی بعده علی ما فیّ من وحشة فراقه مدة طویلة، ثم دعانی ما فیّ من الوحشة له ان افعل مثل فعله، فإما

---

(۱) فی الاصل: یا ربن

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۳

ان أغرق فأستریح من الوحدة «۱». ففعلت و بقیت فی البحر مدة، ثم ألقانی اللّه الی ارض لا اعرفها و لا بها ینبوتة یأکل منها حیوان؛ فأقبلت امشی فیها فوقعت عینی علی شخص قائم یصلی فقصدت نحوه فاذا هو «أبّا مرقس» صاحبی، فقلت له: ربّانی «۲»، مذ کم أنت هاهنا؟ قال: مذ فارقتک ألقانی اللّه الی هذه الارض، فقلت له: من این تعیش و لیس هنا ینبوتة یأکلها حیوان؟ فقال: اذا کان العشاء التفت من صلاتی فأجد سمکة مشویة حارّة فی طبق رغیفین و سکرجة عسل، فأفطر علی ذلک و یرتفع الطبق و لا اری من یرفعه و لا من یضعه. فقلت له: هذا المقدار هو قوتک أنت و ان شارکتک فیه ضیقت علیک، فکیف اعمل انا و هذه ارض قفر، ما بها نبات و لا بها یبس «۳»، فقال: ما ادری و ان شئت ان تقیم و تشارکنی فیما یجیئنی فافعل.

فأقمت، فلما کان العشاء اذ بطبقین و سمکتین و رغیفین و سکرجتین، أحدهما لی، و الاخری له. فقال لی: قد جاءک من الرزق مثل ما جاءنی، فأقمت معه کذا و کذا/ سنة، فمرض و وصانی بدفنه و أمرنی انصرف بعد دفنه إلیکم لأعرفکم خبره لتزدادوا بصیرة فی دینکم، و لو لا وصیته لما فارقت المکان.

و یقول آخر من الرهبان لهم: أبشروا معشر النصاری، فإن دینکم الحق، فقد رأیت من العجب ما عرفت صحته، فیقولون له: مثل ای شیء رأیت فیقول: لیس هو شیء لی و إنما هو لغیری، و هو انی کنت فی جملة الجاثلیق فلان، فقال لی: یا اخی بلغنی عن مطران خراسان انه یأکل اللحم، فامض إلیه و قل له: أ ما علمت ان المطران لا ینبغی له ان یأکل اللحم؟ فمضیت

---

(۱) لعل فی العبارة نقصا

(۲) فی الاصل: ربن

(۳) فی الاصل: أیبس

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۴

إلیه فاتفق دخولی علیه و بین یدیه مقلی مملوء عصافیر قد قلیت و هی حارة، و هو یأکل، فقال لی: کل، فقلت له: ابونا الجاثلیق ارسلنی إلیک یقول لک: أ ما علمت ان المطران لا ینبغی له ان یأکل اللحم، فقال لی: هکذا قال لک ابونا؟ فقلت: نعم، فرفع یده و قال لی: نعمل ما قال ابونا، و قال لتلک العصافیر التی فی المقلی: کش، فتطایرت کلها، و رفع المقلی، فیصدقونه و یدونون ذلک، و یکتبونه. و یطرأ علی من بالعراق منهم و ما و الی العراق راهب لا یعرفونه، فیقولون له: و قد دخل البیعة: ربانی، من أنت، و من این جئت؟ فیقول: دعونی و أعفونی فیراجعونه فیقول:

ذنبی عظیم و فضیحتی فاحشة فلا تسألونی عن شیء، فیلحون فی سؤاله فیقول:

بشرط انکم تسترون علیّ، فیقول: انا کنت رجلا یهودیا شدید البغض للنصاری و المسیح، و سمعتهم یقولون فی الانجیل ان المسیح قال: من کان نصرانیا خالصا و قال للشجرة قفی علی أمواج البحر/ و لا تبرحی، فانها تقف. و کنت لا اصدق بهذا فجئت الی الملک و قلت له: أنا رجل یهودی، و قد قلتم ان المسیح قال لکم کیت و کیت، فإن صح هذا و رأیته بعینی تنصرت من ساعتی. فوجه الملک الی السواد فجاؤوه بشیخ ضعیف البنیة و علیه المسوح، فقال له: هذا رجل یهودی، و قد قال کذا و کذا، فهات ما عندک فی هذا، فأقبل الشیخ علیّ و قال: یا هذا اتق اللّه، إن کنت متعنتا فامض بسلام و لا تؤذنا، و إن کان ما تقوله حقا و عن نیة صادقة فعرفنی، فحلفت له علی صدق نیتی، فقال لی: اذهب الی الصحراء فانظر ای شجرة شئت فعلّم علیها و ارجع إلیّ فعرفنی العلامة، فذهبت و أعلمت علی شجرة عظیمة و رجعت إلیه فعرفته، فقال لی: تجیئنی فی غد حتی اریک شجرتک علی موج البحر کما اقترحت. فجئته من غد و أخذ بیدی و جاء بی

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۵

الی البحر فأرانی الشجرة التی اعلمت علیها قائمة منتصبة علی موج البحر فتنصرت، فأنا اسیح فی الارض و أبکی علی ذنوبی و ذهاب ایامی. فیصدقونه، و یکتبون ما قاله، و یکون مما یدرس فی البیعة و یسمعه الرجال و النساء.

و یجیئهم آخر من الرهبان فیبکی، فیقولون له: من أنت، و ما یبکیک؟

فیقول: دعونی فإن مصیبتی عظیمة، فیقال له: اذکرها یا بنی، فیقول:

ما اعقل امری، و ما ادری ما اقول، فیقولون له: علی کل حال اذکر مصیبتک و عرفنا حالک، فیقول: او لیس قد مات ابونا جورجس؟ فیقال له: و من جورجس؟ فیقول صاحب البلا الفلانی و الصومعة الفلانیة، فیقولون:

ما نعرفه، و ربما فیهم واحد یقول: قد سمعت به فیقول: فهل بلغتکم آیاته و معجزاته، فیقولون: حدثنا بها، و اذکرها لنا. فیقول: ما «۱» لی اذکرها لکم، ما انتم نصاری بل انتم خلاف النصاری، و لو کنتم نصاری لعرفتموه و عرفتم آیاته و دلالاته. فیسألونه ذکرها فیأبی و یتمنع، فلا یزالون یراجعونه/ فیخبرهم ان الملک الفلانی ارسل فأشخصه، و قال له:

ارجع عن هذا الدین و أنا اعطیک و أکرمک و أشارکک فی ملکی، فأبی، فحبسه فی محبس وثیق ضیق، ثم طلبه من السجان فما وجده فی السجن، فلحق السجان من الملک کل ما یکره، و قال له: أنت اطلقته، و بث الرسل فی طلبه فوجدوه فی صومعته فأتوا به الملک فقال له: اخبرنی عن السجان، أ هو الذی اطلقک؟ فیقول: لا، المسیح اخرجنی، و فتح الابواب لی، و حجب الأبصار عنی، فقال له الملک: انا الآن احبسک فی محبس، فقل للمسیح یطلقک. فحبسه فی حبس وثیق من وراء ابواب حدید مقفلة،

---

(۱) فی الاصل: لما، و لعل الصحیح ما اثبتناه.

ثم طلبه فما وجده. فأرسل الی صومعته فإذا هو فیها، فجاء به، و قال له:

من اطلقک فقال له المسیح: فرده الی الحبس و قیده و ثقله بالحدید و زاد فی التوثق، ثم طلبه فما وجده فی الحبس، و الأبواب و الأقفال کما کانت، و وجد القیود؛ فأرسل فی طلبه فوجده فی صومعته فجاؤوا به و قد اغتاظ الملک مما یتم له، و من تخجیله له مرة بعد اخری، فأمر فضربت عنقه و دفن فلما کان من غد یوم دفنه وجدوه فی صومعته، و قیل ذلک للملک، فبعث و أحضره و قطعه إربا «۱» و حمل و دفن فلما کان من غد وجده فی صومعته، و قیل ذلک للملک، فأرسل و جاء به و قطعه إربا «۲»، و دعا بنار فأحرقه و أمر برماده فألقی فی البحر، فلما کان من الغد وجدوه فی صومعته، فأرسل الملک و جاء به و اعتذر إلیه و تنصر.

فیقول الراهب: و کل هذا کان منه و أنا معه و أشاهده منه و ما فعله الملک به، فمثل هذا لا ابکی علیه و لا تعظم مصیبتی به. و أشد من هذا، جهلکم و غفلتکم حتی کأنکم ما انتم نصاری و لا سمعتم/ بالنصرانیة، و یبکی، فیصدقونه و یعتذرون إلیه من غفلتهم و جهلهم بهذا الرجل و بما کان معه، و یجتمعون:

رجالهم و نساؤهم و صبیانهم، و یسألونه ذکر ذلک لهم، فیعیده علی فوج بعد فوج، فینصرفون عنه و قد صدقوه. و ینبثون و یتحدثون بذلک سرورا به، و یخالدون ذلک، و یجعلون لمثل هذا اعیادا، و یجعلون له أیاما معلومة یقیمون هذه الاعیاد فیها، و یعیدون حدیثهم لیتطرّا ذکرها و لیسمعها من یشاء من ذراریهم، و یسمون ذلک ذکران؛ فیقولون: هذا ذکران جورجس

---

(۱) فی الاصل: ارابا

(۲) فی الاصل: ارابا

و هذا ذکران ابا مرقس، و هذا ذکران فلان «۱».

و يجيبهم آخر، فيقول: تدرون معشر النصارى لم صار فى العرب و القبط و الحبشة و الفلانيين «۲» نصارى؟ فيقولون: لا، [فيقول «۳»] و لكننى أدرى و لو كنتم نصارى لدريتم، فيسألونه فيخبرهم. فيقول ان الآباء الأوائل باتوا ليلة لسانهم واحد، فأصبحوا و قد نطق كل واحد منهم بلسان امة من الأمم، فانطلق كل واحد منهم الى تلك الأمة التى نطق بلسانها، فدعاهم بلسانهم، و أظهر لهم الآيات و المعجزات، و إلا فقولوا لنا: لم تنصرت الارمن و العرب و القبط و الحبشة؟ فيقولون له: صدقت، هذا برهان نيّر فيكتبون هذا و يدونونه و يجعلون له عيدا و ذكرانا، و هذا اصله و مخرجه و أوله. فإذا تخلد و انبثّ و مرّت عليه الدهور و أتت عليه الأعصار، ادعوا انه شىء كان أصله بمشاهدة الأمم لأن الكذب فيما تقادم عهده أمكن. و انما يجعلون له ذكرانا و عيدا و يوما بعينه لتتم الحيلة فيه، و ليظن من يسمع انه ما جعل له عيد و يوم معلوم و تاريخ مؤقت محدود إلا و هو حق و له اصل ليتأكد/ الكذب و يتم التمويه، و ليتصل البر و الصدقات على الرهبان فى هذه الاعياد. و الفطناء من النصارى يقولون: هذه الآيات و المعجزات انما هى من احتيالات الجثالقة و الرهبان و من يبغض العمل و يفر من الكد، و يسمونهم بلغتهم السريانية «عازق معناثا «۴»» معناه انه ترهّب و لزم الدين ليأكل من غير ماله و يستريح من الكد، و الرهبان اذا ما تشاحنوا على ما يأخذون يقول احدهم لصاحبه:

النصارى يفضلونك علينا، و يعطونك أكثر مما يعطونا، و مالك من فضل

---

(۱) كتب المعلق فى الهامش: فى سبب ذكران النصارى.

(۲) هكذا فى الاصل

(۳) فى الاصل لا توجد كلمة فيقول، و هى اضافة منى ليستقيم الكلام.

(۴) كتب المعلق فى الهامش: عازق معناثا.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۸

علينا، كلنا قد فر من العمل، و انما نحن نصلى للنصارى. و لهم من المكاشفات ما يطول شرحه، و لكن ليس متأمل و لا متخرق على الاسلام و لا متفقد «۱».

و ربما ورد الراهب على النصارى بمثل ما قدمنا، فيقبل الرهبان بعضهم على بعض بالقول فيما بينهم: تأملوا هذا الفار من العمل بأى شىء قد جاء يخدع النصارى، و انظروا هل يكون له بخت. و ربما جاء الراهب الى الجاثليق بمثل هذ لينفق عنده، فيقول له الجاثليق: عزمت على الهرب من العمل، أنت عازق معناثا، فربما بكى، و قال له: أبونا ما يحل لك ان تقول لى هذا، فيقول الجاثليق: يا أخى ما ينبغى ان تعمل معى هذا فأنا أعرف بالصنعة، هبنا خدعنا غيرنا، بعضنا يعرف بعضا و الصنعة واحدة، و أنا عازق معناثا مثلك، فلا تبك.

و مثل هذا رحمك اللّه تجد كثيرا من القسيسين و الرهبان، اذا رأوا راهبا او جاثليقا او قسا او مطرانا قد ادّعيت له المعجزات و نفق على النصارى، يقول بعضهم لبعض: انظروا بأى شىء نفق هذا على النصارى الجهال و نفذت حيلته فيهم و استوت له عليهم/ الرئاسة.

و كان متى بن يونس القس صاحب المنطق «۲» يقول عند مثل هذا: هذا بخت النغول «۳». و علماء النصارى يسرعون الى الإلحاد كما تقدم ذكره لك، و مما يدنيهم من هذا الامر، ان موضوع النصرانية ان الآيات و المعجزات

---

(۱) هكذا وردت العبارة فى الاصل

(۲) متى بن يونس النصرانى (ابو بشر)، حكيم منطقى توفى ببغداد سنة ۳۲۸ ه. ترجم عدة كتب فى الفلسفة و المنطق الى اللغة العربية. انظر الفهرست ۱: ۲۶۳، ابن ابى اصيبعة ۱: ۲۳۵، القفطى ۳۲۳.

(۳) نغل الاديم فهو نغل اى فسد فهو فاسد، و النغل أيضا ولد الزانية. انظر القاموس المحيط

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۰۹

تکون فی عبادتهم فی کل عصر لا تنقطع، تدعی ذلک الملکیة لعبادها، کما یدعیه باقی طوائفهم، و یدّعون المشاهدة فی کل زمان و أوان، مع إکفار بعضهم لبعض. و لیس فیهم احد رأی شیئا من ذلک، و لیس إلا الدعاوی التی تقدم ذکرها و الذکران و الاعیاد، فیلحدون و یظنون بما یدّعی لموسی و هارون و عیسی علیهم السلام بمثل ما یدّعی للرهبان.

و مما یؤثر ان النصاری جلسوا فی ذکران جورجس، و ما جری علیه من القتل مرة بعد مرة و هو یعود و یقوم من قبره الی الصومعة. فیقول قائل منهم: لو صدقنا انفسنا لعلمنا ان هذا کذاب لا اصل له، المسیح صاحب جورجس ذاق مرّ الحدید مرة واحدة فما عاد و لا تعرض لمثلها، فکیف بتعرض لها جورجس و هو دونه فی الصبر و البصیرة، فأضحکهم.

و أکثر ما عند اهل البصائر منهم ان یقولوا: سبیلنا ان نسلم للرؤساء و نقنع فی الدین بالتقلید و لا نطلب فیه البرهان، فلیس امر الشریعة و البیعة من امر الطبیعة فی شیء. و هذا شیء ألقاه لهم هؤلاء الرؤساء الذین یستأکلونهم و یسخرون منهم، و أکثرهم ملحدة کما قدمنا. و هم یریدون بالطبیعة ما یقوله أرسطاطالیس و أمثالهم من الملحدة: فی ان الشمس و القمر و سائر أجساد السماء لا یجوز ان تتصدع و لا- تتفرق، و لا- ان تکون حارة و لا- باردة و لا رطبة و لا یابسة و لا حلوة و لا حامضة/ و لا ثقیلة و لا خفیفة، و ما اشبه ذلک من جهالاتهم التی تزید علی جهالات النصاری أضعافا مضاعفة.

و یدعون انهم قالوا ذلک ببرهان. و ان الربوبیة و النبوات و الشرائع لا یقوم علیها برهان فخاصة النصاری و رؤساؤهم أجهل من عامتهم بطبقات.

و القبط تبغض بنی اسرائیل لما جری علیهم و علی فرعون من موسی.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۰

فلما غلبت الروم علی بنی اسرائیل و ملکت مصر و الشام و الجزیرة، و أخذت الناس بهذا الدین بالرغبة و الرهبة کما بیّنا و کما تری و تشاهد، اسرعت القبط الی ذلک، و خالطت الروم قبائل العرب من غسان و غیرها بالشام فدعتها الی النصرانیة، و بذلت لها الملک، و ذکروا لهم دین المسیح و ما یذهبون إلیه من المعجزات التی ذکرناها، فسهل ذلک علیهم و هم کانوا عبّاد أصنام، فلم یبعد علیهم ذلک.

و قد صار فی هذه الامة من یسلک هذا السبیل، و یؤکد دعواه بادّعاء الآیات و المعجزات و التواریخ و الایام، کادّعاء الحنبلیة ان المعتصم بن الرشید لما ضرب احمد بن حنبل انحل عنه مئزره فخرجت کف فشدت مئزره، و ان المعتصم و تلک الجماعة من القضاة و الفقهاء و المحدثین لما رأوا ذلک راعهم و خلی المعتصم ضربه و خضع له و سأله بعد أن اعتذر إلیه ان یحله فأجابه احمد الی ذلک، فخلع علیه و کرمه، و سأله ان یدعو له، و صرفه الی منزله.

و یدّعون لمعروف الکرخی و غیره ما قد علمت «۱».

و ادّعی آخرون ان رسول اللّه «۲» صلّی اللّه علیه و سلم استخلف علی أمته رجلا بعینه، و ان امته اجابته الی ذلک و أظهرت السمع و الطاعة، فلما قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم

---

(۱) کانت محنة الامام احمد بن حنبل (توفی سنة ۲۴۱) بسبب موقفه الصلب الذی اتخذه فی مشکلة القرآن هل هو مخلوق أم قدیم، فقد کان من رأی المعتزلة اصحاب السلطة آنذاک ان کلام اللّه فعله فهو مخلوق، و قد حاولوا ان یأخذوا الناس و العلماء بعقیدتهم و اضطر الکثیرون الی مجاراتهم بسبب ضغط خلفاء بنی العباس: المأمون و المعتصم و الواثق و بتأثیر کبیر وزرائهم احمد ابن ابی دؤاد، الا- ان الامام ابن حنبل رغم التعذیب علی رأیه من انه لا یطلق علی القرآن لفظا یرد فیه نص. و قد أحیطت محنته بمبالغات کثیرة، اما معروف الکرخی فینسب له الصوفیة کثیرا من الکرامات، توفی سنة ۲۰۰ ه

(۲) عبارة «ان رسول اللّه» مکررة فی الاصل.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۱

عطلوا ذلک کلهم، و ارتدوا/ بأسرهم. و هذا قول الکاملیة، و رئیس هذه المقالة ابو کامل معاذ بن الحصین النبهانی الکوفی. و قال هشام بن الحکم «۱»:

قد ارتدوا کلهم إلا نفرا یسیرا، فانهم أقاموا علی اعتقاد هذا النص بضمائرهم و قلوبهم دون الإظهار بألسنتهم. قالوا: و هذا الیوم هو یوم الغدیر «۲»، و حین ظهروا هذه الطائفة فی سنی نیف و خمسین و ثلاثمائة للهجرة عیّدوا فی ذلک الیوم لیؤکدوا کذبهم فی المهاجرین و الانصار فی انهم ارتدوا، فاعرف ذلک.

و الحنبلیة و الإمامیة یحتجون بکثرتهم و ان مقالتهم قد غلبت علی البلدان، و قد تقدم لک القول: ان الکثرة لا تدل علی صحة النحلة و انما یدل علیها قیام الحجة، و ان قلّ عدد العاملین. بل لو کان القائل بالحق رجلا واحدا، و قامت له الحجة، لکان اولی بالحق و لو خالفه جمیع اهل الارض. و قد قال أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب رضی اللّه عنه: إن الحق لا یعرف بالرجال، و لکن اعرف الحق تعرف اهله، و اعرف الباطل تعرف اهله.

و قد کانت الحنبلیة تحتج علی خصومهم من الرافضة بالکثرة و تقرع الرافضة بالقلة، و الرافضة تحتج بأن اللّه قد ذم الکثرة و مدح القلة و تتلو ما فی من القرآن، فلما اتفقت لهم منذ سنی و نیف و خمسین و ثلاثمائة للهجرة احتجوا بالکثرة،

---

(۱) هشام بن الحکم الشیبانی: من کبار مفکری الشیعة و متکلمیهم توفی سنة ۱۹۹ ه.

منتهی المقال ۳۲۲- ۳۲۳

(۲) یقصد غدیر خم، و هی بئر علی ثلاثة امیال من مکة، و قد روی ان الرسول علیه الصلاة و السلام خطب المسلمین فکان من جملة قوله: «أ لست أولی بکم من انفسکم؟ فقالوا اللهم نعم، فقال: فمن کنت مولاه فهذا علی مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ...» و هذا الحدیث مشهور، و قد استدل به الشیعة علی ان الرسول علیه الصلاة و السلام قد نصّ علی الخلافة من بعده لعلی رضی اللّه عنه، و لم یجد باقی المسلمین فیه اکثر من الدلالة علی فضله.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۲

و کتب رؤسائهم القدماء مملوءة بذکر ذم الکثیر و مدح القلیل، فاعرف ذلک.

ثم یقال للامامیة: إن النص الذی ادعیتموه من النصوص التی تلزم الکافة من الرجال و النساء و الأحرار و العبید و المسافرین و المقیمین و الخاصة و العامة، لو کان له أصل لکان العلم به عند کل عاقل سمع الأخبار کالعلم بأمثاله من نصوص الکافة و إن لم یعرف الیوم الذی کان فیه و لا المکان و لا عین اللفظ به، لأن قول النبی صلّی اللّه علیه و سلم: فلان خلیفتی علیکم/ و حجة اللّه بعدی علیکم، کقوله: أنا رسول اللّه إلیکم، و حجة اللّه علیکم، و قد عرف هذا من نصوصه علیه السلام کل عاقل سمع الاخبار ممن صدقه او کذبه، و إن لم یعرف الوقت الذی قال هذا فیه و لا المکان، فإن عرفه کان من الفضل.

و هذا بیّن کاف، بل نصوص الإمامة و الرئاسة الصحیحة منها و الفاسدة إذا وقعت حصل العلم بها عند کل من سمع ذلک الخبر، أ لا تری ان نص عمر علی علیّ ابن ابی طالب رضی اللّه عنهما بالإمامة و الخلافة فی الشوری قد عرفه کل من سمع الأخبار، و کذا نص اهل المدینة علیه بعد عثمان، و نص ابی بکر علی عمر، و نص الصحابة علی ابی بکر، و نص معاویة علی یزید، و نص مروان علی عبد الملک، و نص عبد الملک علی ابنه الولید، و نص المنصور علی المهدی. فلو کان النبی صلّی اللّه علیه و سلم قد نص علی رجل من اصحابه بأی لفظ کان لکان العلم به اقوی من العلم بهؤلاء، لأنه لیس فی هؤلاء احد یعتقد فی نصه و فرضه ما یعتقده المسلمون فی نصوص رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و أوامره، و فی فقد العلم بذلک دلیل علی انه امر لا اصل له بوجه من الوجوه. و بمثل هذا

یعلم ان أمیر المؤمنین ما نص علی ابنه الحسن رضی اللّه عنهما، و بمثل هذا نستدل علی فساد قول أهل التناسخ و ما یدعونه علی العقلاء من الاکوار و الادوار، و بمثله یعرف بطلان قول الملحدة فی دعواهم فی النفس، و نزولها من عالم العقل

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۳

الی عالم الحس.

فإن قیل: إن هذا قد حسد الناس صاحبه، و نافسوه عنه، و دفعوه و منعوه من استعماله و ذکره.

قیل له: انک لم تطعن فی الدلالة، بل ترکت ذلک و ادّعیت دعوی اخری، فدعواک الحسد و المنافسة کدعواک/ النص، و هذا فیه أتم کفایة علی بطلان قولک.

ثم یقال له: إن هذا الدلیل قد دل علی ان لیس هناک من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم نص علی رجل بعینه ینافس فیه او یحسد لأجله، فلو اراد اصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم أن یعصوا اللّه بتعطیل نصه علی امیر المؤمنین لما قدروا علی ذلک، و لا وجدوا سبیلا إلیه، لأنه شیء ما کان قط و لا وجد.

ثم یقال له: لو کان هناک نص حتی ینافس صاحبه او یحسد لما قدح ذلک فی العلم به، و لما زادته المنافسة إلا قوة. أ لا تری ان اهل المدینة لما نصوا علیه بعد عثمان قد نافسه معاویة و دفعه عن الخلافة فما اثر ذلک فی العلم بعقد أهل المدینة علیه، بل زاده قوة و نشره و بسطه. و قد عقد اهل الکوفة للحسن بعد أبیه رضی اللّه عنهما، فدفعه معاویة و نافسه و زاحمه و غالبه و غلبه، فما اثر ذلک فی العلم بالعقد له بل زاده قوة. و قد ترشح سعد ابن عبادة الأنصاری للخلافة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و رأی نفسه أهلا لذلک، فدفعه أبو بکر الصدیق عن ذلک و منعه منه.

و قد ادعی مسیلمة النبوة فدفعه أبو بکر الصدیق عن ذلک و منعه و قتله، و ادعی طلیحة ذلک فمنعه ابو بکر و دفعه و أسره، فما أثر ذلک فی العلم بما

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۴

ادعی هؤلاء و دعوا إلیه بل زاده قوة و عرف الناس الدعوی و المدعی، و الرافع و المرفوع، و المانع و الممنوع، هذا و لیس لسعد احد یقول بامامته و لا یخاصم فیها، و لا یضع فیها الکتب، و لا یسیر فیها الاشعار، و لا یقیم فیها المناحات، و کذا ما ادعاه مسیلمة و طلیحة، فعلمت ان هذا شیء ما فعله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و لا ادعاه، و لا ادعاه امیر المؤمنین و لا دعا إلیه، و لا کان احد من الصحابة یتدیّن بذلک، و لا یذهب إلیه حرّ و لا عبد، و لا ذکر و لا أنثی. یزیدک وضوحا بذلک، ان امیر المؤمنین لما عقد له اهل المدینة کان قوم معه و قعد قوم عنه فلم یکونوا معه و لا علیه و کانوا فی المدینة معه، کأسامة بن زید، و محمد بن مسلمة، و سعد بن مالک، و غیرهم. ثم رجع قوم ممن کانوا معه فصاروا علیه، و هناک قوم لم یکونوا معه بل کانوا فی جمیع الاحوال علیه، و یعلم بذلک کل عاقل سمع الأخبار.

و هؤلاء زعموا ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قام بهذا النص الشامل العام، و عرف الناس هذا الفرض و قدره عندهم، و أداه إلیهم بحسب عمومه و شمولاه، و أعلمهم انه شیء یلزم کل واحد منهم، من حر و عبد و ذکر و أنثی و مسافر و مقیم و علیل و صحیح، و انهم أظهروا له القبول و الرضا، فلما مات ارتدوا کلهم و رجعوا عن هذا النص.

و قال هشام: ارتدوا کلهم إلا ستة نفر منهم، قلنا: فقد کان ینبغی ان یکون العلم بهذا عند کل من سمع الاخبار، و ان یکون أقوی و أقهر و اغلب من العلم بالذین قعدوا عن امیر المؤمنین فلم یکونوا معه و لا علیه، و من العلم بالخوارج الذین کانوا معه ثم صاروا علیه، و من العلم بما کان بینه و بین معاویة، و من العلم بالتحکیم، و إلا فکنا نکون کمن قال: ترون الحصاة و هی علی ابی

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۵

قبیس «۱»، و لا ترون أبا قبیس، و هو مکان الحصاة لأن ذاک العقد من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم اعظم، و فرضه أعم و أشمل

من النص على القبلة، و على صيام شهر رمضان، و على/ الجمعة و غسل الجنابة. أ لا ترى ان فرض القبلة يسقط عمن خفيت عليه الدلالة و عن المتأنف «۲» و عن المسافر فى التطوع و لا يسقط عنه اعتقاد الإمامة و طاعة الإمام، و قد تسقط الجمعة عن المسافرين و المرضى و النساء و العبيد و لا يسقط عن احد منهم اعتقاد الإمامة و طاعة الامام، و قد يسقط الصوم عن المسافرين و المرضى و الحيض و لا يسقط عن أحد منهم اعتقاد الامامة و طاعة الامام، فلو كان كما ادعوا لكان العلم بذلك عند كل عاقل سمع الأخبار أقوى و أقهر و أغلب من العلم بالقبلة و بصيام شهر رمضان، و بالجمعة و بغسل الجنابة. و مثله فى النصوص، نص النبى صلّى اللّه عليه و سلم على انه رسول اللّه الى الناس جمعا، أ لا ترى أن العلم بذلك حاصل عند كل عاقل سمع الأخبار، ممن صدقه او كذبه، فلو كان لهذا النص أصل لكان يعلمه كل عاقل سمع الأخبار و إن لم يقبله و إن لم يتدين به. كما علم اليهود و النصارى و المجوس انه عليه السلام نص على انه رسول اللّه إليهم، و أن طاعته عليه السلام تلزمهم و تجب عليهم، و فى عدم العلم بذلك دليل على أن هذا شىء ما فعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ساعة قط، و لا كان منه فيه إشارة و لا إيماء بوجه من الوجوه.

و لسنا نقول: إنه لو فعله لقبلوه و عملوا به، بل نقول: كان العلم يحصل

---

(۱) ابو قبيس: جبل بمكة سمى برجل من مذحج حداد لأنه اول من بنى فيه. القاموس ۲: ۲۳۸

(۲) المتأنف: المبتدئ، و الائتناف: الابتداء.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۶

به عند كل من سمع الأخبار و إن لم يعملوا به، و إن اجمعوا على تعطيله كما اجمعوا على تعطيل إمامة سعد بن عبادة، و نبوة مسيلمة و طليحة.

فاعرف ذلك.

و مما يزيدك بيانا، ان النبى صلّى اللّه عليه و سلم قد نصّ على اشياء، فلما قبض ارتدت العرب عن ذلك بألوان الردة،/ فادعى مسيلمة النبوة فى ربيعة بأرض اليمامة و ادعى مثل ذلك طليحة فى بنى اسد، و رجعت قبائل كثيرة من فزارة و قضاعة و غيرهم ممن هو معلوم عن الشريعة كلها، و استثقلوا ما حرّم عليهم من الخمر و الزنا و الربا و السرقة و الغارة و غير ذلك، و ارتد من بالبحرين و بنو يربوع و غيرهم لمنع الزكاة، و قالوا لأبى بكر: نشهد الشهادتين، و نقيم الصلاة، و نجاهد معك العدو؛ فإن ابيت ذلك لحقنا بالعدو و حاربناك.

و أقام ابو بكر و المهاجرون و الانصار على الاسلام، و جاهدوا المرتدين كلهم، فحصل العلم بذلك عند كل من سمع الاخبار. فلو كان لما ادعاه هؤلاء القوم ادنى إشارة، لكان العلم بذلك مثل العلم بهذه الامور، بل قد كان ينبغى ان يكون اقوى و اقهر، و إنما هذا شىء ادعاه ابو كامل و هشام «۱» بعد انقراض الصحابة، و التابعين و تابعى التابعين، و تابعى تابعى التابعين.

و على ان قوله عليه السلام: «أنت منى بمنزلة هرون من موسى»، «و من كنت مولاه فعلى مولاه»، و ما اشبه ذلك مما يجعلونه حجة فى دعاويهم، ليس من ألفاظ النصوص و الاستخلاف و الوصايا فى لغة و لا فى عقل و لا فى شريعة، و انما هى فضائل ادخلها هؤلاء فى هذه الدعاوى، و انه امر

---

(۱) سبق ان مر التعريف بأبى كامل و هشام بن الحكم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۷

لا تقوم به حجة، و لا يجدون فيه حيلة، فلجئوا الى التعلق بهذه الفضائل، و قالوا: هى نصوص، فلو لم يدلك على فساد قولهم إلا تعلقهم بهذه الاشياء لكفاك و أغناك.

و قد رفع اللّه قدر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ان تكون نصوصه و وصاياه بمثل هذه الالفاظ؛ يزيدك بيانا انه عليه السلام قد نص على خلق كثير بالولايـة و الإمارة، فقال/ فى غزاة مؤتة للجيش الذى أنفذه: اميركم زيد بن حارثة، فإن هلك فجعفر بن ابى طالب، فان هلك فعبد اللّه بن رواحة. و مثل ذلك فى الامراء و لعلهم نحو ألف امير، ما فيه نص بهذه الالفاظ التى يدعونها هؤلاء.

و قـد اسـتخلف ابو بكر عمر بن الخطـاب، و عمر اهـل الشورى، فليس فيهم من قال من كنت مولاه ففلان مولاه، و كـذا سائر من عهد الى احد لم يذكر هذا اللفظ، و هم عرب و فصحاء، و فى دعوة الاسلام، و ينتمون الى رسول اللّه و يؤكدون عقودهم بكل ما يقدرون عليه مما هو مستعمل فى اللغة و الشريعة؛ و هم لا يعرفون هذا اللفظ فى العقود، و انما هذه فضائل لا مدخل لها فى النصوص و الوصايا و العقود. و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى رجال كثير ما هو آكد و أشف من هذا و أوضح؛ أ لا ترى انه قال:

«اقتدوا بالذين من بعدى: ابو بكر و عمر «۱»»، و قال عليه السلام: «هما كالملائكة و الأنبياء» فى قصة أسارى بدر، لما أشار عليه ابو بكر بالعفو عنهم

---

(۱) انظر كتب المناقب و فضائل الصحابة فى كتب الحديث ففيها الكثير من الاحاديث فى فضائل الصحابة جميعا.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۸

و اسـتبقائهم، و اشـار عليه عمر بقتلهم و استئصـالهم، فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلم: إن لأبى بكر و عمر إخوة من الملائكـة و النبيين تشبههما، فأبو بكر كميكائيل فى الملائكة ينزل بالعفو و الرأفة و الرحمة، و هو كإبراهيم الخليل اذ يقول:

«فَمَنْ تَبِعَنِى فَـإِنَّهُ مِنِّى وَ مَنْ عَصانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «۱»»، و هو كالمسيح اذ يقول: «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۲»».

و مثل عمر مثل جبرائيل ينزل بالعقوبـة و النعمـة، و مثله فى الأنبياء كنوح إذ يقول: «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً «۳»»، و كموسـى إذ يقول: «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَ اشْـدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ «۴»». و إن اللّه ليشـدّ فى هـذا الدين قلوبا فيجعلها كالحجارة، و يلين فيه قلوبا/ فيجعلها ألين من اللبن. و شبّه عثمان بلوط عليه السلام، فانه لما اسلم آذته قريش، فهرب بدينه الى ارض الحبشة و معه امرأته رقيّة بنت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلم و دعهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و عانق عثمان و قال: «إنه لأول من هاجر بدينه مع اهله بعد لوط»، و قال عليه السلام: «من احب ان يسمع القرآن غضا كما أنزل فليسمعه من ابن أمّ عبد «۵»»، و قال عليه السلام: «رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أمّ عبد، و كرهت لها ما كرهه ابن أمّ عبد «۶»»، و قال للأنصار:

«إنكم لتكثرون عند الفزع و تقلون عند الطمع»، «و لو سلك الناس شعبا

---

(۱) ابراهيم ۳۶

(۲) المائدة ۱۱۸

(۳) نوح ۲۶

(۴) يونس ۸۸

(۵) رواه الامام احمد فى مسنده و ابن ماجه و الحاكم عن ابى بكر و عمر. انظر الزيادة على الجامع الصغير ۳: ۱۴۸

(۶) رواه الحاكم عن ابن مسعود. انظر الجامع الصغير ۴: ۳۳

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۱۹

و واديا و سـلكت الانصار شـعبا و واديا لسـلكت شعب الانصار و واديهم»، و قال: «الانصار كرستى و غيبتى، و لو لا الهجرة لكنت امرأ من الانصار «۱»» و قال فى عمه العباس و فى تفضـيله و تفضـيل ولـده الاقوال الكثيرة، و قال فى معاذ، و فى عبد الرحمن، و أبى عبيدة

«۲»، و غیرهم من المهاجرین و الانصار ما هو معروف مکشوف لا- یشک فیه؛ فقد کان ینبغی علی ما یدعی هؤلاء ان تکون هذه الفضائل نصوصا «۳» اذا کانت الالفاظ علی خلاف ما یعرف منها فی اللغة العربیة.

و هؤلاء یقولون: انتم لستم من العرب و لا تعرفون العربیة، فلهذا ذهب علیکم ان قوله: «من کنت مولاه فعلی مولاه، «و أنت منی بمنزلة هرون من موسی» [یعنی الاستخلاف] «۴».

قلنا قد فرغنا من هذا مرة و بینا ان هذا لیس من الفاظ الاستخلاف البتة، لا فی عقل، و لا فی لغة، و لا فی شریعة.

و أیضا، فلو کان هذا من ألفاظ الاستخلاف لکان اولئک القوم الذین سمعوا هذا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قد عرفوا صدقه و قصده، فکان من بعدهم یعرف ذلک کما عرفوا و ان لم یکن من العرب و لا یعرف العربیة، لأن مدار الامر فی ذلک/ و أشباهه علی المعانی لا علی الالفاظ. أ لا تری ان رسول

---

(۱) لفضل الانصار انظر مناقب الانصار و الصحابة فی کتب الحدیث.

(۲) انظر لفضلاء هؤلاء ابواب المناقب فی کتب الحدیث، و انظر الریاض النضرة فی فضائل العشرة للطبری.

(۳) فی الاصل: نصوص

(۴) فی العبارة نقص، و لعلها ان تستقیم باضافة «یعنی الاستخلاف» فی آخرها.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۰

اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لما دعا و نصّ: أنی رسول اللّه الی الناس کافة، و أنه حجة اللّه علی کل ما یأتی الی یوم القیامة، و انه لا شیء معه و لا- بعده، و جمیع ما دعا إلیه و حرمه من المحرمات، علم ذلک من قصده و ما عناه و أراده کل عاقل سمع اخباره من العرب و الروم و الفرس و الهند و القبط و الأرمن، ممن یحسن العربیة و ممن لا یحسنها و لا یدور لسانه بها، و لا یحسن [التلفظ] «۱» بقول رسول اللّه، و لا- یحسن یتلفظ بشیء من المحرمات؛ کلّ قد عرف ذلک من قصده بإشارة الخرس الذین بلغتهم الدعوة من المؤمنین و الکافرین. فیعلم بطلان هذه الدعاوی.

بل لو تکلم صلّی اللّه علیه و سلم بما لا یعرفونه فی اللغة، و قصد به معنی من المعانی، و نقلهم عما یعرفون فی لغتهم لعرفوا قصده و مراده. أ لا تری ان الوضوء فی اللغة انما هو التنظیف، فجعله اسما لغسل هذه الأعضاء الاربعة فعرفوا قصده، و ان لم یکن قبل ذلک فی اللغة. و الصلاة فی اللغة: الاتباع و الدعاء، لا یعرفون إلا هذا، فجعل صلّی اللّه علیه و سلم هذا اسما للتوجه الی القبلة بعد الوضوء مع الرکوع و السجود، فعرفوا قصده و إن لم یکن ذلک فی لغتهم.

و کذا الزکاة، انما هی فی اللغة اسم للزیادة و النماء فی المال، فجعله اسما «۲» لما یؤخذ من اموالهم، فعرفوا قصده، و عرف من بعدهم ممن بلغه خبرهم مثل ما عرفوا، فیعلم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ما عنی بالأخبار التی یروونها عنه ما ظنوه و عنوه.

و قد دعا امیر المؤمنین علی بن ابی طالب الی نفسه، و فرض علی الناس

---

(۱) اضافة علی الاصل

(۲) فی الاصل: اسم

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۱

طاعته، و ابتلی بمن خالفه/ و بمن قعد عنه، و بمن ضلله، و بمن ارتد عنه من اصحابه؛ فما احتج علی مخالفیه إلا بالاختیار، و ان طاعته قد وجبت لأنه قد بایعه الذین بایعوا ابا بکر، و عمر، و عثمان. و قد احتج لنفسه، و احتج عنه ولده و شیعته و أهل بیته، و کاتب معاویة و راسله. ثم صار الی الشام، و احتج علی اهل الشام و اهل البصرة و اهل النهر هو و أصحابه؛ فما احتجوا فی مکاتبة و لا فی مراسلة و

لا- فی مشافهة، إلا- بأنه قد بایعه الذین بایعوا ابا بکر و عمر و عثمان و انه لا تحل مخالفته کما لم یحل مخالفتهم، و لا یذکرون فی احتجاجهم کما یذکر هؤلاء من الآیات و لا من الاخبار، و لا قوله «من کنت مولاه»، و لا «أنت منی بمنزلة هرون من موسی»، مما یحتجون به. فلو کانوا هؤلاء شیعته رضی اللّه عنه لسلکوا سبیله و اقتفوا اثره؛ فقد بلی من هذا الأمر، و من خلاف الناس علیه، و من رجوع اصحابه عنه، و من اکفارهم له، ما لم یبتل به ابو بکر، و لا عمر، و لا عثمان، و لا احد من اهل الشوری و البدریین. و قد بالغ فی اقامة الحجة علیهم و کلهم من اهل القبلة و اهل الصلاة و الی القرآن یرجعون، و بأحادیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یحتجون، و الحجة من قبله یطلبون؛ فما قال قط و لا ولده و لا من یحتج عنه من اهل بیته: ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قد قال فیّ: «من کنت مولاه فعلیّ مولاه» و لا «أنت منی بمنزلة هارون من موسی»، و هذا نص منه علی استخلافی، و هذا شیء تأویله النص، و باطنه الاستخلاف.

و لا قال هو و لا احد من اصحابه و من یحتج له: لم تکفروننی و تضللونی و النبی قد استخلفنی و نص علیّ و شهد بعصمتی، و أنی لا أخطئ و لا أزل و لا أضلّ و لا یقع منی معصیة للّه. و هو رضی اللّه عنه أعلم بدین اللّه و بالحجة، و أفقه و أبصر و أشجع، فلو کان لذلک أدنی إشارة/ من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۲

لاحتج بها و بیّنها قبلوا ذلک منه أو لم یقبلوا. و فی هذا أتم بیان و أوضح حجة.

و أعلم، أن هؤلاء یحتجون مذ زمن ابن الراوندی: ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و سلم نص علیه نصا مکشوفا لا یحتمل التأویل، فقال: علیّ بن ابی طالب الخلیفة علیکم من بعدی، و قال لهم: «سلموا علیه بإمرة المؤمنین «۱»»، و أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قام فیه فی مقام بعد مقام، و فی عام بعد عام، نحو مائة مقام مذ بعثه اللّه بمکة و المدینة، و السفر و الحضر، الی ان توفاه اللّه؛ فینبغی ان لا- تکلمهم إلا- فی هذا النص المکشوف المعروف، و تقول لهم، المصیر الی الأمر المکشوف و الحجة الواضحة اولی بنا و بکم من المصیر الی المشکل الملتبس الذی یحتمل التأویل، فإن الکلام علیهم حینئذ یکون اوضح و أقصر؛ فیجری هذا مثل نصه علیه السلام علی النبوة.

و هم یفرّون شدیدا من هذا النص المکشوف مع من یعلم و یحصل، فإن ابتلیت منهم بمن یقول: لا أتکلم فی النص المکشوف بهذا، فقل له: إن کنت لا تتکلم فیه فسلم لنا بطلانه و کذب من ادعاه و ادّعی نقله. فان قال: لا أسلم، قیل له: لیس یخلو من ان یکون حقا و صدقا فینبغی أن تصیر بنا إلیه، أو کذبا و باطلا فینبغی ان تتبرأ منه و تخطئ من احتج به.

فإن قال: کذلک أفعل، قیل له: فهذا شیء قد ادّعته أمم عظیمة،

---

(۱) ان اکثر الاحادیث التی رویت فی خلافة علی ضعیفة او موضوعة، و علی فرض صحتها فانها تشیر الی الخلافة علی اهله صلی اللّه علیه و سلم، منها: «ان اخی و وزیری و خلیفتی من اهلی و خیر من اترک بعدی یقضی دینی و ینجز موعدی علی». انظر تنزیه الشریعة عن الاخبار الشنیعة لعلی بن القرن الکتانی، الجزء الاول، ففیه الکثیر من هذه الاخبار.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۳

و ادّعت معرفته و نقله. فإن قال: هم کذاک یدّعون، و إنما وضعه لهم واحد من الناس و قال لهم: إن هذا قد قاله النبی صلّی اللّه علیه و سلم و نقلته عنه الامم فأحسنوا به الظن و صدّقوه و إن کان لا أصل له.

قیل له: و کذلک ما تدعیه أنت من التأویل فی الآیات/ و الأحادیث التی تحتج بها، ما أراد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و لا امیر المؤمنین بها ما تعنیه أنت و تعتقده، و إنما هی فضائل، و لکن هشام بن الحکم قال هی نصوص و النبی صلّی اللّه علیه و سلم اراد بها الاستخلاف؛ فأحسن به قوم الظنّ فقبلوا ذلک منه و اعتقدوه و ادّعوا انهم و من قبلهم قد نقل ذلک عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و

سلم، و ليس هناك شيء ينقل و لا يكتب، و لكنهم قوم سمّوا اعتقادهم نصا و دعواهم نقلا، كما يدّعى اليهود ان موسى عليه السلام نصّ لهم على تأييد شريعته؛ و كما يدعون هم و النصارى من الصلب و كما يدعى النصارى خاصة قيامه من قبره و انه عليه السلام أقام معهم اربعين يوما ثم صعد الى السماء و هم يرونه؛ و كما ادعوا ان هيلانة الحرانية وقع إليها [الخشبة] «۱» التى صلب عليها المسيح مع خشب غيرها فلم تعرفها و أشكلت عليها فامتحنت ذلك بجنازة مرت بها، فجعلت تضع عليها خشبة بعد اخرى من خشب المصلين، فلم يقم الميت إلا بآخر خشبة، قالوا: فعلمت انها هى الخشبة التى صلب عليها المسيح. فقالوا:

و قد شهد هذا الأمم الكثيرة ببيت المقدس من اليهود و الروم غير ان اليهود كتموا ذلك، و يسمّون هذا اليوم: عيد الصليب «۲»؛ و يوم قيام المسيح من قبره بزعمهم عيد السلامة. و لهم مثل ذلك كثير، و هذا امر لا

---

(۱) فى الاصل: الصليب، و قد صححها المعلق بالخشبة.

(۲) فى الحاشية عنون الكاتب او المعلق لهذا البحث بقوله: عيد الصليب عيد السلامة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۴

أصل له، و انما هو موضوع لهم أحسنوا به الظن كما اصاب هؤلاء الرافضة من اصحاب النص.

على ان هشام بن الحكم قد أقر بذلك فقال: قد ادركت الشيعة فى الصدر الاول و هم يتولون أبا بكر و عمر و عثمان و يصوبونهم، و يقولون: هؤلاء ما دفعوا امير المؤمنين عن حقه و مقامه، و انما دفعه المنافقون/ الذين كان القرآن يهتف بهم فنظر هؤلاء فاذا ليس احد أحق بالإمامة بعد على منهم، فقاموا ذلك المقام بحق.

و قال هشام بن الحكم: و منهم من قال: لما رأى الوصىّ علىّ بن ابى طالب المنافقين قد أزالوه عن موضعه، قدّم أبا بكر و استخلفه ليكون بمكانه الى ان يتمكن فيزيله.

قال هشام: و هذا كله تلزيق و تلفيق دعاهم إليه الجبن من الإقدام على التبرؤ من ابى بكر و عمر و عثمان و المهاجرين و الانصار و لو عرفوهم كما عرفتهم أنا لأقدموا على البراءة منهم «۱».

و قد ذكر هذا أيضا ابن الراوندى فى كتابه «الإمامة» الذى نصر فيه قول الرافضة فى البراءة من المهاجرين و الانصار و حكاه عن هشام. فهذا ما أقرّ به الخصم فكيف ما لم يقر به؛ و لو لم يقر به لعلمنا ان الامر كذلك. و هشام انما كان فى ايام بنى العباس و هلك فى دولة هارون

---

(۱) علق الناسخ او المعلق على هذا بقوله: «لعن اللّه ناقل هذا القول و قائله، حيث كانوا يطلبون تغريب شموس الدين و إطفاء انوار الاسلام و المسلمين، عذبهم اللّه تعالى و أقوالهم، و أطفأهم و آثارهم آمين، آمين، آمين.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۵

الرشيد، لتعلم ان الذى ادّعى النص و جرّأ الناس على شتم ابى بكر و عمر و عثمان و المهاجرين و الأنصار هشام بن الحكم، و هو ابتدأه و وضعه، و ما ادعى هذا النص و الاستخلاف احد قبله.

و لو كان هشام من اهل القبلة، لما كان دعواه و دعوى مائة ألف معه مثله حجة، فكيف به و ليس من اهل القبلة، و هو معروف بعداوة الأنبياء، و قد أخذ مع ابى شاكر الديصانى «۱» صاحب الديصانية «۲» و كان معروفا به و بصحبته، فادعى انه من الشيعة، فخلصه بعض اصحاب المهدى حين ادعى انه يتشيع لبنى هاشم فلم يصلبه مع ابى شاكر.

و قد ذكره العلماء بالمقالات بمذهب الديصانية، و ذكره الحسن بن موسى النوبختى فى كتابه «فى الآراء و الديانات» «۳» حين نقض عليه/ مذهبه فى ان اللّه جسم و نور يتحرك؛ فقال له الحسن: هذا مذهب المانوية نعوذ باللّه من موافقتهم. و انما ذكرنا الحسن بن

موسى، لأنه من الرافضة.

و قد حكى عن هشام أيضا ابو عيسى الوراق، و ابن الراوندى، و أبو سهل بن نوبخت، و هؤلاء كلهم رافضة.

و الذين حكى هشام عنهم من الشيعة أن المنافقين أزالوا امير المؤمنين عن مقامه، فقد غلطوا أيضا، فإنه قد بيّنا ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ما كان منه نص فى ذلك فيزيله احد من الناس.

---

(۱) انظر الفهرست لابن النديم ص ۴۸۷

(۲) الديصانية احدى فرق الثنوية، و تعتبر اصلا للمانوية و انما اختلفت الفرقتان فى كيفية اختلاط النور بالظلمة. انظر الفهرست ۴۸۸

(۳) من كبار المتكلمين و مؤرخى الفرق، و يعتبر كتابه «الآراء و الديانات» من اهم ما كتب حول الاديان و المذاهب و الفرق. انظر الفهرست ۲۶۵- ۲۶۶

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۶

و أيضا، فإن الغلبة بعد موت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لم تكن للمنافقين و انما كانت للبدريين و المهاجرين و الانصار، الذين يعتقدون نبوته صلى اللّه عليه، و صدقه، و إقامة نصوصه، و إحياء شريعته، و إذلال عدوه، و إعزاز وليّه، و هم الذين ردّوا الى الاسلام من ارتد من العرب، و غزوا من أعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ملوك الفرس و الروم و الهند و الترك و سائر الامم المشركين و أدخلوهم فى دينه و أدخلوا بلدانهم فى ممالكه صلّى اللّه عليه و سلم، و انما يدّعى أن الغلبة كانت للمنافقين من لا علم له و لا تحصيل عنده.

و كان هشام يقول: لعمرى إن علىّ بن ابى طالب رضى اللّه عنه ما احتج فى إمامته بنصّ النبى صلّى اللّه عليه و سلم و لا بوصيته فى الأمة إليه، و أنه كتم ذلك خوفا من المهاجرين و الانصار، فأمسك و سكت.

قيل له: قد فرغنا من هذا، و بينا ان ليس هناك نص و لا وصية و لا شىء يكتم و لا ينقل.

و أيضا، فان امير المؤمنين ما سكت و لا أمسك، بل تدين بالاختيار و أظهره و جعله الحجة على من خالفه و قال: وجبت طاعتى و إمامتى لأنه بايعنى اهل دار الهجرة الذين/ بايعوا ابا بكر و عمر و عثمان، فوجبت طاعتى و إمامتى كما وجبت طاعتهم، و حرمت مخالفتى كما حرمت مخالفتهم، و أعاد هذا و أبداه فى خطبه و كتبه و جعله الحجة؛ فمتى سكت و أمسك.

و أيضا، فلم يكن سلطان ابى بكن و عمر و عثمان و علىّ سلطانا يخاف فيه محقق و لو كانت امرأة ارملة ذمية، فضلا عن غيرها. أ لا ترى ان الأنصار قد تكلموا مع سعد بن عبادة و العباس و بنى هاشم و أبى سفيان و بنى عبد مناف فى الإمامية بما ارادوا، و كلموا أبا بكر و نابذوه الى ان أقام الحجة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۷

و عارضوه فى انفاذ جيش أسامة بن زيد و قالوا له: ليس علينا فى هذا الوقت من الروم خوف، و لا حاجة بنا الى غزوهم فى هذا الوقت و العرب قد ارتدت و أحاطت بنا، فدع هذا الجيش يكون لنا، فقال لهم ابو بكر رضى اللّه عنه: إن رسول صلّى اللّه عليه و سلم يقول و الوحى ينزل عليه: أنفذوا جيش أسامة و نقول نحن لا نرى ذلك، برأينا؛ فقال له قوم: فأقم على جيشه اميرا مكانه احسن منه فإنه حدث و فى جيشه المشيخة و الكهول، فقال: أ يوليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أنزعه انا، لا يحل هذا.

و لما جاء الذين منعوا الزكاة و نزلوا على المهاجرين و قالوا لهم: قولوا لخليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يعفينا من الزكاة فانا نقيم الصلاة و نجاهد معكم، فان لم يفعل صرنا مع العدو و حاربناكم. فمشوا الى ابى بكر رضى اللّه عنه، و سألوه أن يقبل ذلك منهم، فقال: لا أفعل، و لا يحل لى هذا و لا لكم، قالوا: فنحن فى قلة و العرب قد ارتدت، فمن نقاتل و من ندع؟ لا طاقة لنا بقتال الناس كلهم، فاقبل منهم الى ان تنكشف هذه الفتن فانا قد خفنا على المدينة و على اثقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أثقالنا، فقال: ما

كنت لأفعل و لو بقيت وحدى، انى إن قبلت رأيكم نقضت/ الاسلام عروة فعروة. أيها الناس، إن مات رسول اللّه نبيكم صلّى اللّه عليه و سلم، و كثر عدوكم، و قل عددكم، ركب الشيطان هذه منكم؛ و اللّه ليظهرنّ اللّه دينه على الدين كله و لو كره المشركون، و ليستخلفنكم فى الأرض كما وعدكم، و تلا قوله عز و جل: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ «۱»» و قوله: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ

---

(۱) التوبة ۳۳ و الصف ۹.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۸

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ، وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً «۱»» و قوله: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ «۲»».

و قالوا له: أ فتقاتلهم و تقتلهم و قد قالوا: لا إله الا اللّه؟ قال: انها غير مقبولة منهم لأنهم منعوا الزكاة؛ قالوا: فتقتلهم على ابن لبون «۳» و على الحقة و الشاة و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا:

لا إله الا اللّه، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم «۴»» فقال ابو بكر فان فيه: إلا بحقها، و هذا من حقها. فطال ما بينهم فى ذلك، فحين اقام الحجة صاروا الى قوله.

و لما فتح الفتوح و واتته «۵» الاموال من كل وجه سوى بين الناس فى العطاء، فعارضوه فى ذلك، و قالوا: سويت بين من اسلم الآن و بين من سبق و بين من نصر و هاجر، فقال: هؤلاء عمال اللّه و أجورهم على اللّه، و انما الدنيا بلاغ؛ و اللّه لو شئتم معشر الانصار ان تقولوا: طردتم فآويناكم و خذلتم فنصرناكم

---

(۱) النور ۵۵

(۲) البقرة ۲۴۹

(۳) ابن لبون من الإبل: ما له سنتان، و الحقة من الإبل بنت ثلاث.

(۴) حديث متواتر، رواه الستة باسناد صحيح. انظر الجامع الصغير شرح المناوى ۲: ۱۸۸

(۵) و اتته فى الأصل،، لعل اضافة الواو تجعل اسياق اكثر انسجاما.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۲۹

و أفقرتم فواسيناكم، و انى لأجد/ مثلنا و مثلكم فى قول طفيل الغنوى:

جزى اللّه عنا جعفرا حين شرفت «۱»بنا فعلنا فى الواطئين فزلت

أبوا أن يحلونا و لو ان امناتلاقى الذى يلقون منا لملت

فذو الحظ موفور و كل مقسملدى حجرات آثفات «۲» أظلّت و راسلته فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و عليها و قالت:

ما بالك خليفة رسول اللّه ورثت رسول اللّه دوننا، فقال: ما ورثته، قالت: فأين نصيبنا من امواله بخيبر و فدك، فقال: انى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: «هذا المال لمحمد و آله حياته، فاذا متّ فهو الى والى الامر بعدى، فان كان معك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عهد صرت الى قولك؛ و اللّه ما اريد شاهدا معك غيرك. فرجع الرسول فقال: تقول لك فاطمة:

لا- و اللّه ما معى عهد من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و لكن رسول اللّه دخل علينا و هو يتلو: «ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ» «۳»، فقال: ابشروا آل محمد بالغنى. قال ابو بكر: إن كان بكم الغنى و لكم الغنى. ثم صار إليها ابو بكر و سألها عن عهد من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و

سلم، فقالت: ما معی اکثر مما قلت، فقال: إذا لم یکن معک عهد من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فما کنت لأدع ما اسمعه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بقول احد.

و کلمه العباس فی ذلک و طالبه بالحجة، فذکر ما سمعه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم

---

(۱) و وردت فی موضع آخر «ازلقت». انظر فتوح البلدان ۳۱

(۲) و وردت فی موضع آخر «ارفأت».

(۳) الحشر ۷

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۰

و قال: انا اوجه هذا المال/ فی الوجوه التی کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یجعلها فیها، ورد ابو بکر هذه الاموال الی علی بن ابی طالب و قال له: افعل فیها ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یفعله. و کذا فعل امیر المؤمنین رضی اللّه عنه حین صارت إلیه الخلافة بعد عثمان، و هو فعل الخلفاء الاربعة و جمیع الصحابة و التابعین بعدهم، فاعرف ذلک.

و عارضوه حین شاورهم فی استخلاف عمر، فقال له قوم: هو الخیرة بعدک غیر أن فیه شدة و هو مهیب، و فی الناس الأرملة و الضعیف و ذو الحاجة، فاستعمل علینا من هو ألین منه کنفا؛ و کانت لهم معه فی ذلک مطالبات و مراجعات و عمر یسمعها و یعلمها، الی أن قال لهم ابو بکر: انما أستعمله علیکم لأنه أقواکم علیکم و أنفعکم لکم و أردّکم علیکم، شهیدی اللّه: ما أردت إلا ذلک، و قد خاب من تزوّد من أعمالکم بظلم، إن عمر لیس ولدی و لا من اهلی، و انما أردت الخیر لکم؛ و إنی قد رمقته فکنت اذا لنت فی الشیء أرانی فیه الشدة، و اذا أشددت أرانی فیه اللین، و لو قد ولیکم للان و اشتد.

ثم قال: ان عمر لا یأنف من التعلم، فحین أقام الحجة سلموا و رضوا. ثم عهد تلک العهود المعروفة، و کم من شیء قد عارضوه فطالبوه بالحجة مما هو اکثر من هذا.

و معارضتهم لعمر فی امر السواد «۱»، و فی فتوح الشام، و فی تأمیر الامراء، و فی الفتوی و القضاء؛ حتی کان یعارضه فی ذلک المرأة و البدوی فضلا عن المهاجرین مما هو معروف الی ان یقیم الحجة او یرجع الی قول من معه الحجة.

---

(۱) یقصد هنا اختلاف من آراء المسلمین فی امر سواد العراق لما فتح اللّه علی المسلمین العراق و فارس، فقد کان من رأی البعض توزیعه علی المسلمین، بینما رأی عمر رضی اللّه عنه ابقاء الأرض فی ایدی اصحابها لیستفید من خراجها المسلمون جمیعا و قد وافقه المسلمون علی رأیه.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۱

و عثمان، فقد عارضوه فی إتمام الصلاة بمنی، و فی الحمی، و فی الحکم بن ابی العاص، و فیمن ولاه من اهله، و أخذوه بإقامة الحدود علیهم، و بإقامة الحجة فیما یأتیه بما هو معلوم «۱».

و علیّ رضی اللّه عنه قد عارضوه فی تولیة أقاربه و فی الحکم الذی أنفذه بما هو معلوم/؛ حتی کان یجری علی هؤلاء الخلفاء الاربعة من صغار رعیتهم فی الفروع و فی صغار الامور ما هو معروف، فکیف یجوز ان یتوهم عاقل تدبر أمورهم و عرف سیرهم. أنه قد کان اقل من الناس فخافهم ان یذکر لهم الحق، او ینطق بحضرتهم، او یتوقی ان یذکر ان یذکر لهم عهدا من رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و سلم) او وصیة لرسول اللّه (صلّی اللّه علیه و سلم)؛ هذا لا یظنه الا أجهل الناس بهم و بأحوالهم، او عاقل بقیس أحوالهم بأحوال من رأی و سمع من الجبابرة و ولاة الجور، فاعرف هذا.

و انما القی هذا الی الإمامیة فیما صنفوه لهم قوم من أعداء الأنبیاء ادعوا التشیع و تستروا بالرفض، لینفروا الناس عمن شید الاسلام و

بناه و نصر الرسول فى حياته و بعد موته، ليخرجهم من الاسلام من حيث لا يشعرون.

و كما صنفوا فى تهمة المهاجرين و الانصار فقد صنفوا أيضا فى تهمة الأنبياء

---

(۱) مجموع المآخذ على عثمان رضى اللّه عنه ثمانية عشر هى:

ضربه لعمار بن ياسر، و لابن مسعود، و جمع القرآن و توحيده فى مصحف واحد، و أنه حمى الحمى و أجلى ابا ذر الى الربذة، و أخرج من الشام ابا الدرداء، ورد الحكم بعد ان نفاه الرسول، و أبطل سنة القصر فى الصلوات فى السفر، و ولى معاوية و مروان و الوليد بن عقبة، و أعطى مروان خمس افريقية، و ضرب بالعصا و علا على درجة رسول اللّه فى المنبر، و لم يحضر بدرا، و لم يقتل عبيد اللّه بن عمر بالهرمزان، و كتب الى ابن ابى سرح فى قتل البعض. و قد رد ابن العربى على هذا كله فى كتابه القيم: العواصم من القواصم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۲

و شتمهم و تكذيبهم، و أنهم قد كانوا يتكلمون بالكذب و بالبهت بحضرة أممهم فيسكتون عنهم خوفا منهم؛ و هذا فعله بالانبياء عمر بن زياد الحداد، و أبو الوراق، و أبو الحسين بن الراوندى، و أبو سعيد الحسن بن على الحصرى، و جابر بن حيان، و هشام بن الحكم، و أمثالهم، كما قد عرفه العلماء «۱»، و كل هؤلاء الذين طعنوا على ابى بكر و عمر و المهاجرين و الانصار لفضل غيظهم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و لأن هؤلاء قاموا بأمره و نصروه فى حياته، و قاموا بدينه بعد وفاته و بثوه فى مشارق الارض و مغاربها، و قتلوا أعداءه صلّى اللّه عليه و سلم من العرب و ملوك الفرس و ملوك الروم و ملوك القبط و ملوك الهند و الترك و أمم الشرك و أدخلوا اممهم فى دينه صلّى اللّه عليه و سلم.

فهذا ذنبهم عند/ علماء الرافضة، و لكن عوامهم لا يفطنون. و لهذا قالت العلماء حين حدثت هذه البدع: لا تسبّوا اصحاب محمد صلّى اللّه عليه و سلم، فإنهم أسلموا من خوف اللّه و أسلم الناس بعدهم من خوف أسيافهم. ثم يقال لهؤلاء:

قد وجدنا امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى اللّه عنه مكاشفا بالحق فى جميع احواله، لا يخاف من احد من المخلوقين و ان كان وحده و الناس عليه؛ فإن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم خلّفه بمكة و هى إذ ذاك دار كفر فما خافهم و لا فارقهم مع وحدته و تفرده، و قد كاشف معاوية و هو فى مائة ألف سيف، و لعنه بلسانه، و قنت عليه فى صلاته، و ضربه بسيفه، و بيّن له و إن علم انه لا يقبل، و قد كاشف الخوارج و برىء منهم و ان علم انهم لا يقبلون و هم كانوا

---

(۱) سبق ان عرفنا بهؤلاء الأشخاص، اما جابر بن حيان فهو ابو عبد اللّه جابر بن حيان بن عبد اللّه الكوفى، قال ابن النديم: «و اختلف الناس فى امره»، فقالت الشيعة: انه من كبارهم، و زعم الفلاسفة انه كان منهم، و ذهب اهل صناعة الذهب و الفضة الى انه رئيسهم. و ذلك انه كان واسع الثقافة، له باع طويل فى التأليف فى مختلف العلوم.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۳

أصحابه و بهم صال على عدوه و استطال، و أقام على مخالفتهم و إن فرقوا عنه اصحابه و إن قتلوه «۱»، فما قاربهم فى كلمة، لأنهم قالوا له: إن تبت من الحكومة رجعنا لك كما كنا و قاتلنا عدوك، و إن أبيت اقمنا على حربك و قاتلناك حتى نقتلك او تقتلنا، فقال لهم: انتم دعوتمونى الى الحكومة، قالوا: صدقت فقد تبنا و ما كان لنا ان ندعوك و ما كان لك ان تجيبنا و لا تحكم الرجال فى دين اللّه، فقال: بل كان لى ان احكم، فلو كان ذلك معصية لما أجبتكم إليه، و من زعم ان الحكومة ضلال فهو أضل، و من زعم انى ارجع عنها فقد كذب. فصبر رضى اللّه عنه على ذلك و لم يقاربهم فى لفظة تحتمل التأويل، لأنه لو قال انا تائب الى اللّه من كل ذنب و خطيئة و هو يعنى غير الحكومة، لكان اللفظ يحتمل، و يتلافاهم و يردّهم و يكون بهم فى عسكر عظيم/ كما كان قبل رجوعهم عنه،

و یصول بهم علی عدوه. فلم یفعل، و أقام علی حربهم، الی ان قتلهم و قتلوه رضی الله عنه؛ فما لان فی کلمة تحتمل التأویل، لیبیّن للأولین و الآخرین امر الدین، فما داراهم و لا قاربهم مع حاجته إلیهم و خوفه من أسیافهم؛ فهو ما کان یخاف الجبابرة و الأحیاء الذین هم فی عساکر و یخافهم الناس فکیف یخاف من ابی بکر و عمر و عثمان فی حیاتهم و بعد مماتهم، و هم فی حیاتهم و سلطانهم ما خافهم محق قط و إن کان عبدا او امرأة ارملة ذمیة. و انما یقول هذا من لا یعرف علیا و لا ابا بکر و لا عمر و لا عثمان؛ فعلیک بالمعرفة فانها حیاة، و الذهاب عن طلبها موت، و قد علم اهل المعرفة و العنایة ان علیا کان فی زمن ابی بکر و عمر و عثمان فی علو الکلمة و نفاذ الامر مثله فی سلطانه، و أنه کان فی سلطان هؤلاء أنفذ امرا و أعلا قولا و أبسط لسانا منه فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و فی حیاته.

---

(۱) لعلها: قاتلوه

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۴

و لا فرق بین من ادّعی ان علیا کان یخاف من هؤلاء الخلفاء او ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم کان یخافهم أیضا، و أنه من خوفهم کان یشهد لهم بالجنة و یزکیهم.

و هذا لازم لهم، بل هو قول الرافضة لأنهم قالوا: ان علیّ بن ابی طالب حجة اللّه علی خلقه کما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و أنه معصوم کعصمة الأنبیاء.

و قالوا مع هذا: قد زکی ابا بکر و عمر و عثمان، و صاهر بعضهم، و صلی خلفهم، و حج معهم، و دخل الشوری و عمل بالاختیار، و صلی خلف صهیب کما وصّی عمر، و أطاع عمر کما وصّی ابو بکر، و عمل لهم اعمالا کثیرة، و أظهر تزکیتهم، و مدحهم بایمانهم و إن کانوا کفارا، کل هذا خوفا منهم و ممن بعدهم من شیعتهم فما تبین/ الحق الی ان خرج من الدنیا.

قلنا: فاذا کان هذا هو الحجة و المعصوم و القائم مقام الرسول فعل هذا بغیر حق، لم نأمن أن یکون کل من صاهر النبی و مدحه و نص علیه و شهد له بالجنة و أمر الناس بطاعته ان لا یکون هذا حاله، و أنه فعل مثل فعل هذا الحجة، و هذا ما لا حیلة لهم فیه، و فیه فساد الدیانات کلها، و إلی هذا قصد هشام ابن الحکم حین وضع هذه البدعة فاعرف ذلک «۱».

---

(۱) وردت بهامش اللوحة ۱۱۱ التعلیق التالی:

رحمک اللّه یا سیدنا اقضی قضاة الحکم القاضی عبد الجبار، أحسنت فی حججک علی الفاسقین الملاعین الکلاب المارقین الکاذبین الخاطئین المنحرفین عن الحق الخبثاء الروافض، کبتهم اللّه تعالی و أبعدهم، حیث یفسقون اصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم رضی اللّه عنهم اجمعین، قلت: ما رأیت کلام رد علی الملاعین الروافض أحسن و أدق و أثبت و أقوی و أنجح من هذه الحجج التی ذکرها القاضی عبد الجبار المعتزلی فی کتابه هذا، فلا بد للمعتنی بردهم ان ینظر فی هذا الکتاب المبارک، و هذا قلیل الوجود و غیر معلوم لأکثر الناس، و لو علموا اسمه لا یعلمون ما فیه من الفوائد الکثیرة، فاحتفظ و کرر نظره. و لکن مؤلفه مشهور بالاعتزال فان تاب منه فمحله الفردوس الأعلی فی مقام المقدمین ان شاء اللّه حیث نفع المسلمین بهذه الحجج و اللّه اعلم.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۵

باب آخر [اکفار الرسول صلّی اللّه علیه و سلم للعرب و سائر الامم الاخری و اسخاطها و کیف عصمه اللّه من اذاهم]

قد علمت الحال التی ابداها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم حین ادعی النبوة و دعا الی اللّه، فانه اکفر الامم کلها و تبرأ منها و اسقطها و اسخطها و اغضبها، فما اعتصم بمخلوق کما قد تقدم ذکر ذلک. فکانت العرب و الیهود و النصاری و قریش و غیرهم یدا واحدة فی

عداوته و طلب عثراته و الحرص على قتله، و هو بينهم على وحدته، فيصرفهم اللّه عن ذلك بوجوه لا- هو يعرفها و لا هم، و بوجوه يعرفها و يعرفونها. غير انهم قد كانوا ينالونه بالشتم و الضرب و يلقونه بالأرض و يدوسونه بأقدامهم و يلقون الفرث و التراب على رأسه، ثم صار الواحد بعد الواحد و النفر بعد النفر يجيبونه و هذه حاله، فيلقون معه الضرب و الهوان، و يعذبون و يجاعون و يحصرون فى الشعاب، و منهم من يقتل، و لا يمكنهم المقام معه بمكة فيهربون بأديانهم، و يعبرون البحار، و النبى صلّى اللّه عليه و سلم مقيم بمكة معه ابو بكر و نفر يسير.

و كان يخرج فى المواسم الى العرب، و يتلو القرآن، و يدعو الى اللّه، و يقيم الحجة، و قريش من اهل بيته يخرجون الى العرب يقولون لهم: لا تسمعوا منه فانه ساحر كذاب و نحن اهل بيته و أعرف به، و يقولون: «لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» و يمنعونه صلّى اللّه عليه و سلم/ من البيان و الاستيفاء، و ربما شغلوه بالضرب، يتولى ذلك منه عمه ابو لهب و أشباهه، فيقول له العرب:

اهلك اعلم بك، ما نجيبك، فاذهب عنا فقد عاديتنا و خالفتنا و اسمعتنا فى آلهتنا و آبائنا و أنفسنا ما لا نحب، و تستجيب له القبيلة بعد القبيلة من قبائل طىء و قبائل اسلم. و تسامعت به قبائل عبد القيس من ربيعة فأتوه و سمعوا

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۶

منه و اسلموا طوعا بهذه الشرائط، و تسامعت به بنو قيلة من قبائل الاوس و الخزرج فأتوه و سمعوا منه القرآن و الحجة فأسلموا، و رجعوا الى قومهم فجاؤوا بهم إليه عاما بعد عام فأسلموا و بايعوه، و رجعوا الى قومهم و هم قبائل كثيرة فأسلم اكثرهم طوعا بهذه الشرائط.

و هاجر اصحابه الى المدينة بعد الذين هاجروا الى ارض الحبشة، و قال الانصار للنبى صلّى اللّه عليه و سلم: انا كثرة و نمنع منك و نجاهد الأمم كلها معك و نطيعك فى المحيا و بعد المحات و لا تأخذنا فى اللّه لومة لائم؛ فأخذ ذلك عليهم و انصرفوا. ثم صار إليهم مع ابى بكر الصديق رضى اللّه عنه، و صار فى عز و منعة و فى عسكر، و دعا الى اللّه، و كانت له غزوات و وقائع، و ما زال امره يقوى حتى ذلت اليهود و النصارى فى جزيرة العرب و هم قبائل كثيرة، حتى ادوا إليه الجزية، و حتى صار من لا يعتقد نبوته فى جزيرة العرب لا يمكنه اظهار ذلك لكثرة المهاجرين و الأنصار و أمثالهم ممن يعتقد نبوته و صدقه، و حتى غزا الروم غزاة تبوك و هى آخر غزواته فى ثلاثين ألفا غير من خلفه من عماله و اصحابه فى جزيرة العرب و هى «۱»، اوسع من بلاد الروم.

و قبض صلّى اللّه عليه و سلم بالمدينة و الغلبة فيها لمن يعتقد صدقه و نبوته من المهاجرين و الانصار و اتباعهم/ و امثالهم، و هم الذين احاطوا بأبى بكر و أقاموه خليفة و غزوا من ارتد عن دين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حتى غلبوهم و أذلوهم و قتلوهم، و غزوا فارس و الروم و امم الشرك و جميع اعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أذلوهم

---

(۱) فى الاصل: و لها، و لعل الصحيح ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۷

و قتلوا ملوكهم و ادخلوهم طوعا و كرها فى دين رسول اللّه و فى شريعته و ادخلوا بلدانهم فى بلدان الاسلام، و لم يكن لهم شغل إلا اعزاز دينه، و إقامة نصوصه، و احياء شريعته و بثها و نشرها و إظهارها، و إعزاز من اقام بدينه و اذلال من تعرض لامانة شىء منه.

و كانوا بعد وفاته اشد بصيرة منهم فى حياته، لأنهم كانوا فى حياته يتكلمون على تدبيره، فلما مات، و صار الامر إليهم، زاد تيقظهم، فرفضوا كل راحة، و هجروا كل لذة، و قصدوا لإقامة نصوصه و احياء شريعته الى ان يلقوا الارض كلها بذلك؛ و ما عندهم عمل ازكى من هذا.

و انما يظن ان نصوصه كانت تبدل و ان كتابه كان يغير و ان بنته كانت تلطم، الذى لم ينظر و لم يتدبر، و هو كمن قال انه صلّى اللّه

علیه و سلم کان بالمدینة یضرب و یشتم و یداس بحضرة المهاجرین کما کان بمکة، و هذا لا یظنه إلا الغایة فی الجهل بشأن المهاجرین و الانصار.

فان قیل: او لیس قوم موسی قد عبد قوم منهم العجل فی حیاته و حیاة اخیه هرون، فلم انکرتم ان یرتد المهاجرون و الانصار عن دین محمد صلّی اللّه علیه و سلم، او لیس قد کانوا علی ذلک قادرین؟

قیل له: إن هذا السؤال لا یسأل عنه من فهم ما قلنا، لأنا لم نقل:

ان هؤلاء ما ارتدوا من طریق التزکیة لهم، و لا من طریق حسن الظن بهم، و لا محاباة لهم، و لا لأنهم ما قدروا علی ذلک؛ بل قد کانوا علی ذلک قادرین و لکنهم ما اختاروا ذلک و لا/ فعلوه، کما علمنا ان صاحبهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ما رجع عما کان علیه و ان کان علی ذلک قادرا، و ان کان عدوه قد ادعی علیه انه رجع و اظهر الشک فی امره بقوله: «ما أَدْرِی ما یُفْعَلُ بِی

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۸

وَ لا بِکُمْ» «۱» و بقوله: «فَإِنْ کُنْتَ فِی شَکٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ فَسْئَلِ الَّذِینَ یَقْرَؤُنَ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکَ» «۲». و هذا قد ادعاه علیه رؤساء الرافضة الذین قدمنا ذکرهم.

و لا تکون الردة بالقیاس فیقال: کما ارتد قوم موسی ینبغی ان یرتد قوم محمد صلّی اللّه علیه و سلم؛ هذا لا یظنه إلا الغایة فی الجهل و البله و النقص، و هؤلاء قالوا: کما قتل یزید بن معاویة الحسین فینبغی ان یکون ابو بکر قد ضرب فاطمة و قتل الحسن، فالعلم بأنه علیه السلام ما رجع عن دینه و أن ابا بکر و عمر و المهاجرین و الأنصار ما رجعوا عن دینه بعده قبل العلم بنبوته و صدقه و أنه دعا الی حق، و العلم بإقامة ابی بکر و عمر و المهاجرین و الانصار علی دینه علیه السلام کالعلم بإقامته هو علی ذلک، و العلم بذلک قبل العلم بنبوته.

و ما منزلة من ادّعی علیهم ذلک إلا کمن قال لنا: کنت بالقسطنطینة من بلاد الروم فوجدتهم یشتمون بولص و یبرؤون منه و یبسقون «۳» علی الصلیب، فقلنا له: کذبت، فقال: و لم کذبتمونی و ما کنتم معی، او لیس بولص کافر یستحق الشتم و یجب ان یبسق علی الصلیب و لا یعظم؟ قلنا: و إن لم نکن معک فعقولنا معنا، و علمنا ان الغلبة هناک لمن یعظم الصلیب و بولص «۴».

---

(۱) الاحقاف ۹

(۲) یونس ۹۴

(۳) یبسقون: ای یبصقون

(۴) لم نحاول ان نعلق علی ما یورده القاضی حول ما یوجهه الرافضة الی الخلفاء الراشدین من اتهامات لأن القاضی یتبنی وجهة نظر اهل السنة تماما، و فی شرحه ما یکفی عن التعلیق.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۳۹

او بمنزلة من قال لنا: کنت بالأندلس فوجدتهم یلعنون معاویة و یبرؤون منه و من مروان بن الحکم و ولده کما یفعل ذلک بالکوفة و المدینة، لقلنا:

کذبت، فقال: انتم لم تکونوا معی فصدقونی او شکوا فی خبری، قلنا:/ و إن لم نکن معک فعقولنا معنا، و قد علمنا ان الغلبة هناک لمن یقول بإمامة معاویة و مروان و ولده.

فهذه سبیل من ادّعی علی ابی بکر و عمر و المهاجرین و الانصار ما یدّعیه الرافضة.

و من عجیب امورهم قولهم: هذا کعبادة قوم موسی العجل، فیجعلون الردة و الکفر و الایمان بالقیاس، و الذی اخبرنا ان قوم موسی عبدوا العجل هو الذی عرفنا بعقولنا ان أصحاب محمد صلّی اللّه علیه و سلم أقاموا علی دینه، و الذی عرفنا بالخبر ان یزید بن معاویة

قتل الحسين و أشخص ذريته الى الشام هو الذى عرفنا بعقولنا أن ابا بكر ما ضرب فاطمة و لا قتل المحسن؛ و هذا فى القياس كمن قال: اذا كان يزيد بن معاوية قد غزى المدينة و مكة و استباحهما ان يكون ابو بكر قد فعل مثل ذلك، و إذا كان معاوية قد قتل عمار بن ياسر ان يكون ابو بكر «۱» قد قتل العباس بن عبد المطلب، و إذا كان معاوية قد قتل ولدين لعبد اللّه بن العباس ان يكون ابو بكر قد قتل اربعة أولاد من ولد العباس، و أن يكون عمر و عثمان قد فعلا مثل ذلك؛ او كمن قال اذا كان بنو اسرائيل قتلوا الأنبياء ان يكون اصحاب محمد صلّى اللّه عليه و سلم قد فعلوا ذلك.

---

(۱) فى الاصل: أبا بكر

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۰

و قيل أيضا للرافضة: اذا كان ابو بكر قد ضرب فاطمة و قتل المحسن فقد كان ينبغى ان يحصل العلم بذلك عند كل من سمع الأخبار، و أن يكون العلم بذلك مثل العلم بقتل يزيد الحسين، و مثل قتل معاوية حجر بن عدى، و عبيد اللّه بن زياد مسلم بن عقيل. بل كان ينبغى ان يكون العلم بما ادعيتم اقوى من العلم بهؤلاء القتلى، لأن هذه الحادثة التى ادعيتموها على ابى بكر كانت بالمدينة، و قد شهدها العباس و ولده، و علىّ بن ابى طالب و ولده، و عقيل و ولده، و جميع بن هاشم و مواليهم و نسائهم، و جميع/ المهاجرين و الانصار و أولادهم و نسائهم؛ و قد كان بالمدينة حين توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم اكثر من مائة ألف إنسان، فكان يكون العلم بهذا أقوى مما «۱» كان بكربلاء، و لكن دعاوى الرافضة فى ضرب فاطمة عليها السلام و قتل ولدها و أمر ابى بكر خالد بن الوليد بقتل علىّ بن ابى طالب، كدعواهم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم النصوص التى يدّعونها، و كل من تأمل امرهم تبين له بطلان ذلك و وضح له وضوح الشمس.

و مما يزيدك بيانا بشأن هؤلاء الخلفاء و المهاجرين و الانصار و لزومهم لوصايا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، ان عثمان بن عفان لما اتم الصلاة بمنى انكر عليه للوقت على ابن ابى طالب بحضرة الناس كلهم فقال له: أ لم تصل مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم هاهنا ركعتين؟ قال: بلى، قال: أ فلم تصل مع ابى بكر هاهنا ركعتين؟

قال: بلى، قال: أ فلم تصل مع عمر هاهنا ركعتين، قال: بلى، قال:

أ فلم تصل بنا هاهنا شطر خلافتك ركعتين؟ قال: بلى، قال: فلم اتممت، و ما عذرك فى ذلك؟ قال: نكحت امرأة بمكة و سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: من تأهل بأرض فهو من اهلها، و لى مال بالطائف نويت مطالعته؛

---

(۱) فى الاصل: ما

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۱

و بعد، فقد بلغنى عن طغام من اهل اليمن انهم قالوا: صلاة المقيم ركعتان، هذا امير المؤمنين عثمان يصلى ركعتين.

و لما نهى عثمان عن القرآن «۱» و أمر الناس بإفراد الحج بلغ ذلك عليا، فدخل عليه فقال له: بلغنى انك نهيت من القرآن، ثم قال علىّ: لبيك اللهم لبيك بحجة و عمرة، فقال له عثمان: لم فعلت هذا و قد نهينا عنه؟ قال: ما كنت لأدع شيئا أجازه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لقول احد.

و لما ادّعى على الوليد بن عقبة عامل عثمان على الكوفة و أخوه لأمه شرب الخمر، قال له علىّ أشخصه فاسمع الشهادة، فأشخصه و سمع الشهادة فجلده علىّ بيده، و الوليد من اشراف قريش، و قد كان رسول اللّه/ صلّى اللّه عليه و سلم يستعمله، و استعمله عمر و عثمان، و هو كثير الفتوح فى الاسلام، و هو اخو امير المؤمنين فما تهيبه.

و لما تكلم من تكلم فى عثمان لأنه ولىّ أقاربه و آثرهم، و قالوا لعلىّ إن عمر لم يفعل مثل هذا بأقاربه، فقصده علىّ و قال له: ورائى

قوم و قد كلمونى فيك و ما ادرى ما اقول لك؟ ما نعرف شيئا تجهله، و لا ادلك على امر لا تعرفه، ما سبقناك الى أمر فنبلغكه، و لا خلونا بأمر فنخبرك به، و لا خصصنا بأمر دونك، و إنك لتعلم ما نعلم. و اللّه ما ابن ابى قحافة بأولى من عمل الحق منك، و لا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، أنت أقرب الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم رحما و قد نلت من صهره ما لم ينالاه، فاللّه اللّه فى امرك فانك و اللّه ما تعلم من جهل، و لا تبصر من عمى، و إن الحق لواضح بيّن، و إن اعلام الدين لقائمة. فقال له عثمان: لقد علمت ليقولن الذى قلت،

---

(۱) القرآن: اى ان يقرن الحج بالعمرة

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۲

و لو كنت مكانى ما عتقتك و لا اسلمتك، و لا جئت منكرا ان وصلت رحما، و سددت خلة، و آويت ضائعا، و وليت شبيها بمن كان عمر يولى. أنشدك اللّه يا علىّ، هل علمت ان المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال:

فهل علمت ان عمر كان يوليه؟ قال: نعم، قال: فلم تلومنى أنت ان وليت ابن عامر مع رحمه و قرابته؟ فقال له علىّ: سأخبرك، إن عمر كان من ولّاه فإنما يطأ على سماخه، إن بلغه حرف جلبه و بلغ منه الغاية، و أنت لا تفعل ذلك، ضعفت و رفقت على اقاربك. فقال له عثمان: و هم اقاربك أيضا، فقال له علىّ: أجل، إن قرابتهم منى لقريبة و لكن الفضل فى غيرهم، قال له عثمان: هل تعلم ان عمر استخلف معاوية؟ قال: نعم، قال: فقد/ استخلفته كما استخلفه، قال له علىّ: انشدك اللّه، هل تعلم ان معاوية كان أخوف من عمر من أرفا غلام عمر من عمر؟ قال عثمان: نعم، قال له علىّ:

فإن معاوية لا يخافك و يقتطع الأمور دونك، و يقول للناس: هذا امير المؤمنين عثمان.

و كان علىّ يعنفه فى أقاربه، و يقول له فى وجوههم: لا يغلب عليك مروان و الوليد و سعيد «۱»، لا تطعهم؛ فيقول أهله له: هذا قوله لك فى وجهك و وجوهنا فكيف بما يقوله للناس من ورائك و أنت امامه و ابن عمه؛ فيقول لهم عثمان: هو انصح لى منكم.

و كان علىّ رضى اللّه عنه يوافقه على صغار الأمور و كبارها و يدبر أمره، فإذا لم يقبل منه فى أمر من الأمور عنفه و لامه و قعد عنه، فيرسل إليه عثمان و يجيء به، فيقول له: قعدت عنى و كنت لأبى بكر و عمر انصح، و أنا

---

(۱) يقصد مروان بن الحكم، و الوليد بن عقبه، و سعيد بن العاص.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۳

أولى بذلك منك، و أنا إمامك و ابن عمك، فيقول له علىّ: كانا يقبلان و لا تقبل، أكون معك على امر فيجيئك مروان و سعيد و الوليد فيزيلانك عنه.

ثم يقول علىّ رضى اللّه عنه للناس: من عذيرى من هذا؟ أكون معه على أمر فيدع رأيى و يأخذ برأى مروان و الوليد، فإن قعدت عنه يشكونى و يقول:

قطعت رحمى و لم تقض حق بيعتى.

فانظر كيف يصنع به الأمور الصغار التى غيرها اولى، و يأخذه بما هو أفضل، و يشير عليه ان يسير بالمسلمين سيرة ابى بكر و عمر، و أن يأخذ بالفضل و لا يترخص و لا يزول من سيرتهما، فأى عاقل تدبر و فكر يقع له ان هؤلاء كانوا يظلمون بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و يبدلون القرآن و يعطلون النصوص و يغيرون الشريعة فيسكت عنهم.

و بمثل هذا كانت تشير عليه عائشة رضى اللّه عنها، و تحذره مخالفة سيرة ابى بكر و عمر، و بهذا كتبت إليه أمّ سلمة: أى بنى، ما لى ارى رعيتك/ عنك مزورين، و عن جنابك نافرين، لا تعف سبيلا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لحبها «۱»، و لا تقدح بزند

کان اکباها «۲»، و توخ حیث توخی صاحباک فإنهما ثکما الأمر ثکما و لم یظلما «۳» و السلام. فأجابها بالجواب المعروف «۴».

و عتب قوم علیه ان حمی الحمی، و ما رآه فی خمس إفریقیة کما فتحها، و فیمن سیره من اللعّابین بالحمام و الرامین بالجلاهق «۵» فیما کان فی الکتاب

---

(۱) فی القاموس: لحب: سلک، و اللحب: الطریق الواضح.

(۲) فی القاموس: کبا الزند لم یور.

(۳) فی القاموس: ثکم آثارهم: اقتصها، و ثکم الطریق: لزمه.

(۴) أم سلمة هی هند بنت أبی أمیّة، احدی زوجات الرسول (ص)، و کانت قبله عند ابی سلمة عبد اللّه بن الاسد المخزومی توفیت سنة تسع و خمسین هجریة.

(۵) الجلاهق: البندق الذی یرمی به

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۴

المنسوب إلیه فی شأن محمد بن ابی بکر الصدیق و النفر المصریین؛ و هی کانت الطامة فی السخط علیه و النکیر له، و ما اقر بأنه کتب الکتاب و لا قامت علیه بینة، فقالوا: کاتبک کتبه فما اقر کاتبه، و قال لهم: الخط قد یشبه الخط. فلم یزل الانکار علیه فی هذه الأمور الی ان اغتیل بالسحر و قتل.

و لیس فی هذه تعطیل نص و لا- تبدیل قرآن و لا- تغییر شریعة، و انما هی امور من طریق الرأی و الاجتهاد کان له أن یفعلها فجری علیه. هذا کله فی شیء هذه سبیله، و هو الخلیفة و السلطان و الملک، و إلیه السوط و العصا و بیده الضر و النفع، مع شرف رهطه و قرب قرابته و ظهور ثروته و کثرة عدوه و أعوانه و من تعصب له، فکیف یتوهم عاقل تدبر، ان النصوص کانت تعطل و القرآن یغیر و الشریعة تبدل و هم سکوت.

و هذا علی بن ابی طالب مع فضله و زهده و علمه و سوابقه و آثاره الجمیلة فی الاسلام و قریب قرابته، قد انکروا علیه ان ولی اقاربه، فقیل له: علام قتل عثمان بالأمس؟ ای لأنه ولی اقاربه، فقال لهم: ما علمت إلا خیرا، فإن انکرتم فأنکروا. و لما بعث الحکم ارتدوا عنه «۱»، و قالوا: ضعفت و حکمت الرجال فی دین اللّه و ما کان ذلک لک،/ و شککت فی نفسک؛ فتب الی اللّه و إلا- قاتلناک و جاهدناک، او تقتلنا او نقتلک. فقال لهم: لو کانت الحکومة معصیة لما جئت إلیها و کان لی ان احکم، و قد امر اللّه بالحکومة فی شقاق یکون بین المرأة و زوجها و فی ارنب تصاب فی الحرم

---

(۱) یقصد قصة التحکیم المشهورة، و ذلک حین ألح اهل العراق علی علی بقبول التحکیم الذی عرضه معاویة، فارسل ابا موسی الاشعری بالحاح منهم و کان یرید ارسال عبد اللّه بن العباس، و بعث معاویة بداهیة العرب عمرو بن العاص، و کان ما کان من الحادثة المشهورة و ما تلاها من خروج الخوارج علی علی و تکفیره لقبول التحکیم.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۵

تساوی ربع درهم؛ فقال عز و جل: «یحکم به ذوا عدل منکم»، فکیف بإمامة قد اشکلت علی المسلمین فقاتلوه و قاتلهم، و قتلهم و قتلوه، فی امر لیس فیه تعطیل نص و لا تغیر قرآن، و إنما هو شیء من طریق الاجتهاد، و کان له رضی اللّه عنه ان یفعله. و قد بلغوا فی الانکار علیه هذا المبلغ، فکیف بتغیر القرآن و النصوص و ظلم ابنة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، لتعلم فحش غلط هؤلاء القوم، و ان ابا بکر و عمر و عثمان و علیا رضی اللّه عنهم لو راموا بأجمعهم تعطیل نص لرسول اللّه، او تغیر آیة واحدة من کتاب اللّه، او ظلم امرأة ارملة ذمیة لقتلوا بأجمعهم. و قد عرف اهل العلم و التحصیل، ان اهل البصائر، و من یعتقد دین محمد صلّی اللّه علیه و سلم و

نبوته و صدقه و اجلال من اجل و تعظیم من عظم و إهانة من اهان فی زمن ابی بکر و عمر اکثر و أوفر، و الغلبة لهم، و الامر بأیدیهم، و هم کانوا الظاهرین القاهرین، و هم ولّوا ابا بکر و عظموه و اجلوه و قدموه تقربا الی اللّه، لأن رسول اللّه قد کان یقدمه و یعظمه و یجله و یکرمه؛ و لهذا کان یقول الرؤساء فی ذلک الزمان من اقارب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و قد رأوا تعظیم المهاجرین و الأنصار ابا بکر، و طاعتهم له، و تنفیذهم وصایاه و وصایا خلیفته بعده: کان و اللّه حلوا فی افواههم، جلیلا- فی اعینهم، مهیبا فی صدورهم، علی سکون ریحه و لین جانبه./ فلا تظن ما یقول طوائف الامامیة و الرافضة فیهم إلا الغایة فی الغافلة و ترک النظر؛ و تعلیل الرجال هو الذی یوقع الناس فی الضلال.

و باب آخر [الاخوة و المودة التی کانت قائمة بین الصحابة]

إن بین ابی بکر و عمر و تلک الجماعة و بین بنی هاشم مع اخوة الاسلام فضل مودة و صداقة، یمدح بعضهم بعضا و یزکّی بعضهم بعضا، و یتصاهرون،

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۶

و یری بعضهم بعضا أهلا للإمامة و الولایة، و ینصح بعضهم بعضا. أ لا تری أنهم بایعوا ابا بکر، و صلّوا خلفه، و غزوا معه؛ و نفذوا وصیته بعد موته فی عمر، فاجتمعوا کلهم فی طاعته؛ و نفذوا وصایا عمر بعد موته و صلّوا خلف صهیب، و رجعوا الی عبد الرحمن کما وصّی، فغزا امیر المؤمنین علی بن ابی طالب مع ابی بکر رضی اللّه عنهما الربذة و الی ذی القصّة «۱».

و لما همّ ابو بکر بالخروج عن المدینة و المسیر الی اصل الردة، اخذ امیر المؤمنین علی بعنان فرسه و قال له: اقول لک کما قال لک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یوم أحد: شمّ سیفک، و ارجع مکانک، و متعنا بنفسک، و أنا أقول لک:

أنقذ جیشک و ارجع الی المدینة، فإنک إن هلکت لم یکن للاسلام بعدک نظام، فقبل رأیه و رجع.

و قد غزا غیر واحد من بنی هاشم فی زمن عمر، و فی غزواته هلک الفضل ابن العباس بالشام فی طاعون عمواس فی خلافة عمر، و قد خرج العباس معه الی الشام و غیره من بنی هاشم، و خلف علیا أمیرا علی المدینة فی بعض خرجاته الی الشام، فانه خرج إلیها اربع مرات، فدخلها فی بعضها، و فی بعضها لم یدخل، و زوجه امیر المؤمنین علیّ ابنته أمّ کلثوم و أمها فاطمة بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم،/ و کان له منها زید و رقیة.

و قبل ذلک ما زوج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ابا بکر الصدیق اسماء بنت عمیس الخثعمیة، و کانت تحل من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم محل ابن الأخوات و تختص به و بنسائه و تکون فی بیوته. و کانت من المهاجرات بدینها الی ارض الحبشة و إلی المدینة، و کانت قبل ذلک امرأة جعفر بن ابی طالب، و کان له منها

---

(۱) انظر الطبری ۳: ۲۴۱ و ۲۴۷

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۷

غیر واحد من الأولاد، فجعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم أبا بکر کافل بنی هاشم و مربی ابنائهم، فربّی أولاد جعفر بن ابی طالب و کفلهم و أدبهم، منهم: عبد اللّه ابن جعفر بن ابی طالب، و أخوه محمد. و کان عبد اللّه بن جعفر یذکر من برّ ابی بکر بهم و رأفته و تأدیبه لهم ما یطول شرحه. و خلف امیر المؤمنین علی و عمر علی المدینة فی خروجه الی جسر مهران «۱»، و أشار علیه حین تکاتبت الأعاجم بإخراج المسلمین من دیارهم «۲»؛ و کان یزدجرد بن شهریار ملک فارس الذی أخرجه عمر من ملکه حیّا مقیما عند خاقان ملک الترک و قد صاهره یستعینه علی المسلمین، فراسل أهل مملکته بإخراج المسلمین من دیارهم، و أنه یوافیهم فی الجیوش و یسیر الی المدینة فیقتل عمر و یستأصل الاسلام، فکتب المسلمون الذین فی ممالک الفرس الی المسلمین بالکوفة بهذا، و کتب أهل الکوفة

الی امیر المؤمنین عمر، فخطب النـاس و قـال: أیهـا الناس، إن الشـیطان قـد جمع جموعه، و إن الأعاجم من اهل جرجان و طبرسـتان و الریّ و أصـفهان و همـدان و نهاونـد، قـد تکاتبوا و تعاهـدوا فی اخراج المسـلمین من دیارهم و قصدهم الی بلادکم، و هذا یوم له ما بعده، فأشیروا علیّ.

فقام طلحة بن عبد اللّه، فقال،/ فجزاه خیرا ثم امره بالجلوس، ثم قال:

أشیروا علیّ، فقام عثمان بن عفان، فقال: أری یا امیر المؤمنین ان تکتب

---

(۱) سمی الجسر بذلک لأن قائد الفرس کان مهران بن مهر بنداد الهمذانی و کان قائد المسلمین المثنی بن الحارثة، و سمیت المعرکة معرکة جسر مهران. و کان عمر رضی اللّه عنه قد هم بالخروج مع المسلمین فی تلک الموقعة.

(۲) کان ذلک فی سنة ۱۹- ۲۰ للهجرة. فقد تکاتبت الفرس و اهل الری و قوس و اصـبهان و همذان و الماهی و تجمعوا الی یزدجرد آخر ملوک فارس. فبعث عمر بعد مشورة الصحابة بجیش و ولی علیه النعمان بن مقرن المزنی. فتوح البلدان، ۴۲۴.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۸

الی اهـل الیمن فیسـیروا إلیـک من یمنهم، و إلی اهـل الشـام فیسـیروا إلیـک من شـامهم، و تسـری بأهـل هـذین «۱» الحرمیـن و أهل المصـرین: الکوفـة و البصـرة، و تلقی العـدوّ بنفسـک، فـاذا رآک فی جموعک و عساکرک هاله أمرک، و قل هو و جیوشه فی أعین المسـلمین، ففعلت و فعلت، فجزاه خیرا و أمره بالجلوس، ثم قال: أشیروا علیّ، فقام علی بن ابی طالب، فقال له: یا امیر المؤمنین، أما ما کرهته من مسیرهم فان اللّه عز و جل لذلک أکره، و إنک یا امیر المؤمنین إن سیّرت اهل الیمن من یمنهم سارت الحبشة الی دیارهم، و إن سـیّرت اهـل الشـام من شامهم سارت الروم الی دیارهم، و إن سـرت بأهل الحرمین انتقضت العرب علیک، فکان ما وراءک اهم لک مما بین یـدیک، و إن رآک العـدوّ ازداد کلبه علیک و قال لأصـحابه: هـذا واحد العرب فان قطعتموه قطعتم العرب کلها. و لکن أری ان تکتب الی اهـل الیمن، فیکون ثلثهم فی اهـل عهـدهم و ثلثهم فی ثغورهم و یسـیر منهم الثلث إلیـک، و تکتب الی أهل الشام بمثل ذلک، و تقیم بمکانک و تنفذ امیرا یلقاهم، فان هلک أنفذت امیرا مکانه، فقد علمت انّا کنّا فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم نقاتل بالبصیرة لا بالکثرة، فجزاه خیرا و أمره بالجلوس، ثم قال: هذا و اللّه هو الرأی؛ إن انا أشخصت أهل الیمن من یمنهم سارت الحبشة الی دیارهم، و إن سیّرت اهل الشام من شامهم سارت الروم إلیهم، هذا و اللّه هو الرأی ان ساعدتمونی علیه، فقالوا: نساعدک، فعمل علی ذلک، و أنفذ الجیش، و أقام علی ما اشار علیه علیّ؛ و کم له معه مثل هذا، و شرحه/ یطول.

و کم قد أشار علیه العباس و نصح له مما هو مذکور معروف عند العلماء،

---

(۱) فی الأصل: هذه

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۴۹

و کم قد اشارا جمیعا علی عثمان و غیرهما من بنی هاشم، و کم قد غزا الحسن، و الحسین، و عبد اللّه بن جعفر، و عبد اللّه بن العباس، و غیرهم من بنی هـاشم مع امراء عثمان الی خراسان و غیرها، و کم کان یقول عمر علی المنبر: أقضانا علیّ، و یقول: لا تکون نازلـة لا یشـهدها علی بن ابی طالب؛ و ولاه القضاء بالمدینة، و تولی، فکان یقضـی و یفتی، و استسـقی بالعباس، و ألحق الحسن و الحسین فی العطاء بالبدریین، و لما دوّن الدواوین، کتبوا اسمه فی اول الدیوان، فقال لهم: لم فعلتم هذا؟ فقالوا له: أنت امیر المؤمنین، فقال: ابدؤوا بطرفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: هاشم و زهرة، وضعوا عمر و آل عمر حیث وضعهم اللّه، و أدخل علیا فی الشوری: و کان لعلیّ فی اولاده من یسـمی أبا بکر و عمر و عثمان کما یسمی الرجل اولاده بأسماء أحبابه و أئمته، و قد کان للحسین علیه السلام ولد یقال له ابو بکر قتل معه بکربلاء، و کان لیلی بن الحسین ولد اسمه عمر، و قد کان فی أولادهم مثل هذا کثیر، و شرح هذا یطول،

و کـذلک شـرح ما کان بینهم من المودة و الصداقـة و حراسة بعضـهم لبعض، و مدح بعضـهم لبعض یطول، و للعلماء فیه کتب مفردة مخلـدة، أنت تجـدها اذا طلبتها. و لکن طال العهـد و غلب الجهل، فظن من لا علم له انهم کانوا متباعدین متباغضـین، و أن الذی کان بینهم من العـداوة و البغضاء أشد مما کان بینهم و بین معاویة و ولده و مروان بن الحکم و ولده کما ظنت المنانیة و من ذهب مذهبها، ان عیسی بن مریم «۱» علیه السـلام کان عدوا لموسی و هرون و داود و سلیمان/، و أنه کان یحرم أکل اللحمان و ذبح الحیوان، و کما یظن من لاـ یعلم ان هـذه الطوائف من النصـاری علی دین المسـیح و فی طـاعته. و للبغضـاء رحمک اللّه حال مبینـة، و للمحبـة آثار و أعلام. أ لا تری ان

---

(۱) فی الأصل بعد کلمة مریم لفظة کان، و هی زائدة.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۰

معاویـة و آل ابی سـفیان و آل مروان، لمّـا ابغضـوهم و عـادوهم، مـا ذکروهم فی الإمامـة و لاـ رجعوا إلیهم فی القضـاء و الفتوی، بل لعنوهم و حاربوهم و قتلوهم، و وصوا اولادهم بذلک، و کذا فعل بنو هاشم من ولد العباس و ولد ابی طالب ببنی أمیّة.

فإن قالت الرافضـة: إنما صـنع ابو بکر و عمر هذا ببنی هاشم حیلة و خدیعة و لیخرجوهم من الرئاسة، قیل لهم: من الحیلة و الخدیعة ان لا یدخلوهم فی الشوری، و لا ینبهوا علیهم فی الرئاسة و لا یستسـقوا بهم، و لا یستشـفعوا الی اللّه بجاههم و مکانهم، و لا یشـهدوا لهم بالجنـة، و لا یسـیروا إلیهم بالعلم و المعرفـة؛ أ لا تری ان معاویة لما عاداهم ما جعلهم اهلا للخلافة، و لا ذکرهم للرئاسة، و لا استسـقی بهم، و لا اسـتفتاهم، و لا اسـتقضاهم، و لا شـهد لهم بالجنـة، بل کانت سـیرته فیهم ما قـد علم الناس؛ و لا فرق بین من ادعی هـذا، او ادعی ان ما کان من مدح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لأهله و أصحابه انما کان علی طریق المداراة و الخدیعة، او ادعی ان ما کان من معاویة [مع] «۱» آل بنی هاشم إنما کان علی طریق الرأفة و الرحمة.

و بعـد فما لأبی بکر و عمر علی قولکم الی مـداراة الناس و خدیعتهم فی بنی هاشم، و عندکم ان الناس قد علموا ان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلم قـد اسـتخلف علیـا و نص علیه، و عرف الکافـة انه الحجـة علی العـالم. ثم ان ابا بکر دعاهم الی خلاف ذلک فأجابوه بأسـرهم علی/ قول بعضـکم و هم الکاملیة، و علی قول الهشامیة اجابوه إلا نفرا یسـیرا کانوا مغلوبین. و دعاهم هو و عمر بعده و عثمان بعدهما الی تغییر القرآن و الشریعة، من الطهارة، و الأذان، و الصلاة

---

(۱) اضافة علی الاصل یقتضیها السیاق

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۱

و مواقیتها، و الصیام و مواقیته، و المواریث، و المناکح، و الطلاق، و العتاق، الی غیر ذلک، فأجابوهم إلیه.

و مـا سـمع الناس بأعجب من امر هؤلاء القوم فی دعواهم علی ابی بکر و عمر، انهم إنما زکوا بنی هاشم مثل العباس و علی و غیرهما، و أدخلوهم فی الشوری، و قـدموهم فی القضاء و الفتوی و الرئاسـة، للنقص منهم، و الحیلـة علیهم؛ و هو کمن قال: ان ابا بکر و عمر و عثمان اخذوا الروم و العجم و ملوک العرب بالدخول فی دین النبی صلّی اللّه علیه و سلم، و إدخال اممهم فی دینه، و الشهادة برسالته، و إقامـة شـرائعه، و موالاة اولیائه، و مجاهـدة اعـدائه، انما فعلوا ذلک عـداوة له صـلی اللّه علیه، و للحیلـة علیه، و اخراجه من الرئاسة و النبوة، و لإماتة ذکره؛ و کل امرهم عجب و خروج عما یعقل و یفهم.

فإن قالوا: إنما أدخله عمر فی الشوری و قال یصلح للخلافـة و الرئاسـة لیمحو نصّ النبی علیه و اسـتخلافه له، قلنا: فإن ذلک قـد امحی علی قولکم و أجابه الناس الی محوه و إزالته، فما حاجته الی ادخاله فی الشوری لو لا محبته له و التنبیه علی فضله، و لو اراد ان یخرجه من الرئاسة لما أدخله فی الشوری، و لا قال انه یصلح للخلافة و الرئاسة؛ و انما الشوری وضعها عمر لیطلب الناس من یصلح فی دین

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم للقيام بأمر امته عليه السلام، و ليرجعوا الى وصاياه و عهوده فيمن يصلح لذلك فى دينه و شريعته؛ فلو كان هناك منصوص عليه، او من فيه أدنى اشارة، لما ادخله عمر فى الشورى و الرئاسة إن كان/ يريد ان يميت ذلك على ما يدعونه عليه، و هذا لا يظنه عاقل، و هو كمن قال انما استسقى بالعباس و استشفع الى اللّه به ليميت ذكره و ليخرجه من الفضل و الرئاسة و من استخلاف النبى له و نصّه عليه، فان الراوندية

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۲

من شيعة بنى العباس تدّعى ان النبى صلّى اللّه عليه و سلم نص على العباس و استخلفه و جعله وارث مقامه، و أن الخلافة تكون فى ولده الى يوم القيامة، كما تدعى ذلك الرافضة فى امير المؤمنين.

و بعد فإن كان الذى صنعه عمر فى الشورى حيلة على امير المؤمنين ليخرجه من الرئاسة، فلم دخل هو و قبله، و صلى خلف صهيب، و رجع الى عبد الرحمن فى الاختيار، فكيف شعرتم انتم بهذا و خفى عليه.

فإن قالوا: فعل هذا خوفا و تقية، فقد بينا ان سلطان هؤلاء الخلفاء الأربعة ما كان سلطانا يخافه محقّ و لو كان عبدا او ذميا، و كشفنا ذلك من غير وجه. و اعلم ان الكلام اذا انتهى الى مثل هذا فليس إلا السكوت، فإن شرح المشروح و المجاذبة فى امر المكشوف عناء و ادخال له فيما يغمض و يخفى، فارجع رحمك اللّه الى ما كان من ابى بكر و عمر و قول بعضهم فى بعض و صنع بعضهم ببعض، تجدهم أولياء و اخوانا و اصدقاء، و قد تقدم لك فى صدر هذا الكتاب ان ابا بكر و عمر و تلك الجماعة من المهاجرين و الانصار كانوا احباب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و كان يحبهم و يودهم، و يوجب على الناس محبتهم، و يفرض عليهم مودتهم، و كانوا يحبونه، و هو أحب إليهم من أبنائهم و أنفسهم، و يحبون من أحبّ، و يبغضون من ابغض، و إن العلم بذلك قبل العلم بنبوته، فارجع إليه.

و باب آخر [افعال رسول اللّه و أقواله تشهد بأنه ما عهد لرجل بعينه]

و هو ان افعال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أقواله و وصاياه و عهوده، تشهد بأنه ما عهد فى رجل بعينه، و ان الامر فى الخلافة بعده الى خواصه و اصحابه ليختاروا من يرون، و ان الخلفاء بعده يجوز عليهم الخطأ و الزلل؛ أ لا تسمع

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۳

قوله صلّى اللّه عليه و سلم «۱»: «أنفذوا جيش أسامة» و قوله: «لا تتركوا بعدى فى جزيرة العرب دينين، و لا تجمعوا فيها دينين» «۲» و قوله: «استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإن لم يستقيموا لكم فخذوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم، و إلا فكونوا أشقياء حرّاثين تمشون خلف أذناب البقر، و تأكلون كدّ أيديكم. أطيعوهم ما أطاعوا اللّه و رسوله، فاذا عصوا اللّه و رسوله فلا طاعة لهم عليكم؛ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» «۳».

و قوله: «هذا الأمر فى قريش ما اذا استرحموا رحموا، و اذا حكموا عدلوا، و اذا قسموا أقسطوا، و اذا عاهدوا وفوا؛ فإن لم يفعلوا ذلك، فعليهم لعنة اللّه و الملائكة و الناس اجمعين، لا يقبل منهم صرف و لا عدل».

و مثل هذا من اقواله كثير، و يعلم هذا من دينه، كما يعلم من دينه أن الولد للفراش و للعاهر الحجر، و ان اليمين على المنكر و البينة على المدعى، و النفقة على الزوج دون المرأة، و ما أشبه ذلك من شريعته. و هذه الوصايا منه انما هى لأصحابه و خاصته، فمن اشكل عليه بعد هذا انه ما نص على رجل بعينه، و ان الخلفاء بعده يجوز ان يقع منهم الخطأ و الزلل، و أنه ليس فيهم من يؤمن منه ذلك، فقد اشكل عليه الواضح من شريعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم/ و جلّى سيرته، و المكشوف عن شريعته و وصاياه.

---

(۱) فى الحاشية كتب: وصايا رسول اللّه (ص)

(۲) انظر طبقات ابن سعد. الجزء الثانى القسم الثانى ص ۲۴ بلفظ آخر «لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان».

(۳) انظر شرح الجامع الصغير للمناوى ۱: ۱۴۹، و خضراءهم اى سوادهم و دهماءهم.

و هنالك احاديث كثيرة فى هذا المعنى، كلها تضع شرطا فى التبعية لقريش هى الاستقامة على الحق و التقوى و الرحمة.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۴

فإن قيل: كيف اشكل هذا على هؤلاء القوم؟ قيل له: ليس يعرف هذا بكمال العقل و ان كان واضحا، و انما يعرف بكثرة السماع و حسن الاصغاء و التأمل، و جودة التحصيل و صحة النقل.

أ لا ترى ان فى هؤلاء من يقول: ان فى القرآن زيادة، و فيهم من يقول:

فيه نقصان، و فيهم من يقول: للطهارة و الصلاة و الصيام و سائر الشريعة باطن يخالف ما عليه الفقهاء و العامة، و الى ما يذهب اهل التناسخ و قوم من الصوفية. و كل من جالس العلماء و كثر سماعه و جاد تحصيله، يعلم علما يقينا ان هذا خلاف دين النبى صلّى اللّه عليه و سلم؛ و قد عرف اصحابه من سيرته جواز الاختيار فى الائمة و الامراء، و عملوا بذلك فى حياته صلّى اللّه عليه و سلم. أ لا ترى انه لما انفذ عسكرا لغزو الروم قال لهم: اميركم زيد بن حارثة، فإن هلك فجعفر بن ابى طالب، فإن هلك فعبد اللّه بن رواحة؛ فهلك هؤلاء الامراء الثلاثة فاستعمل الجيش بعدهم خالد بن الوليد المخزومى اميرا عليهم، فدبرهم و ساسهم و لقى العدو بهم، فما انكر النبى صلّى اللّه عليه و سلم ذلك بل صوبهم، و سمى خالد بن الوليد سيف اللّه. و قد كان النبى صلّى اللّه عليه و سلم انفذ عما لأبى موسى الاشعرى اميرا على جماعة فهلك، فاستعملوا بعده ابا موسى، فما انكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ذلك بل صوبهم؛ بل انهم انما فعلوا هذا لأنهم قد عرفوه من سيرته.

و قد ولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ابو العلاء بن الحضرمى «۱» البحرين، و انفذه فى

---

(۱) أرسل الرسول (ص) العلاء بن الحضرمى الى المنذر الساوى بالبحر بالكتاب التالى:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللّه الى المنذر ساوى. سلام عليك فانى احمد اللّه إليك الذى لا إله الا هو، و اشهد ان لا إله الا و ان محمدا عبده و رسوله. أما بعد، فإنى اذكرك اللّه عز و جل فان من ينصح فانما ينصح لنفسه و ان من يطع رسلى و يتبع امرهم فقد أطاعنى و من نصح لهم فقد نصح لى، و ان رسلى قد اثنوا عليك خيرا، و انى قد شفعتك فى قومك، فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه، و عفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم، و انك مهما تصلح يغفر لك عن عملك، و من اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية». السيرة الحلبية ۳: ۲۵۲.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۵

جماعة، و عهد إليه عهدا معروفا، و قال صلّى اللّه عليه و سلم/ فى هذا العهد: و انا اشهد الله على رجل وليته امرا من امور المسلمين فلم يعدل فيه قليلا كان أم كثيرا فانه لا طاعة له، و هو خليع محاولتيه، و انى قد برأت المسلمين الذين معه من عهدهم و ايمانهم منه و من ولايته، فليستخيروا عند ذلك الله ثم ليستعملوا عليهم افضلهم فى انفسهم؛ و اشباه هذا فى وصاياه و عهوده و سيره كثيرة، و أنت تجده متى طلبته، و فيما معك اتم كفاية.

باب آخر [كيف خاض الصحابة فى امر الامارة و لم يذكروا انه نص على أحد بعينه]

و هو ان الصحابة قد خاضوا فى باب الامارة فى مرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و قبل ذلك فى ازمان مختلفة، و جرى لهم من الخوض فى ذلك اكثر مما جرى لهم من كل شىء فى كبار الامور و صغارها، فأقوالهم و أفعالهم افعال من لا عهد عنده فى رجل بعينه؛ و ان الائمة بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يجوز ان تقع منهم المعاصى و الخطايا.

فمن ذلک، ان الصحابة سألوا علیا فی مرض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فقالوا:

کیف اصبح رسول اللّه یا أبا الحسن؟ فقال: اصبح رسول اللّه بحمد اللّه بارئا، فقال له العباس: أحلف باللّه لقد عرفت الموت فی وجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم کما أعرفه فی وجوه بنی عبد مناف، و إنی لأری رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم سیتوفی فی وجعه هذا، فانطلق بنا الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم نسائله فإن کان هذا الامر فینا علمنا، و إن کان فی غیرنا امرناه فوصی الناس بنا. فقال له علی: ما کنت لأسألها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فإنا إن سألناه فقال لیست فیکم منعناها الناس و قالوا: رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم قال لیست فیکم، و الله لا سألتها ابدا.

فانظر کم فی هذا من بیان علی صحة ما قلنا؛ فهذا العباس، و هذا علی،

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۶

و هؤلاء الصحابة، فلو کان النبی صلّی اللّه علیه و سلم/ قد نص لما جاز ان یذهب علمه عنهم، أو لو قال قولا یحتمل تأویله هذا المعنی لما ذهب عنهم، فإن البحث و النظر و الخوض یخرج خفیات الأمور و یذکر بغوامضها و بما قد تقدم عهده و زمانه، فکیف بالشیء الواضح القریب العهد، و رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم حی بینهم، فکیف لم یقل علی للعباس: یا عم، أ ما تعلم ان رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم قد نص علی و جعلنی حجة علی العالم و استخلفنی و ولدیّ علی امته الی یوم القیامة، و کیف نسیت مع قرب العهد، أو لیس قد قال: «من کنت مولاه فعلیّ مولاه»، و «أنت منی بمنزلة هرون من موسی»، و هذا نص و استخلاف. فإن کان امیر المؤمنین علی رضی الله عنه نسی ان النبی صلّی اللّه علیه و سلم استخلفه کما نسی العباس فکیف لم یذکرهما الصحابة و هم یسمعون ما یجری، و هذا لا یخفی علی متأمل، فقد وجدت رحمک الله علیا و العباس و الصحابة قد اطبقوا علی ان رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم ما نص و لا استخلف رجلا بعینه، و لا قال قولا قصد به هذا المعنی. فان قیل: و من سلم لکم ان هذا قد جری بین علی و العباس رضی الله عنهما؟ قیل له: إن هذا کالذی جری فی السقیفة و فی الشوری، لا یرتاب بذلک اهل العلم، و العجب انکم تقولون أن النبی صلّی اللّه علیه و سلم قال: «من کنت مولاه فعلی مولاه» و تنکرون مثل هذا و هو أصح، و العلم به اقوی، و ما زال ولد العباس و ولد علی من قدیم الدهر یتذاکرون هذا الذی جری من آبائهما فی أنهما أصوب رأیا، و یخوض اهل العلم فی ذلک، کالشعبیّ و عبد الرزاق «۱»، و إنما یذهب مثل هذا علی معاند أو من لا نصیب له

---

(۱) الشعبی هو عامر بن شراحیل الشعبی الحمیری (ابو عمرو) راویة من التابعین، و هو من رجال الحدیث الثقات توفی سنة ۱۰۳ ه. تهذیب التهذیب ۵: ۶۵

و اما عبد الرزاق فهو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحمیری (ابو بکر) من حفاظ الحدیث الثقات. له «الجامع الکبیر» فی الحدیث. توفی سنة ۲۱۱ ه، تهذیب التهذیب ۶: ۳۱۰

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۷

فی العلم.

و فی هذا الباب، ان النبی صلّی اللّه علیه و سلم لما مرض جزع اصحابه لمرضه، فکانوا معه و حوله و مسجده بهم مثل الرمانة، و عنده فی بیته ازواجه و عماته و بناته، فکان/ اذا وجد خفّا خرج فصلی بهم، فاشتد به یوما مرضه فقالوا:

الصلاة یا رسول اللّه، فقال: ما أستطیع الخروج، صلوا، قالوا: یا رسول اللّه من یصلی قال: یؤذّن بلال و یصلّی أبو بکر.

ففی قولهم: من یصلّی، دلیل علی انه ما استخلف رجلا بعینه، لأنه لو کان فعل ذلک لما قالوا من یصلی و لا خفی علیهم مکانه، کما لا تخفی علیهم القبلة و قد فرغ لهم منها، فلا یقولون الی این نصلی. و أکد ذلک أیضا بقوله: یصلی بکم ابو بکر، و لو کان قد استخلف رجلا بعینه لقال:

او ليس قد استخلفت عليكم عليا، فكيف نسيتم مع قرب العهد، و لأمر عليا بالصلاة.

فان قيل: و من سلم لكم هذا، و إنما عائشة قالت له لا رسول اللّه، و أن رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم لما احس به خرج و صرفه.

قيل لهم: انه ليس لرسول الله عهد اوثق و لا عهد اوضح من عهده الى ابى بكر فى الصلاة بالناس فى مرضه، فانه عقد كان منه فى بيته و بحضرة أصحابه، الذين صفتهم على المحافظة على دينه الصفة التى قدمنا، و العلم بذلك يجرى مجرى مرضه فى بيت عائشة و دفنه فيه، و مجرى العلم بأن ابا بكر و عمر دفنا عنده؛ و العجيب ممن يقول: قد علمنا ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال:

من كنت مولاه فعلّى مولاه و علىّ منى بمنزلة هرون من موسى، و قال:

انفذوا جيش اسامة، و ينكر امر ابى بكر فى الصلاة بالناس، و هذا من

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۸

العناد الشديد و الجهل الفائض، و هو كمن قال: إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ما اختار أبا بكر للهجرة معه و لا كان معه فى الغار، و لا اختصه بأن يكون معه فى العريش يوم بدر دون الناس كلهم، و لا كان معه فى بيعة الرضوان، و لا اقامه مقام نفسه فى الحج بالناس فى سنة تسع و لم يقدم غيره فى ذلك، و هو اول امير حج بعده صلّى اللّه عليه و سلم/ فى حياته من المدينة.

و لقد امر ابو بكر بالصلاة، فصلى بجميع اصحابه و أهل بيته كالعباس و علىّ و جميع بنى هاشم و مواليه، و هو ينظر إليهم من بيته و فى مسجده و هم يصلون خلف ابى بكر، فصلى بهم ابو بكر [عدة] «۱» ايام. ففى بعض تلك الايام يخرج رسول الله و يصلى معهم، و فى بعضها يخرج و قد فرغ ابو بكر فيجلس معهم، و فى بعضها يحس به ابو بكر فيتنحى و يقدمه و يصلى بهم. لا يتدافع اهل العلم من الصحابة و التابعين و الذين يلونهم و الذين يلونهم فى ذلك. و لقد صلى بهم ابو بكر الظهر فى اليوم الذى مات فيه رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم قبل دفنه و قبل البيعة له بذلك العهد الذى كان من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا ينازعه فى ذلك احد.

و قد روى هذا الحديث و أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لأبى بكر بالصلاة على بن ابى طالب، ذكر ذلك فى خلافته و على منبره مرات كثيرة، و رواه العباس و ابنه عبد الله، و ذكره عمر على منبره فى خلافته، و رواه ابو عبيدة، و عبد الله بن مسعود، و أنس بن ملك، و البراء بن عازب، و سالم بن عبد الله، و عبد الله بن زمعة، و من لا يحصى كثرة من المهاجرين و الانصار. و انما كان سبب ذكرهم له، لأنهم كانوا يذكرون مرض رسول اللّه و كيف صنع، و انما

---

(۱) فى الاصل فراغ املأته بعدة، و يمكن ان يقرأ بدونها فنقول حينذاك: فصلى بهم ابو بكر أياما.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۵۹

يظن ان ابا بكر تقدم فصلى بالمهاجرين و الانصار بغير عهد من رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم، من لا يعرف المهاجرين و الانصار، و شدة بصائرهم، و إعظامهم لمقام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم ان يقوم فيه احد مقامه سيما فى خاصته بغير امره.

و بعد فان مسجده فى بيته و نصب عينيه، يسمع و هو فى بيته صوت من فى مسجده و يراهم، و أمره لأبى بكر/ بالصلاة بحضرة اصحابه، و يسمع ذلك جميع ازواجه و بناته و عماته، فقد كنّ فى مرضه هذا اجتمعن كلهنّ عنده فى بيت عائشة. و كان امره له بذلك مرة بعد مرة، فان الصحابة كانوا يدخلون فى اوقات الصلاة فان وجد خفّا خرج معهم، و إلا قال لهم:

يصلى بكم ابو بكر. و كان فى اول امره امر بذلك، قالت عائشة: يا رسول الله، إن ابى رجل أسيف «۱» لا يستطيع ان يسمع الناس، فلو امرت غيره، فأبى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم ذلك و لم يجبها إليه، فاستعانت ببعض ازواجه عليه ليشفعها و يأمر غير ابى بكر بالصلاة، فردّهن رسول الله و غضب و قال:

يأبى الله و المؤمنون غير ابى بكر، إليكنّ عنى صويحبات يوسف. فهذا الذى كان من عائشة فادعوا عليها ما لم يكن، و هذا شأنهم. و لقد قيل لعائشة لم كرهت ان يصلى ابوك بالناس فى مرض رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم و راجعت رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم

فی ذلک حتی غضب؟ قالت: ظننت بحداثة سنی انه لا یطیق ذلک، و أن المسلمین یتشاءمون به.

و قد قال بعض العلماء فی قول رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم: إلیکن عنی صویحبات یوسف، ان اولئک النساء ظنن ان یوسف علیه السلام إذا دفع الی شدة

---

(۱) الرجل الأسیف: الشیخ الفانی و السریع الحزن و الرقیق القلب، انظر قاموس المحیط.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۰

یضعف و یجیب الی المعصیة فلم یکن کما ظنن، فأراد رسول الله ان ابا بکر سیدفع الی شدائد فیصبر و یحتمل.

ثم یقال لهم: و کیف طمع ابو بکر ان یتقدم بأصحاب رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم و قد علم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قد استخلف علیا و عرفهم انه حجة اللّه علیهم و علی رسول اللّه و جمیع الصحابة حضور شهود، کیف یتوهم عاقل هذا؟

و بعد فکیف اقرّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم عائشة/ فی ازواجه و اقام علیها و قد ارتدت بهذا الصنیع، و قد قال اللّه عز و جل: «وَ لا تُمْسِکُوا بِعِصَمِ الْکَوافِرِ» «۱»؟

فادعیتم ان ابا بکر اغتصب هذا المقام، و ان ذلک بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و انه غضب من ذلک و انکره، و خرج و عزل ابا بکر، و انکر علی الصحابة طاعتهم لأبی بکر فی الصلاة خلفه؛ هذا امر عظیم، و مراجعات کثیرة، إذ لو کانت لکان العلم بها اقوی من العلم بما کان من المراجعة لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم من المراجعة و المناقلة یوم الحدیبیة مع سهیل بن عمرو «۲» و ما اشبه ذلک، و لکن مذاهبکم مقصورة علی دعاویکم. و من العجب کونکم ما ادعیتم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لما غضب و خرج و عزل ابا بکر ان یکون قد قدم علیا فصلی بالناس لیتم بهتکم، بل لو کنتم صادقین فی دعوی النص علیه لکان هذا وقت تقدیمه و الغضب لأجله لو ادعیتم ان رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم لم یختر

---

(۱) الممتحنة ۱۰

(۲) کان سهیل بن عمرو سفیر قریش الی الرسول یوم الحدیبیة، و قد عرض علی الرسول الانصراف عن مکة ذلک العام علی ان یأتیها فی العام الذی یلیه و علی ان یقوم بینه (ص) و بین قریش صلح متصل عشرة اعوام. و قد حدثت أثناء المفاوضات مراجعات من المسلمین و احداث تجدها فی کتب السیرة

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۱

بیت عائشة لمرضه و دفنه و الموت فیه و انما اختار بیت ابنته فاطمة و لکن ابا بکر مضی و اغتصبه و حمله و جاء به الی بیت عائشة، فهذا رحمک الله من الأدلة التی تشهد ان رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم ما استخلف علیا و لا نص علیه کما یدعی هؤلاء و انما ینکرون الاخبار.

فان قالوا: لو کان رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم ما استخلفه لعلمنا باضطرار انه لم یستخلفه.

قیل لهم: ما لم یفعله رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم لا یعلم بالاضطرار، انما یعلم بالاستدلال، فمن استدل علم و من لم یستدل جاز ان یظن انه قد فعل.

و لو کان فعل شیئا أو فرض شیئا علی الامة من سائر احکام الشریعة لجاء مجیء العلم کما جاء غیره، و هذا هو الاصل کما شرحنا و قدمنا.

باب آخر [کیف فکر الانصار بالامارة ثم عدلوا عن ذلک بعد تبین الحق]

من هذا، ان الانصار لما قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم حزنوا لفراقه، فاشتد حزنهم و عظمت مصيبتهم، فقالوا هدانا اللّه به، و جمع ألفتنا بدعوته، و عظمت علينا بركاته. فرجع بعضهم على بعض فقالوا: احمدوا/ اللّه فقد قبض و هو عنكم راض، فقالوا: الحمد للّه، و لكن قد و ترنا الأمم، و قد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و لم يستخلف، و لا بد لنا من امير نقيمه فنغزوا معه و نجاهد، فقال قائل منهم: لا بد لكم من هذا، فأقيموا رجلا منكم.

فانظر كيف أفصحوا بأنه لم يستخلف، و لو كان كما يدّعون هؤلاء لفيل لهم ذلك ورد عليهم هذا القول و النبى صلّى اللّه عليه و سلم لم يدفن بعد، و كيف لم يستدل

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۲

عليهم بالآيات و الأحاديث التى تروونها و تستدلون انتم بها فلو لم يكن إلا هذا لكفى فى الدلالة على بطلان ما يدعونه هؤلاء، و ما يدعيه العباسية و البكرية.

فإن قيل: فالنبى صلّى اللّه عليه و سلم قد قال: «الأئمة من قريش» فى الجماعات الكثيرة و قد ذهب هذا على الانصار، فما تنكرون ان يكون قد نص على على و العباس و أبى بكر و ذهب عنهم؟

قلنا: لا ندعى ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «الأئمة من قريش» فى الجماعات الكثيرة، و لا قام فيهم خطيبا كما تقولون فى دعواكم لعلى، و لا اخذه على الناس، و لا هو أيضا من فرض الكافة، و انما هو من فرض الفقهاء و الخاصة، فيعقده اربعة نفر أو خمسة لواحد، و هو يجرى مجرى قوله عليه السلام:

«لا وصية لوارث» «۱»، و «أهل ملتين لا يتوارثون» «۲»، و «الخراج بالضمان» «۳»، و ليس كذلك ما يدّعونه من انه نص على رجل بعينه و فرض طاعته على جميع أمته و جعله الحجة عليهم بعده، فأوجب على الرجال و النساء و الأحرار و العبيد و المقيمين و المسافرين طاعته، و أعلمهم هذا الغرض و أداه إليهم بحسب وجوبه و شمول عمومه، فجرى فى الغرض مجرى قوله:

«انا رسول اللّه إليكم و حجة اللّه عليكم»، فهذا لا يذهب على النفر اليسير ممن هو دون الانصار فى الرتبة و الاختصاص برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و هو يقول:

«الانصار كرشى و عيبتى» «۴»، يريد بذلك انهم موضع سرّى و خاصتى،

---

(۱) حديث لا وصية لوارث فى الجامع الصغير، فى الدار قطنى عن جابر ۲: ۵۰۲

(۲) ورد معنى هذا الحديث بلفظ آخر فى الجامع الصغير ۲: ۵۰۵، مسند ابن حنبل و البخارى و مسلم و ابى يعلى عن اسامة.

(۳) الحديث فى شرح الجامع الصغير ۱: ۵۲۵، عن مسند ابن حنبل، و البخارى و مسلم و الترمزى و ابن ماجه عن عائشة،

(۴) انظر الحديث فى مناقب الانصار من صحيح مسلم و غيره

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۳

فأين/ فرض هذا من قوله: «الأئمة من قريش» «۱»، و مع كون هذا من فرض الخاصة، فعند الحاجة ذكر و قبله الأنصار كلهم و عملوا به، فلو كان دعواكم انتم أيضا كذلك لكان قيل و عمل به مثل هذا. تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ج۱ ۲۶۳ و باب آخر رفض على ما عرض عليه من المبايعة بالامارة بعد وفاة الرسول ..... ص : ۲۶۳

و باب آخر [رفض على ما عرض عليه من المبايعة بالامارة بعد وفاة الرسول]

من هذا ان العباس و بنى هاشم بلغهم قول الانصار و ما عزموا عليه، فما أنكروا قولهم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قبض و لم يستخلف، و ان الإمامة تجب بالاختيار، بل مدحهم العباس و أثنى عليهم و أقبل على علىّ و قال له: قد كنت قلت لك و رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و سلم حيّ عليل انطلق بنا إليه نسأله فيمن يكون هذا الامر فان كان فينا لم تنازع فلم تفعل، و الآن فامدد يدك أبايعك فيقال: هذا عم رسول اللّه بايع ابن عم رسول اللّه فلا يختلف عليك اثنان.

فتأمل رحمك اللّه هذا البيان و هذا الإفصاح من الجميع، ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ما نص و لا استخلف، فكيف لم يقل على لعمه: كيف نقول إنك لو بايعتنى ما اختلف عليّ اثنان و رسول اللّه قد عقد لى و جعلنى الحجة و قد خالفونى.

و انما كان قوله رضى اللّه عنه للعباس لما قال له امدد يدك: هذا امر المسلمين، و ما كنت لأفتات عليهم بأمر، فإن ارادونى فقد عرفوا مكانى.

---

(۱) انظر الجامع الصغير شرح المناوى ۱: ۴۲۷، و فى الحاكم و السنن الكبرى عن على. قال الحاكم: صحيح، و نعقب بأنه منكر.

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۴

فقيل له: أقبل فانهم لا يخالفونك و لا يكرهونك، و قال له ابو سفيان:

اقبل يا ابا الحسن ما يقول ابو الفضل و انا أبايعك، فقال له العباس: اقبل فهذا شيخ بنى عبد مناف يبايعك أيضا، فقال ابو سفيان علىّ بنو عبد مناف كلها، بل علىّ قريش ان تبايع و لا تخالف، فقال له العباس: افعل، فقال:

لا يا عم إلا عن ملأ من المسلمين.

فانظر كيف بين رضى اللّه عنه امر الامامة للمسلمين و باختيارهم، و انه لا يبادر الى القبول لئلا يظن به الحرص على الامارة، فقال له قائل من بنى هاشم: فأخبر الناس أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم جعلها/ فى بنى هاشم، فقال رضى اللّه عنه: و اللّه لئن كنت أول من آمن به فلا اكون اول من كذب عليه.

و مقام آخر، و هو ان العباس خرج الى ابى بكر و هو فى المسجد فأخبره بما بلغه عن الانصار، و سأله ان يمضى إليهم و يبين لهم، لعلم العباس بعظم قدر ابى بكر فى المهاجرين و الانصار. فنهض ابو بكر و تبعه عمرو و أبو عبيدة، و صاروا الى الانصار، فأنكر عليهم ابو بكر ما عزموا عليه، فعجبوا من إنكاره و قالوا: لم تنكر ان تكون الامارة فينا، فقد مضى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم و ما استخلف، و قد قال فينا كذا، و مدحنا بكذا، فقال ابو بكر:

صدقتم، و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: و لو سلك الناس شعبا و واديا و سلكت الانصار شعبا و واديا لسلكت شعب الانصار و واديهم؛ ثم قال ابو بكر و لكن هذا الامر ينبغى ان يكون فى الحيّ من المهاجرين من قريش، فلا تنفسوا عليهم الامارة: أسلمنا قبلكم، و قدمنا الله فى القرآن عليكم، و ما كان فى قريش نفاق.

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: فإن ابيتم فمنا امير، و منكم امير. ثم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۵

اقبل على قومه من الانصار فقال لهم: البلاد بلادكم، و البادية باديتكم، و أنتم شعب الاسلام الذى لجأ إليه، و إنما عزّ الاسلام بأسيافكم، فإن ابى هؤلاء [ان] «۱» يكون منا امير و منهم امير فأخرجوهم من بلادكم، ثم اقبل على المهاجرين و قال: إن شئتم اعدناها جذعة، انا عزيقها المرجّب و جذيلها المحكك «۲».

فقال ابو عبيدة: اللّه اللّه معشر الانصار، إنكم اول من نصر و آزر فلا تكونوا اول من بدل و غير، و قال ابو بكر لسعد بن عبادة: قد علمت يا سعد إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال «۳»: «الناس تبع لقريش، فخيار الناس تبع لخيارهم، و شرارهم تبع لشرارهم» «۴»/ قال: صدقت، فقال بشير بن سعد الانصارى: و اللّه لئن كنا اولى فضيلة فى جهاد عدونا فما أردنا بذلك الارضاء ربنا و الكدح لأنفسنا، و ما ينبغى أن نستطيل على الناس، فالمنة للّه و رسوله علينا. و رجع الانصار عما كانوا عليه، و أقبلوا على ابى بكر و قالوا: من ترضى لنا يا ابا بكر، فقال: رضيت لكم عمرو أبا عبيدة، إن رسول اللّه اتاه قوم فقالوا: ابعث معنا امينا حق امين فبعث معهم ابا عبيدة، و

قد قال فی عمر کذا و کذا، فقال عمر: اما انا فلأن اضجع فأذبح فی غیر

---

(۱) زیادة علی الاصل یقتضیها السیاق

(۲) الجذیل: تصغیر جذل، و هو عود یکون فی وسط مبرک الابل تحتک به و تستریح إلیه، و یضرب به المثل فی الرجل یشتفی برأیه. و العذیق تصغیر عذق و هو النخلة نفسها، و المرجب:

الذین تبنی الی جانبه دعامة ترفده لکثرة حمله و لعزه علی اهله، فضرب به المثل فی الرجل الشریف الذی یعظمه أهله. انضر لمناقشة الحباب بن المنذر الطبری ۳: ۲۲۰

(۳) کتب فی حاشیة الصفحة: قال رسول اللّه (ص): الناس تبع لقریش.

(۴) فی شرح الجامع الصغیر للمناوی ۲: ۴۶۲. و قد ورد فی مسند ابن حنبل و مسلم عن جابر. بلفظ آخر.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۶

مأثم احب إلیّ أن اتقدم قوما فیهم ابو بکر، و لکن أنت یا ابا عبیدة ان شئت بایعتک، فقال ابو عبیدة لعمر: ما سمعت منک فهة «۱» فی الاسلام قبلها، أ تقول هذا لی و فیکم الصدیق و ثانی اثنین إذ هما فی الغار، و خلیفة رسول اللّه، و قد أمّنا حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم. فقال عمر: معشر الانصار، قد علمتم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قدم ابا بکر و اقامه مقامه فی الصلاة بالناس، فأیکم تطیب نفسه ان یتقدم علی من قدمه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، قالوا: معاذ اللّه أن نتقدم أبا بکر، فقال بشیر بن سعد الانصاری ثم الخزرجی: قوموا الی خلیفة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فبایعوه، فانثالوا علی ابی بکر و مدّوا یده فقبضها و قال: بایعوا عمر او ابا عبیدة، و دفعهم عن نفسه بجهده، و قبض یده فمدها عمر، فقال له ابو بکر: أنت أنت یا عمر، أنت اقوی و أشد، فقال عمر: شدتی لک أنت احق، أنت خلیفة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، رضیک لنا؛ فما زالوا به حتی بایعوه.

فانظر الی طول هذه المراجعة بین المهاجرین و الانصار و هم یطلبون و یفتشون ما یجوز فی دین رسول اللّه/ صلّی اللّه علیه و سلم، و یرجعون الی أفعاله و وصایاه، و یبتغون مرضاته، هل تجد احدا منهم یذکر عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم نصا علی رجل بعینه او ما یشبه النصّ او ما تأویله النص من انه کتاب اللّه او من حدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و العهد قریب و هو یوم موته، و لم یدفن بعد، و هذا موضع الحاجة الی ذکر ذلک؛ و المناظرة و المباحثة تذکّر بالأمور البعیدة و تخرج الغوامض فکیف بالأمر الواضح مع العهد القریب؟ و ما أراد الانصار بالبدار الی إقامة امیر یکون علی الناس إلا اللّه، و إلا إحیاء الاسلام

---

(۱) الفهة من العی و الغلط

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۷

و قمع اعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، لینضبط الأمر و لا ینشر «۱»؛ فقد کان معهم و حولهم الیهود و قبائل العرب من النصاری، و قد کانوا راسلوا ملوک الروم و أطمعوهم فی الاسلام، و مسیلمة مقیم علی حربهم و کذا طلیحة، و قد ارتد من ارتدّ، فکان الصواب فی المبادرة الی إقامة امیر، فلما قیل لهم: إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم قد قال: الأئمة من قریش سمعوا و أطاعوا، و قصدوا الی افضل قریش فی انفسهم فعقدوا له و قاتلوا بین یدیه کما کانوا یقاتلون بین یدی رسول اللّه، و تفانوا فی طاعته؛ و لو أرادوا الملک و الدنیا لما أطاعهم المهاجرون و لا- غیرهم، فإن البلاد بلادهم، و البادیة بادیتهم، و البأس و النجدة و الکثرة لهم و فیهم، و انما المهاجرون ضیفانهم و نزال علیهم، و بهم عزّوا، و بهم صار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی عساکر و جماعات، و بهم غزا العدو و قد کان صلّی اللّه علیه و سلم و هو مقیم بمکة منذ دعا الی النبوة خمسة عشر سنة یعرض نفسه فی المواسم علی قبائل العرب، و یتلو القرآن، و یدعو الی اللّه؛ فسمعته/ قبائل الأوس و الخزرج، و أصغوا الی دعوته، و أجابوه الی معاداة ملوک الأمم و جبابرة الأرض فی

طاعته، و أن ينفقوا اموالهم، و يسفكوا دماءهم فى نصرة دينه، و أن يطيعوه حيا و ميتا. فلما أجابوه الى ذلك، أمر اصحابه بالهجرة إليهم، فقبلوهم و أظهروا الاسلام فى المدينة و فى قبائلهم و بواديهم، فهاجروا إليهم فوفوا بجميع ذلك، و كان باطنهم فى الايمان كظاهرهم، فلهذا أسماهم اللّه الانصار و كذا المهاجرون، و لهذا قال اللّه: «لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً، وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» «۲» فأخبر عزّ و جل عن صحة نياتهم و صدق

---

(۱) يقصد: كى لا يتفرق المسلمون

(۲) الحشر ۸

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۸

ضمائرهم، و شهد لهم بالصدق، ثم ذكر الانصار و قال: «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا، وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ، وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۱»، لأن الانصار كانوا بالمدينة قبل المهاجرين، فلما جاءهم المهاجرون أحباب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم آثروهم على انفسهم بمنازلهم، و شاطروهم اموالهم بطيب من انفسهم، فشهد لهم بالفلاح، و فرض على من جاء من بعدهم مولاتهم و الاستغفار لهم فقال: «و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم»، و أمرهم بالتعوذ من بغضهم و عداوتهم، فهؤلاء الذين قاموا بدين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بعده، و هم الذين اختاروا أبا بكر، و القرآن مملوء بمدحهم و الثناء عليهم، و أنت تحفظه؛ فارجع الى ما فى سورة بعد سورة من ذلك و تدبره، فذكر جميعه يطول و لا يحتمله/ هذا الموضع.

فهم لما بايعوا ابا بكر سكنت نفوسهم، و باتوا و كأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لم يمت و لم يفقد من بينهم، فهذا الذى قصدوا بالبدار، و هم كانوا اعلم بما يباشرونه و يقولونه، و قد علموا انهم قد و تروا الامم كلها فى طاعة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ فقد خلفهم و لا امير عليهم، فخافوا ان يبيتوا و قد فقدوا نبيهم و ليس عليهم امير فينشر امرهم، فلشدة اهتمام هؤلاء بحراسة الاسلام بادروا الى من يعقدون له، و إنما ذكرت لك هذا لتعرف الحال فإن من لا يعلم و من همه الطعن فى الاسلام يدعى عليهم انهم إنما فعلوا ذلك حبا للدنيا و لسرورهم بموت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و لاغتباطهم بالراحة.

---

(۱) الحشر ۹

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۶۹

و أنت تجدهم و قد شهدت افعالهم بأنهم بعد موته اشد حبا له، و أشد بصيرة فى دينه.

ثم إن ابا بكر عاد من السقيفة و قام خطيبا، و أخبر المهاجرين بما كان و قال: و اللّه ما اردت الامارة، و لا نويتها، و لا تمنيتها فى يوم و لا ليلة، و لا رغبت فيها، و لقد حرصت أن اجعلها فى عمر فما تركت، و إنما قبلتها خشية الفتنة، و لأنه لم يكن علىّ امير، و قد رجعت اموركم إليكم فاقيلونى و ولوا من شئتم. فقال له علىّ: و اللّه لا يقيلونك و لا يستقيلونك، رضيك رسول اللّه لديننا فرضيناك لدنيانا، قدّمك رسول اللّه فمن ذا يؤخرك، فصوّب الصحابة جميعهم قوله و استحسنوه «۱».

و انظر اعترافهم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قد اعطى أبا بكر اكثر مما اعطوه، و عجب على رضى اللّه عنه من طمع الانصار فى الامارة و قال: أ ما سمعوا قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «اوصيكم بالانصار خيرا، اقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم «۲»»، فلو كانوا هم الامراء لكانت الوصية لهم لا فيهم، و لكن نتجاوز لهم كما وصّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و اللّه يرحم الانصار.

فان قال: انهم لم يعارضوا أبا بكر/ خوفا و تقية، فقد بيّنا غير مرة ان سلطان هؤلاء الخلفاء الاربعة لم يكن سلطانا يتقيه محق.

و قيل: إن ابا سفيان لقى على بن ابى طالب بعد البيعة لأبى بكر فقال له: يا ابا الحسن، ما بال هذا الأمر فى اقل حىّ من قريش، إنما هى بنو عبد مناف، إن شئت ملأتها على ابى بكر خيلا و رجلا، فقال له على: ما

---

(۱) كتب فى الحاشية: صوابه ان مقامه بعد قتل مسيلمة

(۲) انظر الحديث فى مناقب الانصار.

اريد ذلك، إنا رأينا ابا بكر لها اهلا، و انى لأعد بيعتى له من جهادى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. ثم اتى ابو سفيان العباس و بنى هاشم فقال: ما لنا و لأبى فضل «۱»، إنما هى بنو عبد مناف، يا بنى عبد مناف ذبوا عن مجدكم و انصحوا عن سؤددكم، و لا تخلعوا تاج الكرامة إذ ألبسكم اللّه فضلها، انها عقب نبوة، من قصر عنها اتبع، و من ذبّ عنها اتبع؛ فقال العباس: إن الاسلام قيد الفتك و أخذ بعنان الباطل، فأمهل نراجع الفكر، فإن يكن لنا من الأمر مخرج نبسط اكفا للجد لا نقبضها او نبلغ المدى، و إن تكن الاخرى فلا لقلة فى العدد و لا وهن فى الأيد. فأنكر على قول ابى سفيان، و نهى بنى هاشم عن الخلاف، و قال لهم: عرجوا عن طريق المنافرة و حطوا تيجان المفاخرة. و قال لأبى سفيان: يا ابا سفيان، إن المسلمين قوم نصحة و إن تباعدت انسابهم، و ان المنافقين قوم غششة و ان تقاربت انسابهم، يا ابا سفيان، طالما عاديت الاسلام و اهله فلم يضره ذلك شيئا، انا وجدنا ابا بكر لها اهلا، و لو لم نره اهلا لما ولياه.

و قد ذكر من هذا امير المؤمنين على رضى اللّه عنه بعد مضى عثمان فى رسالته الى معاوية إذ يقول له فى فصل منها: و قد كان ابوك اتانى حين ولىّ ابو بكر رحمه اللّه الناس، فقال أنت احق بهذا الأمر بعد محمد صلّى اللّه عليه و سلم فهلم ابايعك و انا بذلك على من خالفك، فكرهنا ذلك مخافة الفرقة،/ فكان ابوك اعرف بحقنا منك، فإن تعرف منه ما كان يعرف تصب رشدك، و إلا فسيغنى اللّه عنك.

و قد ذكر معاوية هذا المعنى لابن عباس و بنى هاشم حين اخذ الأمر من الحسن، فقالوا له: اغتصبت و أخذت ما ليس لك، فقال لهم: إن كان امر الخلافة يستحق بالقرابة دون الرضا و الاجماع فما منع العباس منها و هو

---

(۱) كذا فى الاصل، و لعلها بكر

عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و قد ضمن له ابو سفيان بنى عبد مناف؟ فكان جوابهم ان ذاك امر رضيه المهاجرون و الانصار و اجمع عليه المسلمون، و أنت فما رضيناك.

و ما كنا فى صحة امامة ابى بكر، و إنما كنا فى ان الصحابة فى كل زمان و أوان يخوضون فيمن يصلح للامامة و لا يذكرون عهدا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى انسان بعينه مع حاجتهم الى ذلك، بل يجمعون على العمل بالاختيار، فعرض لنا ما كان بين بنى عبد مناف، فذكرنا قول بنى هاشم، و ان ابا سفيان احب ان تكون الخلافة فى بنى هاشم لأنهم اهله و أقاربه من بنى عبد مناف، و لأن السؤدد و الرئاسة كانت فيهم قبل الاسلام.

و لهذا قال خالد بن سعيد بن العاص عامل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم على اليمن و قد قدم بعد وفاته و قد بايع الناس أبا بكر، فعجب من كون الخلافة فى أبى بكر دون العباس او على او عثمان فهؤلاء اعمام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و بنو «۱» اعمامه، فقال لعثمان و على و قد أتياه ليسلما عليه حين قدم من سفره: أرضيتم بنى عبد مناف ان يلى امركم بنو تيم، فقال على: رضينا، فقال

خالد: انتم الشجر الطوال ذوات الظلال فاذا رضيتم رضيناه.

فولاية ابى بكر، و تقدمه على اهل رسول اللّه و أعمامه و بنى اعمامه/ و هم كثرة و فى عزة و منعة و فيهم اليسار و ليس لأبى بكر شيء من ذلك من العجائب، و لهذا قال ابو قحافة و قد جال الناس جولة و هو بمكة: ما هذا؟

قالوا: مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، قال: فما صنع الناس بعده قالوا: اقاموا ابنك مقامه، قال: أ فرضيت بنو عبد مناف؟ قالوا: نعم، قال: أ فرضيت

---

(۱) فى الأصل: بنى

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۲

بنو المغيرة؟ فقالوا: نعم، قال: و دانت لرجل من تيم؟ قالوا: نعم، قال: فلا مانع لما أعطى اللّه.

فعجب ابو قحافة من تقدم ابنه و السّيادة و الرئاسة انما كانت فى بنى عبد مناف و بنى المغيرة من بنى مخزوم دون بنى تيم، فلما قدّم المهاجرون و الأنصار و من كان على دين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ابنه ابا بكر، علم ان ذلك الإسلام و من قبل اللّه، و ان ابنه قد كان اولى بالحسد و الابعاد، و لكن القوم رجعوا فى توليته الى الدين و الاسلام دون الأحساب و الأنساب.

و لما بلغ اهل اليمن و البحرين و عمان قالوا لعمال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: هذا الذى بايعه الناس بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ابنه او اخوه؟ فقيل لهم: لا، قالوا:

فأقرب الناس منه؟ قيل: لا، قالوا: فما شأنهم؟ قيل: اختاروا أخيرهم فأمّروه عليهم، قالوا: لن يزالوا بخير ما صنعوا هذا.

فتأمل رحمك اللّه حال القوم لتعرف حقيقتها و تعلم انها بالضد مما قاله هؤلاء، فقد طال العهد و قل التأمل.

و باب آخر

و هو ان أبا بكر غزا اليمامة، و مسيلمة، و ربيعة، و طلحة، و بنى اسد، و تلك القبائل المرتدة، و مانعى الزكاة، مع إذعانهم بإقامة الصلاة، و أنكر رضى اللّه عنه «۱» تغير دين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و أنه لا يقرهم على ترك خصلة واحدة من دينه و لا تعطيل شيء منه، و قد غزاهم بالمهاجرين و الانصار و نكل بهم كل التنكيل، و قتلهم ألوان القتل، و صنع بالرجال و النساء منهم

---

(۱) فى الاصل: عنهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۳

من النكال ما يطول شرحه لأنهم غيروا دين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم،/ و عطلوا حدوده، فما استطاعوا ان يقولوا لأمراء ابى بكر لم تنكرون علينا هذا و أنتم قد عطلتم نصوص صاحبكم، و غيرتم دينه، و بدلتم كتابه، و انصرفتم عن وصيه و عمّن استخلفه، و ضربتم ابنته، و قتلتم جنينها فى بطنها، و هذا موضع حاجة هؤلاء إليه، و لو كان لذلك ادنى اشارة لعوّلوا عليه و استراحوا إليه، فعلمت ان ما يدّعيه هؤلاء لا اصل له.

و لو كان بدا منهم شيء لكان العلم به اقوى مما كان بين امير المؤمنين و أهل النهر، و بينه و بين اهل الشام و غيرهم.

و باب آخر [طلب ابى بكر من المسلمين اقالته و رفضهم ذلك]

ان ابا بكر لما قتل مسيلمة، و أسر طلحة، ورد اهل الردة، و استولى على جزيرة العرب الاسلام و أنفذ جيوشه الى العراق و استظهر المسلمون، قام فى المسلمين خطيبا فقال: ان اموركم قد عادت إليكم و بحمد اللّه استظهرتم على عدوكم فأقيلونى فقد تقلدت امرا ما

لی فیه راحة و لا یدان الا بمعونة اللّه، فقال له علیّ رضی اللّه عنه: ما یقیلونک و لا یستقیلونک، و ما منک بدل و لا بدل عنک حول، و مشی فی الناس ثلاثا یستقیل فما اقالوه.

و باب آخر [تمنی ابی بکر ان لا یکون قد ولی إمرة المسلمین]

ان ابا بکر لما مرض مرض موته قال: یا لیتنی یوم ظلة بنی ساعدة قد کنت ولیت عمر او ابا عبیدة، فکنت أکون وزیرا خیرا من ان اکون امیرا، و لیتنی حین بعثت خالدا الی الشام کنت بعثت عمر الی العراق فکنت

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۴

قد بسطت یمینی و شمالی. ثم عزم علی استخلاف خلیفة یکون بعده، و أخذ یشاور فی ذلک؛ فقال لرهط من المسلمین: إن ولیت علیکم رجلا منکم أ ترضون؟ فقال علیّ بن ابی طالب: لا إلا ان یکون عمر، فأمسک؛ ثم خلا بعبد الرحمن بن عوف و شاوره فی عمر و أخذ رأیه فیه ثم قال له: اکتم یا ابا محمد ما کان بیننا الی ان اقوله لک، ثم شاور عثمان بن عفان، ثم شاور اسید بن حضیر فی رهط من الأنصار فی ذلک، فقال له اسید:/ ما اعلمه إلا الخیرة بعدک لو لا ما فیه من شدة فقال له ابو بکر: یا ابا یحیی انی قد رمقته، فکنت اذا شددت فی الشیء ارانی فیه اللین، و إذا لنت فی الشیء ارانی فیه الشدة، و لو قد ولیکم للان و اشتد.

ثم اظهر ابو بکر الامر للناس و ذکر لهم رأیه فی عمر، فقال طلحة و غیره: ان عمر رجل مهیب، له هیبة و لیس بخلیفة، فکیف اذا صار خلیفة؟ فاعدل بنا عنه الی رجل هو اخفض جناحا و ألین جانبا فکان جواب ابی بکر ما قد تقدم؛ فکیف یظن عاقل تدبر الامور ان هناک رجلا قد اقامه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و فرغ لهم منه، و کلهم و معهم ذلک الرجل الذی یدّعی هؤلاء، یطلبون رجلا یصلح فی دین رسول اللّه و عند رسول اللّه للقیام بأمر امته؟ و هل هذا إلا کقائل قال فی جماعة کثیرة قیام فی الشمس و هم یطلبون الشمس و یسألون عن الشمس، و تأمل الحال، و کیف ینطق کل واحد بما عنده و بما یراه، غیر راهب و لا خائف من الأنصار و من المهاجرین و من ابی سفیان و من بنی هاشم و من خالد بن سعید لتعلم سلطان هؤلاء الخلفاء کیف کان.

فکان المسلمون یفرغون الی ابی بکر فی کل صغیر و کبیر، فیقول لهم:

أ تظنون انکم تجدون عندی ما کنتم تجدونه عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، لا تجدون

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۵

ذلک، إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم کان یأتیه الوحی، و إنما انا مثلکم، فان احسنت فأعینونی و إن زغت فقومونی؛ و یسأل عن مسألة فیقول: اقول فیها برأی، فإن یک صوابا فمن اللّه، و إن یک خطأ فمنی و من الشیطان، فیستحسن المسلمون هذا منه و یحمدونه علیه، و لا یقول قائل کیف یزیغ إمام المسلمین و کیف یخطئ، و عند الإمامیة ان إمام المسلمین لا یخطئ و لا یزل.

و قد قال عمر أیضا مثل قول ابی بکر مرات کثیرة، و قال عثمان مثل ذلک.

و ما بلی به علی/ و ما قاله فی هذا الباب فأکثر مما ابتلی به أبو بکر و عمر و عثمان، فإنه ابتلی من اهل زمانه و من اصحابه طول خلافته بالإضلال و الإکفار فما احتج هو لنفسه بالنص و لا بالعصمة، و لا احتج له من فی زمانه ممن کان یخاصم عنه من ولده و أهل بیته و شیعته بشیء من ذلک، و کانوا و کان هو أیضا لا یأبون ان یجوز علیه ما یجوز علی اهل الشوری و علی الخلفاء قبله.

و کان ما یتدین به من الاختیار اکثر و أشهر مما کان من الخلفاء قبله، و لهذا قالت العلماء: إن العلم بأن رسول اللّه ما نص علی علی و لا استخلفه اقوی من العلم بأنه ما نصّ علی بلال، أو عمار، و أبی ذر، او ابن مسعود، فانه رضی اللّه عنه قد بقی بعد الخلفاء خلیفة و إماما معه مائة الف سیف تطیعه، و قد نازعه خلق کثیر فی الإمامة و ناظروه، و ادّعوا علیه الخطأ و الضلال و الإکفار، فما ادّعی النص و لا العصمة و لا احتج فی مشافهة و لا مراسلة و لا مکاتبة بشیء من ذلک، بل کان یحتج بأن طاعتی وجبت لأنه بایعنی الذین بایعوا ابا بکر و عمر و عثمان، فوجبت طاعتی کما وجبت طاعتهم.

و من نعمة اللّه على المسلمين ان بقاءه رضى اللّه عنه بعد الخلفاء خليفة و إماما و سلطانا و معه مائة الف سيف تطيعه، فما سار فى تركات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۶

إلا سيرة ابى بكر و عمر و عثمان، و لا حبا السواد و مصر و فارس و أرمينية و أذربيجان و خراسان إلا ما حباه الخلفاء قبله، و لا قرأ إلا المصحف، و لا أقرأ اولاده و الناس الا هذا المصحف، و ملك الارض كان كله بيده إلا كرة فلسطين، و أقام التراويح بنفسه و أقامه عماله فى ممالكه كلها، و كان يقيم إماما للنساء فى التراويح، و أثنى على الخلفاء قبله بما يطول شرحه و قد ماتوا و بلوا، و هو يلعن معاوية و يبرأ منه و هو حى و معه اكثر من مائة الف/ سيف، و كذا صنع بالخوارج. فهو لا يخاف الجبابرة الاحياء، و عند الإمامية انه قد خاف الموتى و هو سلطان عظيم الشأن، و قد بيّنا ان هؤلاء فى حياتهم و سلطانهم ما كان يخافهم محق «۱».

فإن قيل: و من سلم لكم انه كان يقيم التراويح، بل يقول انه قد نهاهم عنها، فقالوا: وا عمراه، فلما قالوا ذلك، اقامها لهم.

قيل له: لا فرق بين من ادعى هذا، او ادعى انه قد كان نهاهم عن هذا المصحف فقالوا وا محمداه، او قال: قد كان نهاهم عن هذه الصلاة و قال لهم:

لها باطن و هى شخص، أ لا تسمعونه يقول: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، و لا ينهى إلا الشخص كما يدعيه عليه الاسماعيلية فصاحوا وا محمداه، او كمن ادعى انه كان يعيد فى آخر ذى الحجة و يقول: هذا اليوم الذى نص علىّ فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و استخلفنى كما يفعل الامامية ذلك فى زماننا ببغداد، و انه كان يقيم المناحات بالشعر على فاطمة و ابنها الحسن الذى زعم الامامية ان عمر قتله، كما يفعل الامامية ذلك ببغداد و الكوفة. و بأى شىء يعلم العاقل

---

(۱) فى الاصل: يخاف، و لكن السياق يقتضى ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۷

المتأمل ان العباس و ولده و بنو هاشم كانوا يقيمون التراويح الا و العلم الذى يعلم به ان عليا كان يقيمها بنفسه و عامله قرظه بن كعب «۱» بالكوفة و عامله بالبصرة و بمكة و المدينة و سائر بلدان الاسلام التى فى ملكه و سلطانه اقوى و اقهر.

و لو ادّعى مدّع ان ابن مسعود بالكوفة و ابا عبيدة و معاذ بن جبل بالشام كانوا لا يرونها و لا يقيمونها، هل كانت الدلالة على بطلان دعواه الظاهرة، و الدلالة على بطلان من ادّعى ذلك على امير المؤمنين اقوى و اقهر. و العجب ان رؤساءهم و الذين لقنوهم هذا/ المذهب قد قالوا: انه اقام التراويح.

و إذا قيل لهم: هبكم انكم ادعيتم انه كان فى زمن ابى بكر و عمر و عثمان كان مغلوبا مقهورا، فما باله حين مات هؤلاء [و] «۲» صارت الخلافة إليه و صار السلطان بيده و الفىء يجبى إليه فيعطيه من يرى و هو فى العساكر و الجيوش، لم يدّع «۳» النص و تعطيل التراويح و يظهر المصحف الذى تدعون و يسير فى اموال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ما تدعون و يظهر البراءة من ابى بكر و عمر و عثمان سيما و قد ماتوا، كما اظهرها فى معاوية و الخوارج و هم احياء و فى عساكر؟

قالوا: ما فعل ذلك و لا قدر عليه لأن جنده و أعوانه من المهاجرين و الانصار و التابعين بعدهم كانوا اولياء ابى بكر و عمر، فلو اتهموه ببغضهم لقتلوه، فما زال مظهرا لنصرتهم و موالاتهم الى ان خرج من الدنيا.

قالوا: و كذا فعل الحسن و الحسين رضى اللّه عنهم اجمعين.

---

(۱) فى الاصل: كعب بن قرظه، و الصواب ما اثبتناه، و هو احد كبار مساعدى على بن ابى طالب رضى اللّه عنه و حضر معه صفين سنة ۳۷ ه.

(۲) فی الاصل: صارت

(۳) فی الاصل: یدعی

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۸

و الآن یدعی هذا المدعی فی هذا الزمان انه کان قد نهی عن التراویح، فلما صاحوا وا عمراه خافهم فتقدم و اقامها لهم، فما یجری کلامهم علی تحصیل و لکن کما یسنح لهم.

و مما کان ینبغی ان یقدم قبل هذا، ما کان من عهد عمر حین جرحه فیروز النصرانیّ، فإنه ورد علی علیّ و المهاجرین و الانصار و جمیع المسلمین من ذلک ما ذهلت له عقولهم أسفا علیه؛ فانه قد کان دوّخ ملوک الفرس و الروم و أذلهم، و غلب علی ممالکهم، و ألجأهم الی الهرب، و بلغت خیوله افریقیة و أوائل خراسان و أوائل الهند، فذلّ الشرک کله به، و غزا الاسلام بمکانه و سلطانه. فخاف المسلمون ان تکرّ ملوک الشرک علیهم بفقده، فاجتمعوا و انفردوا عنه/ مفکرین، و أملوا ان یبتدئ و یستخلف علیهم. فدخل علیه أهل الامصار فقالوا له: أوصنا یا امیر المؤمنین، قال: أوصیکم بالقرآن فتمسکوا به، فیه هدی اللّه نبیّکم و هداکم من بعده، و فیه نجاتکم، قالوا:

أوصنا، قال: أوصیکم بالمهاجرین و الانصار و ذکر فضلهم، قالوا: أوصنا، قال: أوصیکم بالعرب فإنهم مادة الاسلام، قالوا: اوصنا، قال: اوصیکم بذمتکم فإنهم ذمة نبیکم و قوت عیالکم، قالوا: اوصنا، قال: قوموا عنی و إلا قمت عنکم. فلما رآه اصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لا یذکر أحدا للخلافة دخلوا علیه، و ابتدأ ابن عباس یسأله الاستخلاف؛ و افتتح الکلام، فقال:

قد تولیتها حیاتی و اجتهدت لکم رأیی و نصحت لکم جهدی و منعت نفسی و أهلی، و أرجو ان انجو منها کفافا لا علیّ و لا لی؛ فأثنوا، و ابتدأ علی یبشره عن رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم بالجنة، و قال له: و أشار الی ابن عباس یشهد علی رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم بمثل ما شهدت، و شیع غیرهما ذلک و سألوه الاستخلاف، فقال: ما أحب ان اتحملها حیا و میتا، قالوا: بل تفعل، و لک فی ذلک

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۷۹

الاجر؛ انظر یا امیر المؤمنین لأمة محمد صلّی اللّه علیه و سلم، فقال: دلونی علی من أستخلف، فقال له المغیرة: انا أدلک علیه: عبد الله بن عمر، فقال له عمر: و الله ما أردت بذلک اللّه، فقال له ابن عباس: یا امیر المؤمنین، و ما یمنعک من إخوانک، و أشار الی علیّ و عثمان و عبد الرحمن و تلک الجماعة، فقال عمر:

إن أستخلف فقد استخلف من هو خیر منی، و إن أترک فقد ترک من هو خیر منی- یعنی أن رسول اللّه ما استخلف و أن ابا بکر استخلف- ثم قال:

هی فی واحد من هؤلاء الستة الذین شهد لهم/ رسول اللّه بالجنة و قبض و هو عنهم راض: علی و عثمان ابنا عبد مناف، و سعد و عبد الرحمن خالا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و الزبیر حواریّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و طلحة وقایة رسول اللّه. ثم حذر کل واحد منهم من خلق کرهه له. و قال لعلی: إن ولیت هذا فاعدل و لا- تحمل بنی هاشم علی رقاب الناس، و قال لعثمان مثل ذلک، و قال له:

لا- تحمل بنی ابی معیط علی رقاب الناس، ثم اقبل علی عمار و مقداد فی ان یکونا فی ثلاثین من المهاجرین، و قال لأبی طلحة الانصاری: إن اللّه لم یزل یعزّ هذا الاسلام بقومک فکن فی خمسین منهم، فإذا متّ فلیصلّ علیّ صهیب، و لیصلّ بالناس الی ان یقیموا خلیفة، و کونوا علیهم رقباء لئلا یستبدّ مستبد، و قال: لا یأتی الیوم الثالث إلا و قد أقمتم احدا من هؤلاء الستة خلیفة، و جدّوا فی امرکم، و جاهدوا عدوکم.

فلما قبض أنفذوا وصیته کما رسم، فکم فی هذا من شاهد علی بطلان دعاوی هؤلاء القوم، و ما حاجة الصحابة ان یختار لهم عمر

خلیفة و قد فرغ لهم من ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و هو قائم العین نصب اعینهم. و أعجب من هذا قول عمر و هم یسمعون ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ما استخلف، و أعجب منه ان الذی یدّعون ان رسول اللّه استخلفه معهم فی ان رسول اللّه ما استخلف،

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۰

و أن الخلافة بالاختیار لا بالنص، و أنها فی واحد منهم و فیهم الهاشمی و الاموی و الزهری و التیمی و الاسدیّ، ففیمن کانت منهم کان صوابا، لا ینکر ذلک احد من المسلمین. و أعجب من هذا قوله لعلی: ان ولوک فاعدل و لا تحمل بنی هاشم علی رقاب الناس، فکیف لم یقل له: ما أحتاج الی تولیتهم لی؛ و لأنّی رسول اللّه و اختارنی و شهد بعصمتی،/ و کیف تقول هذا لی؛ و کیف تقول إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ما استخلف؟

و باب آخر [کیف رد المسلمون الأمر الی عبد الرحمن بن عوف]

ان علیا و الجماعة ردّوا الامر الی عبد الرحمن لیختار واحدا منهم للخلافة و علیهم الرضا بحکمه، فقال لهم: تکلموا فأخبروا الناس بذلک، فتکلموا، و قام امیر المؤمنین علیّ رضی اللّه عنه، فحمد اللّه و أثنی علیه و صلی علی نبیه ثم قال: لو عهد إلینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم عهدا لجالدنا علیه حتی نموت، او قال لنا قولا انفدنا قوله علی رغمنا، لن یسرع احد قبلی الی صلة رحم و دعوة حق، و الأمر إلیک یا ابن عوف و علیّ صدق الیقین و جهد النصح و أستغفر اللّه لی و لکم. فلم یقل «۱» رضی اللّه عنه إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ما ولّاه و لا ولّی علیه.

ثم انظر فی باب آخر فی امر عثمان و ما لحقه فی آخر امره من الإعراض و الخصومة، حتی تجرأ علیه العبید و النساء و الصغیر و الکبیر، هل قرّعه احد من خصومه و أعدائه بأنه جلس فی غیر مجلسه؟ و قد بالغوا فی التشنیع علیه، و هو کان یسمی الخلیفة المستضعف، فکیف لم یتقدم الخلیفة المنصوص علیه فیأخذ الامر من هذا الذی قد قهر و حصر.

---

(۱) فی الاصل: یقول

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۱

و أعجب من هذا، ان المصریین أتوه رضی اللّه عنه بعد ان مضی عثمان فقالوا: امدد یدک نبایعک، فقال: لیس هذا إلیکم، هذا للمهاجرین و الانصار، من أمّره اولئک فکان امیرا. فانظر کم یقول إن هذا امر المسلمین و أنه بالاختیار. ثم ان المصریین انصرفوا عنه، فجاءه المهاجرون و الانصار، فقالوا: امدد یدیک نبایعک، فقال لهم: اختاروا غیری تبایعونه و أبایعه، فلأن اکون لکم وزیرا خیر من ان اکون امیرا، فدفعهم عن نفسه، فعاودوه فقال لهم: إن عمر کان رجلا مبارکا/ و قد جعلها شوری، قالوا: فأنت من الشوری و قد رضیناک، فقال: اختاروا غیری، فدفعهم، فعادوا فقال: قد علمتم انی اسمعکم و أطوعکم لمن ولیتموه امرکم، قالوا: قد رضیناک، فدفعهم و مشی الی طلحة و الزبیر فعرضها علیهما، و قال: من شاء منکما بایعته، فقالا: لا، الناس بک ارضی، فترددوا إلیه و هو یأبی و یقول: اختاروا غیری فیقال انهم اختلفوا إلیه بعد مضی عثمان ثمانیة ایام، و منهم من یقول [] «۱» یوما و هو یقول: اختاروا غیری ابایعه و تبایعونه.

هذا، و قد مات ابو بکر و عمر و عثمان و ما هناک سلطان و لا خلیفة، فأین ما ادعیتموه؟ ثم انه لما اتوا و ألحوا علیه فقال بعد الحمد و الثناء و الصلاة:

أیها الناس، ان احق الناس بهذا الامر اقواهم علیه و اتقاهم للّه، و لا یحل بعد إلا برضی المهاجرین و الانصار، فاذا رضوا لم یکن الخیار، فان شغب شاغب استتیب، فان ابی قوتل حتی یفیء الی امر اللّه.

(۱) فراغ فی الاصل، و القول الصحیح ما ذکره القاضی من ان عثمان رضی اللّه عنه قتل یوم ۱۸ ذی الحجة سنة ۳۵ ه. و ان علیا رضی اللّه عنه بویع یوم الجمعة لخمس بقین من ذی الحجة.

انظر الطبری.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۲

فانظر الی هذا البیان و الکشف، و ان الامامة بالاختیار، و انها الی المهاجرین و الانصار، فقالوا نبایعک علی کتاب اللّه و سنة رسول اللّه، فإن لم تف فلا بیعة لک، قال: نعم.

ثم خطبهم فقال بعد الحمد و الثناء و الصلاة علی النبی صلّی اللّه علیه و سلم مقدار نعم اللّه علی الخلائق برسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، ثم قال: ان اللّه یعلم انی کنت کارها للولایة علی امة محمد علیه السلام حتی اجتمع رأیکم علی ذلک لأنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یقول: ایما وال ولی الامر بعدی اقیم علی حد الصراط، و نشرت الملائکة صحیفته، فان کان عادلا انجاه اللّه بعد له، و ان کان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة حتی تتزایل ما بین مفاصله، ثم تتحرق به الصراط فیکون اول ما یتقی به النار انفه و حر وجهه، و لکن/ لما اجتمع رأیکم لم یسعنی ترککم. اقول ما سمعتم، و استغفر الله لی و لکم.

فانظر الی هذا ففیه اتم کفایة، و انظر الی بیانه ان الامام یجور و یخطئ و یزل.

و خطبته المشهورة بالعراق التی لا یستطاع دفعها:

أیها الناس، انه لما توفی رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم بایعتم ابا بکر فبایعت و رضیت، ثم بایعتم عمر فبایعت و رضیت، ثم بایعتم عثمان فبایعت و رضیت، حتی إذا مضی عثمان تداککتم علیّ کتداک «۱» عرف الصبع، فمددتم یدی فقبضتها و قلت: اختاروا لأنفسکم فأبیتم الا مبایعتی، حتی اذا کثر الجمع و وطیء الحسبان و شق عطافه، فأبیت الا أن تکون بیعتی ظاهرة مکشوفة علی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و فی مسجده، فبایعنی کلّ، لا أری منکرا، فلما قلدتمونیها

(۱) تداککتم: تهالکتم. و فی الحاشیة کتب: صوابه تهالکتم.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۳

نکث ناکثون ممن بایعنی و قسط قاسطون، فلم اجد إلا قتال من بغی و محاکمة من اعتدی الی کتاب اللّه؛ و لیس یجب انکار امامة من عقدت له الامامة إلا أن یجور فی حکم، او یعطل حدا، او یضعف عن القیام بها؛ فو اللّه ما عطلت لکم حدا، و لا جرت علیکم فی حکم، و لا ضعفت عن القیام بالامامة، فأوجبوا لی علی انفسکم مثل ما اوجبتموه لمن تقدمنی من ابی بکر و عمر و عثمان یرحمهم اللّه.

فانظر کیف یذکرهم ببیعة الخلفاء قبله و رضاه بهم، و یجعلهم إجماعا و حجة علی الأمة، و یذکر انه صار إماما ببیعتهم له، و أنهم هم قلدوه إیاها، و أنه لا یحل انکار امامة الامام الا ان یجور فی حکم او یعطل حدا او یضعف عن القیام بها، و أن هذا جائز علی کل امام بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و هو رضی اللّه عنه اعلم بنفسه و بدینه و أفقه فی دین اللّه، فینبغی الرجوع الی قوله لا الی قول هؤلاء/. و قد قال فی خطبة له بالمدینة و هو یأمر الناس بتفقد افعاله و أحکامه: رحم اللّه رجلا رأی حقا فأعان علیه، و رأی جورا فردّه، و کان عونا بالحق علی من خالفه.

و قد قال الحسن ابنه رضی الله عنهما لأهل الکوفة حین استنفرهم الی ابیه: یا أیها الناس، إن امیر المؤمنین یقول انی خرجت مخرجی هذا ظالما او مظلوما، و إنی اذکر الله رجلا رعی الله حقا إلا نفر، فان کنت مظلوما أعاننی، و إن کنت ظالما اخذ منی.

و من مقاماته بالبصرة یوم الجمل بعد انقضاء الحرب فقال: این مثوی القوم؟ قالوا: صرعی حول الجمل، فقام خطیبا فقال بعد حمد الله

و الثناء:

توفی رسول و لم یعهد إلینا فی الامارة عهدا فنتبع اثره، و لکنا رأیناها من

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۴

تلقاء انفسنا، فان یک صوابا فمن الله، و إن یک خطأ فمنا و من الشیطان.

استخلف ابو بکر و یرحم الله ابا بکر فاستقام و أقام، ثم استخلف عمر و یرحم الله عمر فاستقام و أقام، ثم ضرب الدین بحرانه، یرحم الله من یشاء و یعذب من یشاء.

ثم القول الذی کان یقوله و یعیده و یبدیه و یذکر ایام الإلفة و الاستقامة و ما حدث بعد ذلک من الخلاف فی آخر ایام عثمان: سبق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و صلی ابو بکر، و ثلّث عمر، ثم خبطتنا فتنة فما شاء اللّه «۱»- قوله ما شاء اللّه علی طریق الاستغاثة بالله لأن الله یشاء نصرة الحق و لا یشاء الله الباطل- أی اللهم افعل ما تشاء، قد قال الحسن البصری فیما حکاه الله عن احد الرجلین: «وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَکَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ» «۲» ای ما شاء الله من شکره و حمده و الرجوع إلیه.

و لما فرغ امیر المؤمنین/ من امر البصرة و بلغه خلاف معاویة و ندب الناس الی حربه، دخل علیه ابن الکوّاء و قیس بن عباد الیشکریّ و هناک اصحابه فقالا له: أخبرنا عن مسیرک هذا الذی سرت، تضرب الناس بعضهم ببعض لیتبین الناس أمورهم فتستولی بها علیهم، أمن رأی رأیته حین تفرقت الأمة و اختلفت الدعوة أنک احق الناس بهذا الامر، فإن کان رأیا رأیته أجبناک فی رأیک، و إن کان عهدا عهده إلیک رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم فأنت الموثوق به و المصدق المأمون علی رسول الله فیما حدثت عنه.

---

(۱) فی الحاشیة: قوله ما شاء اللّه علی طریق الاستغاثة

(۲) الکهف ۳۹

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۵

قالوا: فتشهّد امیر المؤمنین و حمد الله و قال: لأنا و الله اول من صدقه فلا اکون اول من کذب علیه، اما ان یکون عندی عهد من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فلا و اللّه، و لو کان عهد من رسول اللّه ما ترکت أخا تیم ابن مرة «۱» و لا- ابن الخطاب علی منبره و لو لم آخذ الا بیدی هذه، و لکن نبیکم نبی الرحمة لم یقتل قتلا و لم یمت فجأة، مرض لیالی و أیاما، یأتیه بلال یؤذن بالصلاة فیقول له: ائت ابا بکر- و هو یری مکانی- فلما قبض اللّه نبیه علیه السلام نظرنا فی امرنا، فإن الصلاة أعظم الاسلام و قوام الدین فرضینا لدنیانا من رضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لدیننا، فولینا ابا بکر امورنا، فأقام بین أظهرنا:

الکلمة جامعة و الامر واحد، لا یختلف علیه منا اثنان، و لا یشهد أحد منا الی صاحبه بالشرک و لا یقطع منه البراءة، فکنت و اللّه آخذ اذا اعطانی، و أغزو اذا أغزانی، و اضرب بیدی هذه الحدود بین یدیه.

فلما قبض ابو بکر ظن ان عمر اقوانا علیها و أحمل لها منا فولاها عمر، فأقام عمر بین اظهرنا: الکلمة جامعة و الامر واحد، لا/ یختلف علیه منا اثنان و لا یشهد احد منا علی صاحبه بالشرک، فکنت و اللّه آخذ اذا اعطانی و أغزو اذا أغزانی، و اضرب هذه الحدود بین یدیه.

فلما حضرت عمر الوفاة ظن انه إن یستخلف خلیفة فیعمل ذلک الخلیفة بخطئه إلا لحقت عمر فی قبره، فأخرج منها ولده و اهل بیته و جعلها فی ستة رهط من قریش، و کان فینا عبد الرحمن بن عوف فقال: هل لکم الی ان ادع لکم نصیبی منها علی ان اختار للّه و لرسوله و المسلمین، فقلنا: نعم، فأخذنا میثاقه علی ذلک، و اخذ میثاقنا علی ان نسمع و نطیع لمن ولاه امرنا،

---

(۱) یقصد أبا بکر الصدیق رضی اللّه عنه

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۶

فضرب بیده علی ید عثمان، فنظرت فی امری فإذا طاعتی قد سبقت بیعتی، و اذا میثاقی لغیری فی عنقی، فأدیت الی عثمان حقه، و کنت اضرب بین یدیه الحدود.

فلما قتل عثمان رحمه اللّه، نظرت فاذا الخلیفتان «۱» اللذان اخذاها من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بالعهد فی الصلاة قد هلکا و لا عهد لهما و اذا الخلیفة الذی اخذها بمشورة المسلمین قد قتل و خرجت ربقته من عنقی و قتل و لا عهد له.

فلما قتل، بایعنی اهل هذین الحرمین: مکة و المدینة، و اهل هذین المصرین البصرة و الکوفة؛ فجاء معاویة یقاتلنی مع اهل الشام و کنت احق بالامر منه:

کنت مهاجرا و کان اعرابیا، و کنت سابقا و کان طلیقا، و کان لی الصحبة؛ قالوا: صدقت، أنت احق من معاویة.

فتأمل هذا الشرح و الکشف و حصّل ما فیه، فلو لم یکن معک غیره لکان فیه اتم کفایة؛ و إنما سألوه هل معه فی ذلک عهد من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ألقاه إلیه وحده کما سأل عمران/ بن حصین و أبو الأسود الدؤلی عائشة و طلحة و الزبیر کل واحد منهم علی انفراده، هل معه العهد من رسول الله فی مسیره فکلهم قال: لا.

فإن قیل: قد علمنا انه کان یأخذ اذا اعطوه، و یقیم الحدود بین ایدیهم، و یعینهم، فمن این لنا انهم غزوه؟ قلنا: لو لم یکن معنا خبر بأنهم قد غزوه إلا هذا لکفی و أغنی.

و کان رضی الله عنه قد انکر من معاویة تبسطه فی زمن عثمان فتنکر له، و أشار علیه بعض اصحابه فقال: أنت بقیة الناس و لک حق الطاعة،

---

(۱) فی الاصل: الخلیفة

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۷

فأقر ابن عامر «۱» و معاویة و غیرهما فانهم یبایعون لک الناس، و یهدءون البلاد و یسکنونهم. فقال له: و الله لو کان ساعة من نهار لاجتهدت فیها رأیی و لا ولیت هؤلاء و لا مثلهم یولی، و الله لا اداهن فی دینی و لا اعطی الدنی فی امری.

و کان المغیرة هو الذی اشار علیه بهذا، فلما قدم ابن عباس من مکة استشاره امیر المؤمنین فقال: ما تری فقد اشار المغیرة بإقرار معاویة، فقال:

قد نصح لک یا امیر المؤمنین فافعل و اقبل، فقال: و اللّه ما اشک ان ذلک خیر فی عاجل الدنیا لأصحابها، و ما الذی یلزمنی من الحق و المعرفة ألا اولی منهم احدا، فإن قبلوا ذلک فخیر لهم، و إن ادبروا بذلت لهم السیف، و ما علی إلا الاجتهاد. فقال له ابن عباس: خلنی اولّه ثم انزعه من غیر نقصان و لا إثم، فقال: لا افعل، ما کنت متخذ المضلین عضدا، اخاف ان یظلم مسلما او معاهدا فأجده فی صحیفتی، لا اولیه ساعة واحدة.

فراجعه ابن عباس فقال: لا یظلم، فقال: لا أشرک فی امانتی الا من ارضاه.

فانظر الی هذه المکاشفة بالحق فی جمیع اموره لتعلم فریة من نسبه الی الخوف من المخلوقین و قولهم انه کان یقی نفسه بدینه. و کان رضی اللّه عنه اذا سئل المداراة و خوّف من/ الخلاف یقول: ابا الموت تخوفوننی، فو اللّه ما أبالی سقطت علی الموت أم سقط الموت علیّ، و کان یقول: علیّ آنس بالموت من الطفل بثدی أمه، و مذ امره اللّه و نهاه ما رأی منکرا قط و لا

---

(۱) یقصد عبد اللّه بن عامر بن کریز، عامل عثمان علی البصرة

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۸

سمعه إلا ردّه و أنكره، و لا رأى معروفا إلا شيده و قوّاه و نصره. و كان ظاهره كباطنه، و سره كعلانيته. و كان لا يخاف الجبابرة الطغاة الذين يخافهم البشر فكيف [يخاف] «۱» ابا بكر و عمر و عثمان، و لا يخاف سلطانهم محق و لو انه عبد او امرأة او ذمى كما تقدم شرح ذلك؟ لتعلم ان معونته لهم و نصرته لسلطانهم و طاعته لهم فى حياتهم و تنفيذه وصاياهم بعد موتهم لأنهم أئمة هدى.

و قد كتب رضى اللّه عنه الى معاوية «۲»: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من عبد اللّه على امير المؤمنين الى معاوية بن ابى سفيان. اما بعد، فان بيعتى بالمدينة لزمتك و أنت بالشام لأنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان رضى اللّه عنهم على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار و لا للغائب ان يرد، و إنما الشورى للمهاجرين و الانصار، فاذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما كان ذلك رضى للّه، فان خرج من امرهم ردوه الى ما خرج منه، فان ابى قاتلوه على ابتغائه غير سبيل المؤمنين و ولاه اللّه ما تولى و أصلاه جهنم و ساءت مصيرا.

فما دخل معاوية فيما دخل فيه المسلمون، فان احب الامر إلىّ فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء، فان تعرضت قاتلتك و استعنت باللّه عليك، فقد اكثرت فى قتلة عثمان يرحمه اللّه. فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم الى احملك و إياهم على الحق و على كتاب اللّه، فأما تلك التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن، و لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم عثمان رضى اللّه عنه. و اعلم يا معاوية انك من الطلقاء

---

(۱) اضافة على الاصل يقتضيها السياق

(۲) كتب فى الحاشية: كتاب على رضى اللّه عنه الى معاوية

تثبیت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۸۹

الذين لا يحل لهم الخلافة و لا يعرض فيهم الشورى، و قد/ اتاك و من قبلك جرير بن عبد اللّه «۱»، و هو من اهل الايمان و الهجرة فبايع، و لا قوة إلا باللّه.

فانظر هل يحتج الا بالاختيار و بالشورى و بالاجماع و بسنة الخلفاء قبله، فهم عنده حجة و قدوة، و كم يقول و يبين ان الامامة الى المهاجرين و الانصار فمن بائعون و عقدوا له كان اماما؛ فهو يحتج بأن طاعته طاعة الخلفاء قبله، و عند الامامية ان التدين بالاختيار و بالشورى و الاقتداء بأبى بكر و عثمان شرك و كفر، و هم مع هذا يدّعون انهم شيعة لأمير المؤمنين، فهل سمعت بأعجب من هذا.

و انظر مكاشفته بالحق لمعاوية، و قوله فى كل انسان ما فيه، و قوله له انك اظهرت الطلب بدم عثمان و ما ذاك قصدك و نيتك، و انما نيتك و قصدك و ضميرك الملك و الدنيا، و لم يكن لك سابقة فى الدين تحل لك بها الخلافة، فما تأخذه رضى اللّه عنه لومة لائم و لا يتقى احدا من المخلوقين. و كان يقول:

أيها الناس، انما اهلك من كان قبلكم خبث اعمالهم حين لم ينههم الربانيون و الأحبار فيأمروا بالمعروف و ينهوا عن المنكر، فان ذلك لن يقدم من أجل و لن يؤخر رزقا. و كان يقول: لا خير فى قوم لا يرون الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فرضا، و لا خير فى قوم يأمن بينهم اهل المعاصى و يعملون بينهم بالكبائر. و كان يقول: قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «اقرب الشهداء منى و أفضلهم عندى بعد حمزة و جعفر من قام الى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله» «۲».

---

(۱) هو جرير بن عبد اللّه البجلى المتوفى سنة ۵۱ ه.

(۲) انظر شرح الجامع الصغير ۱: ۶۴. و قد اورده الحاكم عن جابر بلفظ آخر.

تثبیت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۰

و كم له رضى اللّه عنه مثل هذا الكتاب الى معاوية، يمدح فيه الخلفاء قبله، و يذم معاوية، و كم له من الرسل إليه فى هذا المعنى، و ما

رضى من إنكار المنكر حتى سافر الى اهله بعد المكاتبة فشافههم به. فسار الى معاوية و نزل بصفين، و أقام نحو الشهرين لا يحارب/ و لا يقاتل، و يقيم الحجة على معاوية، و يبين براءته من دم عثمان و من خذلانه، و انه قد بذل لعثمان النصرة فأباها عثمان و كره القتال، و أراد ان ينصرف القوم عنه راضين بغير قتال، و انه ما ظن و لا ظن عثمان انه يقتل، و ان القوم اغتالوه و تسلقوا عليه و قتلوه ليلا. و يستشهد على ذلك المهاجرين و الانصار، ثم يحلف بعد هذا و يقول: و اللّه ما قتلت عثمان و لا مالأت على قتله و لا رضيت و لا هويت، و يلعن قتلة عثمان و يقول: اللهم العن قتلة عثمان فى الليل و النهار و البر و البحر، و يرفع يديه بذلك حتى يبين ما تحت منكبيه.

و قد فعل مثل ذلك بالبصرة، فقال معاوية نحن نصدقه، و لكن فى عسكره شناة عثمان و غزاته يسلمهم إلينا. الى ان قال اهل الشام تخلّى معاوية على الولاية و هو يسمع لك و يطيع، فقال: لا افعل، و سألوه فى ذلك فما أجاب. فأتاه و فد اهل الشام و فيهم رجل يقال له حوشب ذو ظليم له قدر و نباهة، فقام فقال: أ لا ترى يا على ان اللّه قد قسم لك قسما حسنا فخذه بشكر، إن لك قدما فى الاسلام و سابقة و قرابة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و صهرا و تجربة و سنا، فإن تتلف بيننا غدا فإنه لبوار العرب وضيعة الحرمات، و لكن انصرف راشدا و خلّ بيننا و بين شامنا و احقن دماءنا و دماء اصحابك.

فقال له رضى اللّه عنه: إنك لم تأل عن النصيحة بجهدك، و لو علمت ان

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۱

ذلك يسعنى فى دينى أجبتك و لكان اهون علىّ من المئونة، و لكن اللّه لم يرض لأهل القرآن ان يعمل بمعاصى اللّه فى اكناف الارض و هم سكوت لا يأمرون بمعروف و لا ينهون عن منكر، و اعلم يا حوشب انى قد ضربت الامر ظهره و بطنه و أنفه و عينه، حتى لقد منعنى من نوم/ الليل، فما وجدته يسعنى إلا قتالهم او الكفر بما جاء به محمد صلّى اللّه عليه و سلم، فكان معالجة القتال اهون من معالجة الاغلال، و كانت مؤونات الدنيا اهون على من النار.

فتأمل ما فى هذا القول من الانوار و الحجج الشاهدة ببطلان دعاوى هؤلاء القوم، فانهم زعموا انه مكث خمسا و عشرين سنة مع ابى بكر و عمر و عثمان و قد كفروا و ارتدوا لا ينكر عليهم بل كان اكبر اعوانهم، و هو يقول هذا القول. و كان اصحابه يقولون لأهل الشام- مثل عمار بن ياسر، و قيس ابن سعد، و شريح بن هانئ، و عدىّ بن حاتم، و صعصعة بن صوحان، و الأشتر-: ان عليا اذا ظهر سار فيكم سيرة ابى بكر و عمر، و ان معاوية لا يفعل ذلك، انما يريد العاجلة و يطلب الدنيا، و ان صاحبنا كان يتقدم عند ابى بكر و عمر و يرجعان الى رأيه، و قولهم «۱» ان صاحبنا من البدريين و المهاجرين و ليس صاحبكم كذلك. فانظر بأى شىء يمدحونه و بأى شىء يحتجون له لتعرف بطلان دعاوى هؤلاء القوم، فانهم يقولون: الحجة فى إمامته نصّ النبى عليه، و ظهور المعجزات عليه بعد النبى صلّى اللّه عليه و سلم، و هو رضى اللّه عنه لا يذكرها هو و لا يحتج بها و لا يعرفها، و لا احد من ولده و أهل بيته و شيعته فى زمانه.

---

(۱) فى الاصل: و قوله، و لعل الصواب ما اثبتناه

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۲

و لما رفع اهل الشام المصاحف و قالوا: بيننا و بينكم ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، ردونا إليه فقد رضينا به، و هذا كتاب اللّه؛ فما قال لهم هو و لا اصحابه: فرسول اللّه قد نصّ علىّ و قال من كنت مولاه فعلى مولاه، و هذا نصّ او تأويله النص او معناه النصّ، او آية كذا او حديث كذا، فما احتج عليهم لا هو و لا شيعته الذين قتلوا بين يديه بشىء مما يذكره هؤلاء.

و لما قال له اصحابه: ضعفت و سكنت فى نفسك حتى حكمت الرجال/ فى امرك، و أى حاجة كانت بك الى هذا و قد بايعك المهاجرون و الانصار، و ما احوجنا و اياك الى امام مثل عمر يسوسنا و يسوسك، و قد كفرت بما صنعت. فما احتجّ عليهم لا هو و لا من كان يحتج عنه مثل ابن عباس و صعصعة بأنى معصوم و لا أخطئ و لا اعصى، و ان النبى صلّى اللّه عليه و سلم قد نص علىّ و قد

رأيتم المعجزات او قد بلغتكم، و ما احتج عليهم الا بما قد تقدم لك فى كل وقت و كل حال.

و كان يقول و اللّه لتخضبن هذه من هذه و يشير الى لحيته و هامته، فيقول له اصحابه: لو علمنا من ذلك لأبدنا و أبّرنا «۱»، فيقول: كيف تقتلونه و لم يقتلنى، فيقولون: يا امير المؤمنين اوص و استخلف، فيقول: ما اوصى رسول اللّه فأوصى و لا استخلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فاستخلف، فيراجعونه فيرجع عليهم بمثل ذلك ثم يقول: ان ادع فقد ترك من هو خير منى، و ان أستخلف فقد استخلف من هو خير منى. و لما ضربه ابن ملجم الملعون دخلوا عليه، فقالوا: استخلف، فقال: لا، انا دخلنا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فقلنا يا رسول اللّه: استخلف فقال: لا، اخاف ان تفرقوا عنه كما تفرقت بنو

---

(۱) فى القاموس: أبر القوم: اهلكهم

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۳

اسرائيل عن هرون، و لكن ان يعلم اللّه فى قلوبكم خيرا يخر لكم. قال امير المؤمنين فعلم [اللّه و اللّه] «۱» فى قلوبنا خيرا فاختار لنا ابا بكر، ثم اقبل على صعصعة بن صوحان و كان فى القوم فقال: و لكن يا صعصعة، إن يعلم اللّه فى قلوبكم خيرا يخر لكم. فتركوه ثم عاودوه فما فعل، و سألوه أن يشير عليهم بأحد فما فعل، فقالوا له: ان فقدناك يا امير المؤمنين فلا نفقدك ان نبايع الحسن، فقال لا آمركم و لا انهاكم. فعادوا القول فقال كذلك انتم ابصر، و كان آخر عهدهم به، و قبض صلوات اللّه عليه، فلم يقل «۲» غير هذا.

فإن قالوا: فانا/ لا نقبل هذه الاخبار، قلنا: لو قلتم انه ما جرى بينه و بين العباس ما قلنا، و لا كان من الانصار فى السقيفة ما ذكرنا، و لا كان من ابى بكر و الصحابة فى استخلاف عمر ما قلنا، و لا- دخل علىّ فى الشورى، و لا- صلّى خلف صهيب، و لا رجع الى عبد الرحمن، و لا- سأل القوم عمر أن يستخلف عليهم و لا قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير منى و ان اترك فقد ترك من هو خير منى، بل ما وضع عمر شورى اصلا، و هذا كله كذب، ما كان عندنا فى ذلك الا ما عندنا فى انكاركم ما كان من امير المؤمنين. و كذا لو قلتم ما كاتب معاوية، و لا رفع معاوية المصاحف، و لا كان من امير المؤمنين و بين اصحابه الذين صاروا خوارج ما ذكرنا، و لكنكم لو سلمتم هذا لبطل مذهبكم، و لو انصفتم لتركتموه و صرتم الى مذاهب امير المؤمنين و هى هذه التى قد ذكرناها، و ما شأنكم إلا انكار «۳» ما قد كان و ادعاء ما لم يكن، و ما لو كان له اصل لكان العلم به قد قهر.

---

(۱) كذا فى الاصل، و لعلها: اللّه ان

(۲) فى الاصل: يقول

(۳) فى الاصل: الانكار

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۴

و فى اقل قليل مما كتبت دليل على بطلان دعاويهم، و انما ذكرنا لك هذا فى هذا الموضع لأنك طلبته و ذكرت حاجتك إليه.

و كثيرا تسأل الامامية عما كان من عثمان فى توليه اقاربه و غير ذلك، و فى سير طلحة و الزبير و عائشة الى البصرة، و ما ذاك الا لضعفهم و انقطاعهم لأن عثمان لو لم يول اقاربه و لم يصنع ما صنع لكان كافرا مشركا عندهم بادعائه الامامة لنفسه و لأبى بكر و عمر، و لو كان طلحة و الزبير و عائشة فى عسكر امير المؤمنين و فى المحاربين معه ما كانوا إلا مشركين باعتقادهم امامة ابى بكر و عمر و عثمان، فكلام الامامية/ فى هذا الكلام مسلم لو كلم اليهود فى وجوب النية فى الطهارة، او كلم النصارى فى استحلالهم الخمر، و انما يكلم فى هذا من قال: لا- ذنب لعثمان إلا- ما اتاه من الحمى و توليه الاقارب و لو لا ذلك لكان مثل عمر، و من قال: لا ذنب لطلحة و الزبير و عائشة إلا مسيرهم الى البصرة و لو لا ذلك لكانوا مثل ابى عبيدة و عبد الرحمن و ابن مسعود.

فاعرف هذا و لا تكلمهم فيه البتة، و كلمهم فيما يدعونه من النص فهو الاصل. و اما طلحة و الزبير و عائشة فانهم انما سلموا علينا لأنهم

سلموا على امير المؤمنين، و توليناهم و زكيناهم لأنه زكاهم و تولاهم و مدحهم و ترحم عليهم بعد كان منهم بالبصرة و بعد موتهم، فلو عاديناهم لكنا قد خالفناه و سرنا بغير سيرته و سلكنا غير سبيله، و نحن لا نرى خلافه، بل هو إمامنا و سيدنا و القدوة عندنا، و هو الذى ظاهره كباطنه و سريرته كعلانيته.

و هذا كلام مع الخوارج فيقال لهم: على بن ابى طالب إمام هدى، و انما برئتم منه و ادعيتم انه كفر بالتحكم و قبل ذلك كان مرضيا، و قد زكى هؤلاء قبل التحكيم، و قد وجب عليكم الاقتداء به. فإن قالوا: و متى كان

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۵

هذا منه؟ قلنا: قد كان يتصفح القتلى بعد انقضاء الحرب، فمر بطلحة و هو صريع فنزل إليه و اخذ رأسه فى حجره و مسح التراب عنه و قال: يرحمك اللّه يا ابا محمد، يعزّ علىّ ان اراك قتيلا تحت نجوم السماء و فى اودية الارض، ثم انشد:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقهاذا ما هو استغنى و يبعده الفقر و امر بجمع القتلى و صلى عليهم و امر بدفنهم، و دخل عليه ولد طلحة فأدناه و قربه/ و قال له: يا ابن اخى، خذ كتابى الى قرظة بن كعب الانصارى ليرد عليكم اموالكم و ما اخذ منها، فما امرته بإدخال يده فيها، انما اردت قبضها لئلا تمتد إليها ايدى السفهاء و ليحفظها عليكم، اتبسط يا ابن اخى فى الحاجة تكون لكم فانى ارجو ان اكون انا و طلحة و الزبير من الذين قال اللّه: «وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ» «۱».

و لما قيل له رضى اللّه عنه: قاتل الزبير بالباب يستأذن، انزعج هو و أولاده حزنا عليه و إنكارا لقتله، و صار عندهم مأتم و مصيبة عظيمة، و قال: كيف قتله و ليس من اقرانه؟ قالوا اغتاله و معه سيفه، فقال:

خذوا السيف منه و بشروه بالنار، فأخذ السيف منه؛ فما زال امير المؤمنين يقلب السيف و يقول كم كربة كشفها صاحب هذا السيف عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و لم يأذن له فى الدخول عليه. ثم دخل عليه بعد ذلك مع الناس فقال: نحن اهل البلاء فلم نجفا؟ قال: من تكون؟ قال: قاتل الزبير،

---

(۱) سورة الحجر ۴۶

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۶

قال امير المؤمنين: بفيك الحجر، بفيك الحجر، ليلج قاتل الزبير النار، سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يقول: لكل نبى حوارىّ، و حوارى الزبير. و سمعته يقول: الزبير فى الجنة و طلحة فى الجنة، فقال ابن جرموز: انما قتلته أبتغى بقتله عند علىّ الزلفة فبشرنى بالنار، و ندم على قتله، و صار ينكر ان يكون قتله.

و جهز عائشة بكل ما تحتاج إليه، و شيعها هو و أولاده و قال لأخيها و من خرج معها: بلغوها، و وصّى باكرامها، و كان يقول لها: يا أمّه، و أمّ المؤمنين سائرة، فمن اراد المسير معها ممن قدم بقدومها فليسر، و قال:

أيها الناس، انها امكم و زوجة نبيكم فى الدنيا و زوجته فى الجنة، و ردها الى سدانة قبر رسول اللّه و الى بيتها، و أعطاها ما كان يعطيها من قبله من الخلفاء.

و لا يحل لامرأة/ زعم هؤلاء انها كافرة، يردها امير المؤمنين الى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم [و تعطى] «۱» ما يعطى امهات المؤمنين، سيما و المدينة فى ملكه و سلطانه، و فيها عماله، و ليس به فى امرها حاجة الى المداراة و المداهنة بعد مقاتلتها كما كان بزعمهم يفعل مع من تقدم من الخلفاء.

و كم كان يركب إليها هو و اولاده و ابن عباس و عبد اللّه بن جعفر، و يجلسون إليها و يعظمونها، و قد استغفرت و استغفر لها امير المؤمنين، و قد سمع عمار ابن ياسر رجلا ينال منها و الحرب قائمة فقال له: اسكت مقبوحا منبوحا، و اللّه إنا لنقاتلها و إنا لنعلم انها زوجة نبيكم و معه فى الجنة، و لكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه نطيع أم إياها؛ و شرح إكرامه لها و اكرام اولاده و هم بالبصرة يطول.

(۱) فی الاصل و لا تعطی، و لعل الصواب ما اثبتناه

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۷

و کانت هی تلعن اصحابه الذین ارتدوا عنه و لعنوه و صاروا خوارج و تبرأ منهم، و تروی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم تصویبه و تضلیلهم، و تقول: أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبّوهم، و تسمیهم کلاب النار، و لما بلغها موته استرجعت و قالت: ذهب و اللّه من لم یسفهه الملک و لا أطغته الدنیا، لتصنع العرب ما شاءت فما بقی بعد ابن ابی طالب من یکفّها و لا یردعها، ثم انشدت:

فألقت عصاها و استقر «۱» بها النوی کما قر عینا بالإیاب المسافر و کم قد طعنت علی معاویة و واجهته بالتخطئة لما ورد المدینة و دخل علیها، حتی اخجلته و هو جبار قد غلب، و کم فعل ذلک به اخوها عبد الرحمن بما یطول شرحه. و لا یرد هذه الأخبار إلا معاند أو من قال انه کان یلعنها کما یلعن معاویة و لم یردّها الی المدینة، و من قال هذا فقد أتی فی البهت علی ما لا فیه حیلة.

و الإمامیة تقول: قد فعل هذا و لکن «۲»/ علی طریق حسن العشرة و علی سبیل التکرم و التفضل، قیل لهم: هو صلّی اللّه علیه و سلم أجل قدرا و أشد ورعا من ان یرد امرأة کافرة او فاسقة الی قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و یمکنها منه، و یعطیها ما یعطی امهات المؤمنین و یسمیها أم المؤمنین، و یشهد لها بما قلنا، و یترحم علی کافرین، و یرد الاموال و یشهد لهما بالجنة، هذا لا یحل فی دین اللّه و لا یفعله مثله صلّی اللّه علیه و سلم بوجه من الوجوه، و إنما قوله بشّر قاتل ابن صفیة بالنار، و قوله: لیلج قاتل الزبیر النار علی طریق التزکیة له کقول

(۱) فی الاصل: استقرت

(۲) مکررة فی الاصل لانها اول الصفحة و آخرها

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۸

رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم: «تقتل عمار الفئة الباغیة» «۱» علی طریق التزکیة لعمار.

فإن قالوا: لم لم یقتل قاتل الزبیر؟ قلنا: لم یکن ذلک له و انما هو لولد الزبیر، فان شاءوا قتلوا و إن شاءوا عفوا.

و من عجیب الامور ان عبد اللّه بن الزبیر قام بعد معاویة و دعا الی نفسه لإمرة المؤمنین، و غلب علی الارض بسبع سنین إلا کورة فلسطین، و انبثّ عماله فی الامصار، و عمرو «۲» بن جرموز حیّ بالبصرة فما تعرضوا له، و لقد قرئت جریدة اهل البصرة علی مصعب بن الزبیر بالبصرة، فقرأ الکاتب عمرو بن جرموز، فقال قائل لمصعب أصلح اللّه الامیر و عمرو «۳» بن جرموز و قد ساح فی الارض و سار فی البلاد فقال مصعب: او ظن ابن جرموز انی أقیده بأبی عبد اللّه، لیظهر ابن جرموز آمنا و لیأخذ عطاءنا مسلما فظهر و أخذ و أمن و ترفع «۴» ولد الزبیر عن قتله و قد کان لهم ذلک، و هو إلیهم، فکیف یتعجب عاقل من عفو امیر المؤمنین عنه و لیس القود له.

و کان عمرو بن جرموز بعد الذی سمعه من أمیر المؤمنین شدید الندم علی قتله، کثیر الاستغفار، شدید/ الاشفاق، و قد بقی بعد زوال آخر آل الزبیر و مصیر الملک الی عبد الملک، فکان الحجاج یقول له: أنت قتلت الزبیر؟- لشدة عداوة الحجاج و بنی أمیّة لآل الزبیر- فیقول ابن جرموز: ما قتلت احدا، فیقول له الحجاج: و ما علیک فی قتله،

(۱) انظر شرح الجامع الصغیر ۲: ۱۴۷. و قد اورده ابو نعیم فی الحلیة عن ابی قتادة

(۲) فی الاصل عمیر، الا انه ورد فی معظم الکتب التاریخیة باسم عمرو

(۳) فی الاصل ابن عمیر و ابن زائدة

(۴) مطموسة فی الاصل، و القراءة اجتهادیة

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۲۹۹

و قتله خیر لک من جزاء و تدبیر حسنات؛ یشجعه الحجاج لینصرف عن الغم و الندم بما قاله أمیر المؤمنین له فی دخول النار بقتل الزبیر، لتعلم رحمک اللّه شهرة انکار امیر المؤمنین علی من اعترف بقتل الزبیر.

و لکن طال الأمر و قل الطالب المتأمل.

فإن قیل: فکیف سبیل تلک الدماء التی کانت بینهم یوم الجمل؟ قیل له: ان امیر المؤمنین رضی اللّه عنه اعلم بذلک وافقه فی الدین و أشد فی الورع، و لم یکن لیقول فی هؤلاء و فی غیرهم ما لا یحل و لا یجوز فی الدین، فقد کفانا حکمه عن البحث و الطلب، و ان کان العلماء قد ذکروا اتفاق رأی امیر المؤمنین و طلحة و الزبیر و عائشة علی الصلح و وضع الحرب و استقبال النظر فی الأمر، و ان من کان فی العسکر من اعداء عثمان کرهوا ذلک و خافوا ان تتفرغ الجماعة لهم، و قالوا: لنشغلهم عنا بنفوسهم، فدبروا فی القاء الحرب بینهم ما هو مذکور فتم لهم ذلک، و ما بک حاجة هاهنا الی ذکره، و أفعال امیر المؤمنین تغنیک، فإن اردته وجدته فی کتب العلماء «۱».

---

(۱) بیاض فی الاصل حتی نهایة الورقة ۱۴۰ ثم الورقة ۱۴۱ فراغ أیضا. و یبدأ بعد ذلک قسم جدید یبتدئ ب بسم اللّه الرحمن الرحیم، بدایة الجزء الثانی من الکتاب.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۰۱

فهرس الموضوعات «۱»

الصفحة الموضوع المقدمة ۵ البدء بما فی القرآن من إکفار الرسول للامم و البراءة منهم و هو وحید ضعیف

۷ سلامته صلّی اللّه علیه و سلم مع حرصهم علی إیذائه

۸ وعده و هو فی وحدته اته سیکون فی جماعات کثیرة

۳۸ استرواح المشرکین لأدنی غم یصیب الرسول

۴۰ عرض المشرکین علی الرسول ان یعبد آلهتهم و یعبدوا إلهه

۴۴ وعد الرسول اصحابه فی حال ضعفهم ان اللّه سیضرهم

۴۶ اسراء الرسول من المسجد الحرام الی المسجد الأقصی

۵۲ ما نزل بمکة فی رجال بأعیانهم انهم یصرون علی شرکهم الی ان یموتوا

۵۵ ما کان بمکة من انشقاق القمر

۵۹ ما کان بمکة من غلبة الفرس علی ارض الجزیرة ادنی ارض الروم

۶۴ من اعلامه صلّی اللّه علیه و سلم انقضاض الکواکب بمکة

۸۰ دعوة رسول اللّه علی مضر و إمساک القطر عنهم

۸۳ ما کان بمکة حین بکی الرسول علیهم قوله تعالی: اقتربت الساعة

۸۴ ما نزل بمکة من قوله تعالی «فاستمسک الذی اوحی إلیک ...»

۸۵ من اعلامه قوله عز و جل «قل لئن اجتمعت الانس و الجن علی أن یأتوا بمثل هذا القرآن»

---

(۱) اکتفینا هنا بفهرس الموضوعات، و أجلنا باقی الفهارس الی نهایة الجزء الثانی.

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۰۲

الصفحة الموضوع ۹۱ من اعلامه اخباره عن النصرانیة و مذاهبها

۱۰۸ ما اشار إلیه من اختلاف النصاری حول المسیح علیه السلام

۱۲۱ ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسیح، و اختلاف النصاری حول الاناجیل، و تأثر المجتمعات النصرانیة بعقائد الروم و اخلاقهم

۲۳۵ اکفار الرسول صلّی اللّه علیه و سلم للعرب و سائر الامم الاخری و اسخاطها و کیف عصمه اللّه من اذاهم

۲۴۵ الاخوة و المودة التی کانت قائمة بین الصحابة

۲۵۲ افعال رسول اللّه و أقواله تشهد بأنه ما عهد لرجل بعینه

۲۵۵ کیف خاض الصحابة فی امر الامارة و لم یذکروا انه نص علی أحد بعینه

۲۶۱ کیف فکر الانصار بالامارة ثم عدلوا عن ذلک بعد تبین الحق

۲۶۳ رفض علی ما عرض علیه من المبایعة بالامارة بعد وفاة الرسول

۲۷۳ طلب ابی بکر من المسلمین اقالته و رفضهم ذلک

۲۷۳ تمنی ابی بکر ان لا یکون قد ولی إمرة المسلمین

۲۸۰ کیف رد المسلمون الأمر الی عبد الرحمن بن عوف

تثبیت دلائل النبوة، القاضی عبد الجبار ،ج۱،ص:۳۰۳

خطأ و صواب

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
۱۷	۱۸	مارد	مادة
۳۰	۱۰	القعقاع	القینقاع
۳۵	۱۹	کونین	کونان
۳۸	۷	فسینفضون	فسینغضون
۵۱	۲۱	الدافع	الدامغ
۷۲	۲۰	للعرب علی العجم	للعجم علی العرب
۱۰۳	۱۳	الات	الأب
۱۳۷	۱۲	المسح	المسیح
۱۴۵	۱۲	و إذ أمرک	و «إذ آمرک»
۱۵۷	۱۹	الشاؤول	لشاؤول
۱۵۸	۲۲	الملوک	الملک
۱۷۷	۴	و البعیر	و البصیر
۱۸۸	۱	و قالوا	و قالوا
۲۲۹	۲	فعلنا	نعلنا
۲۳۴	۱۵	وردت	ورد
۲۴۱	۳ و ۲۱	القرآن	القران

۲۵۴/ ۱۸/ بالبحر/ بالبحرين

تثبيت دلائل النبوة، القاضى عبد الجبار ،ج۲،ص:۳۱۱

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹